بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات :

الاسم الرباعي : شفاء بنت عبدالله الحميد الرقم الجامعي : (٤٢٥٨٨١٠١٩)

كلية : اللغة العربية قسم : الدراسات العليا العربية فرع : أدب

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : أدب

عنوان الأطروحة : قصص عبد التواب يوسف الدينية للأطفال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التصويبات المطلوبة التي أوصت بها اللجنة التي ناقشت هذه الأطروحة بتاريخ : ٢٩/١/١٤٢٥هـ ، توصي اللجنة بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة

والله الموفق ....

أعضاء اللجنة :

المشرف	المناقش الأول	المناقش الثاني
د. عبدالله الزهراني	أ.د. جميل عبدالغني	أ.د. عبدالله باقازي
التوقيع	التوقيع	التوقيع

يعتمد رئيس قسم الدراسات العليا العربية

د. عبدالله بن محمد الحارثي

التوقيع

١١/٥/١٤٢٥هـ



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
قسم الدراسات العليا العربية
شعبة الأدب



قصص عبدالتواب يوسف الديني للأطفال
دراسة تحليلية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص أدب

إعداد الباحثة: شفاء بنت عبدالله حامد الحييد
إشراف: د. عبدالله بن إبراهيم الزهراني

١٤٢٥هـ

ملخص

تُعد القصة من الأشكال الأدبية المؤثرة على الطفل من النواحي التربوية والفنية . فهي تساعد على تنمية الملكات الفنية لدى الطفل لجعلها فعالة ، كما تساعد على تربية النشء وتوجيه أفكاره وفلسفته في الحياة .

تقدم هذه الرسالة، دراسة عن كاتب الأطفال عبد التواب يوسف ، الذي أثرى مكتبة الأطفال العربية الإسلامية بكثير من القصص ، المستمدة من المصادر الإسلامية . كما أنه يدعو إلى تجديد الأصالة في أدب الأطفال، وتزويدهم من ينابيع التراث الأدبي العربي .

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : مصادر قصص عبد التواب يوسف :

١- القرآن الكريم والحديث الشريف .
٢- السيرة النبوية.
٣-التاريخ الإسلامي .
٤- التراث القصصي العربي.

الفصل الثاني : دراسة تحليلية لبعض قصص عبد التواب يوسف ، ويضم:

١- الفكرة .
٢- الشخصيات : البشرية والغير بشرية .
٣- لغة الأطفال ومستويات اللغة في قصصهم.
٤- الاسقاطات الرمزية وآثارها الإيجابية والسلبية .

الفصل الثالث : يتحدث عن الأثر التربوي والتوجيهي لقصص عبد التواب يوسف للأطفال ، ويضم :

١- غرس القيم والفضائل.
٢- إشباع الخيال والرغبات.
٢- التوجيه الاجتماعي والوطني.
٤- إدراك روعة ماضي الأمة.

الفصل الرابع : يناقش القيمة الفنية التي ستثمر من خلال قراءة الأطفال لقصص عبد التواب يوسف . ويضم قسمين :

١- تنمية التذوق الأدبي .
٢- تنمية الخيال العلمي والأدبي.

Abstract

Children stories are one of the most influential literature formats, especially from educational and artistic perspective. It assesses, activate and, develop artistic talents. Furthermore, it helps in bringing up and direct children thoughts and philosophy towards life.

This thesis presents a study of Abdultawab Youssef work, the famous children writer, who enriched the Arabic children library, and helped in providing a link with traditional Arabic literature.

The study is divided into four chapters, as follows:

Chapter one- Sources of Abdultawab Youssef Stories:

1- Quran and Hadith,

2- Al-Sirah Al-Nabaweyah.

3- Islamic History

4- Heritage of Arabic literature.

Chapter Two- Analytical Study of Abdultawab Youssef Stories:

1- Concept.

2- Personalities: human and non-human.

3- Language and its level.

4- Metaphorical representation.

Chapter Three- <u>Educational Influence of Abdultawab Youssef Stories</u>:

1- Establishing values and virtue

2- Imagination.

3- Social and national directions.

5- Perceiving the glory of the nation history.

Chapter Four- <u>Artistic values gained from reading Abdultawab stories</u>:

1- Developing literary taste.

2- Developing scientific and literary imagination.

إهداء

أهــدي هــذه الرســالة إلــى مكتبــة الطفــل العربيــة والإســلامية .

كما أنني أقدمها مكلّلة بالزهور، إلى والداي جزاهما الله عني خير الجزاء راجيــة منهما الدعاء .

شكر وتقدير

أشكر الله وأحمده كثير الشكر والحمد ، على ما أنعم علي من وافر الـنعم. ثم أتوجّه بالشكر إلى جميع من قدّموا لي يد العون ، لإنجاز هذه الرسالة .

حيث أبدء بالشكر بل جزيل الشكر_ *ليس مجازاة بل عرفانا بالجميل*_ إلى والدي الحبيب الأستاذ الدكتور /عبد الله بن حامد الحيد،فكثيرا ما كان يحثنا علـى حب العلم والتعليم ،والإنفاق عليه ،في أي وقت وزمان ومكان.

كما أتقدم بالشكر لوالدتي الغالية والتي لن أفي_ مهما قلت _يحقهـا علـيّ وعلى أبنائي.

وأشكر أخوتي حامد وعلي ومحمد وأحمد، وأدعو لهـم بـالتوفيق الـدائم ،وأخص جزيل الشكر والإمتنان لأوسطهم ،علي فقد عانى معـي كثيـر، فجـزاه وجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأشكر زوجي الدكتور/أحمد علي الجيلاني ،على وقوفه إلى جانبي لإنجاز هذه الدراسة،وغض طرفه عن ما بدا من تقصير .

كما أطلب من الله الرحمة والمغفرة لوالده ،الذي كان دائم التشجيع لي شعرا ونثرا ،تغمده الله بواسع رحمته .وأشكر والدته على دعائها الدائم لي بالتوفيق .

وأشكر الله على هبته لي ،ثلاث هدايا : عبد الرحمن، وخديجة ،ومحمـد ، وأشكرهم على كل ما قدموالي من إزعاج دفعني للإسراع في اغتنام أي فرصـة هدوء .كما أنهم كانوا مصدر بهجتي .

كما أقدم شكري إلى ، د.محمد حسين أبوسَم – المشرف السابق وأسـتاذي في مرحلة البكالوريوس –وأدعومن الله أن يغفر له ويرحمه، ويدخله فسيح جناته ، وقدكان مشرفي إلى أن وضعنا الخطة المبدئية للبحث .

وأخص استاذي والمشرف على رسالتي د. عبد الله بن إبراهيم الزهرانـي بجزيل الشكر والتقدير، فقد تميز باحترام وتقدير طلبته، وتقدير آرائهم ،الشـيء الذي يعززثقتهم بأنفسهم كدارسين وباحثين ،فجزاه الله عنا وعـن طلبتـه خيـر الجزاء.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/عبد الله باقازي، والأستاذالدكتور/ جميـل عبـد الغني ،على قبولهما مراجعة ومناقشة بحثي ،وإدلائهما علي بـالقيم والمفيـد مـن المعلومات ،فجزاهما الله عني خير الجزاء.ودعائي لهما بالتوفيق الدائم .

كما إنني أبعث بالشكر إلى الأستاذ عبد التواب يوسف ، أولا: على إمـداده مكتبة الأطفال العربية بهذا الكم الهائل من الإبداع الأدبي . وثانيا: على مسـاعدته لي .

وشكري الجزيل لجميع الجهات العلمية ،ذات الدعم الدائم لخدمة العلم وطلبته،والتي منها :
جامعتي العزيزة جامعة أم القرى ، والتي ينتسب اسمها إلى أطهر بقاع الأرض .....فأشكرها على ما منحتني من فرص الأخذ من العلم .
كما أشكر جميع طاقم قسم اللغة العربية ،وأخص منه قسم الأدب ،وقسم اللغة العربية للدراسات العليا ، على كل ما قدموه من عون لإتمام دراستي وبحثي.

وأتقدم بشكر الممتن، لكل من تعلمت على يديه في جامعة أم القرى ،فأشكرهم على جهودهم الصادقة في تبليغ رسالة العلم ،فجزاهم الله عن طلبة العلم في كل مادة أو مقررأو كتاب أو معلومة أو دعاء أونية صادقة توجهوا لله بها لنا_ خير الجزاء.
كما أشكر من الجهات العلمية :
- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،بالرياض.
- مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.
- ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .
على توفيرها المراجع والمصادر وخدمات البحث العلمي لطلبته ،وبكل ترحيب .

وأتقدم شاكرةً أخواتي العزيزات :أ/ أمل العميري ،وآسيامليباري، ونورالمحضاروأخيهاعلي المحضار ،وسارةبن سهل، وحسناءالحبشي وأماني الجيلاني وهنيدةشفي، ،على كل ما بذلوه من أجل مساعدتي ومساندتي فعلياً ومعنوياً لإنجاز هذه الرسالة .
وجزى الله الجميع عني خير الجزاء .

قائمة المحتويات

الفصل الرابع : القيمة الفنية لقصص عبد التواب يوسف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

ونحمد الله ونشكره علىكثير النعم ،وجزيل الفضل،وكريم العطايا التي من بها علينا،ونحمده أن دعانا في الإسلام إلى العلم والتعلم ،حيث قال في كتابه المنزل ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون))وقال تعالى :((إنما يخشى الله من عباده العلماء)) صدق الله العظيم .

فالعلم يدلنا على طريق معرفة عظمة الله و قدرته في خلقه ،ممايزيدنا إيمانا واطمئنانا.

ويكون العلم في جميع المجالات التي تحقق الخير للأنسانية عامة، وللمسلمين خاصة ،ومنها هذا النوع من الأدب الذي ظهر حديثا ،وهو أدب الأطفال، وإن كان وجوده يؤرخ بوجد الأطفال منذ العصور القديمة . لكن الحديث فيه هو تخصيص أدبا مكتوبا ومقروءا ومسموعا،على اختلاف مراحلهم ،من قبل أدباء وهبوا أقلامهم لهذا الأدب عرفانا بأهمية الطفل وأدبه .

ولا تخفى أهمية مرحلة الطفولة ؛فهي من أهم وأخطر مراحل الإنسان ، والأساس لمراحل الحياة التالية ، فقد دلت دراسات أجريت في مجال علم النفس والتربية ،على أن نسبة كبيرة من مقومات شخصية الفرد:المعرفية والوجدانية والسلوكية ،تتشكل في مراحل الطفولة الأولى، ومن الصعب تغييرها فيما بعد .

لذلك كان اختياري موضوع أدب الأطفال ،وكانت القصة هي مثار الاهتمام،لما لها من أثر قوي على النفس البشرية ،وبخاصة الأطفال .وقد قال تعالى :((فاقصص القصص لعلهم يتفكرون))،وقال أيضا :((نحن نقص عليك القصص بما أوحينا إليك هذاالقرآن))وقال تعالى:((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك))صدق الله العظيم . ولم يكن ذلك الاحتفاء بلقصص إلا لما له من أثر ووقع على النفس البشرية،ومن باب أولى الأطفال .

فإذا ماستطاع أديب الأطفال أن يتعمق ويدخل إلى عالمهم ،ويلمس أحاسيسهم ومشاعرهم ،فإنه سيمتعهم ويثقفهم ويثريهم ، وسيرقى بهم في نفس القوت . فالقصة وسيلة من وسائل التربية .

وبما أن موضوع أدب الأطفال عامة ،في عالمنا العربي والإسلامي الدافع يُعد موضوعاً حديثاً ، ولم تمتد إليه الأيدي بالشكل والجهد المطلوب ؛ فإنني أحببت أن أعمل على إثراء هذا الجانب المهم للطفولة، وهو الأدب الإسلامي المخصص لمرحلة الطفولة ، واخترت منه موضوع قصص عبدالتواب يوسف الدينية، لمرحلة الثمانية أعوام فما فوق .

قد كان هذا الكاتب للأطفال ،ممن اهتم كثيرا بشأن الأطفال ، وتربيتهم ،وثقافتهم، بالإضافة إلى قدرته على الإبداع والإنتاج الأدبي لهم ، فقد توصلت نتاجاته عام٢٠٠٢م إلى أكثر من ثلاثة مائة كتابا ،في أدب الأطفال ،لذلك جعلت بحثي في مجال نتاجات هذا الأديب المبدع المكثر .

وكان تقسيم البحث إلىأربعة فصول، تتفرع منها عدة مباحث، وهي على النحو التالي :

أولا : الفصل الأول وهو : يناقش مصادر قصص عبدالتواب يوسف للأطفال، وقد خصصت لكل مصدر منها مبحث على حده. وهي على النحو التالي :

١. القرآن الكريم والحديث الشريف.
٢. السيرة النبوية.
٣. التاريخ الإسلامي.
٤. التراث الأدبي العربي.

وفيها أؤكد على تأثر الكاتب في قصصه بالقرآن الكريم والحديث الشريف سواء مباشرة بذكر النصوص أو غير مباشرة بتضمين معنى ورد في آية أو حديث إلى قصة أو جعلها فكرة القصة. ثم كتاباته الأدبية للأطفال عن السيرة النبوية والتي لم تكن مجرّد ذكر لتاريخ السيرة، بل عرض للمواقف التي تضم قيماً ومعاني إسلامية أراد الكاتب إبرازها وإظهارها للطفل. وكان متأثراً بما قد قرأه من كتب السيرة النبوية.

يلي ذلك القصص التي تتحدث عن التاريخ الإسـلامي، مـن خـلال سـير البطولات، سواء كانت بطولات الفتوحات والمواقف المثيرة، أو بطـولات العلمـاء المسلمين واختراعاتهم واكتشافاتهم، وكان أيضاً من خلال مواقـف فـي التـاريخ الإسلامي، يلتقط الفكرة التي يريد أن يحوّلها إلى قصة، يظهر من خلالها ما أراد أن يظهر للأطفال.ثم عرضت لتأثره بالتراث الأدبي العربي، وكيف أنه استفاد منه فـي كتاباته للأطفال، لتزويدهم من ينابيع تراثهم العريق وترسيخ الاصالة من المنظـور الاسلامي في خلفيتهم الثقافية .

ثانياً : الفصل الثاني : يقدم دراسة تحليلية لنماذج من قصص عبدالتواب يوسف :-

وقد اعرت اهتمامي في هذه الدراسة التحليلة للفكرة، والشخصيات من بشرية وغير بشرية، واللغة ومستوياتها، ثم الاسقاطات الرمزية وأثارها الإيجابية والسلبية، وهي من العناصر المهمة في قصص الأطفال، والتي من خلالها نستطيع أن نحكـم على العمل بجودته أو رداءته، وهي الأساسيات التي تميّز أدب الأطفـال عـن أدب الكبار كيف ؟؟. وقد كانت عناصر قصة الطفل هذه في قصص عبدالتواب يوسـف، تتميز بالروح الإسلامية، ففكرتها، وشخصياتها، ولغتها، وحتى الإسقاطات الرمزيـة فيها تشير إلى رموز ومعاني وقيم ودلالات إسلامية.

ثالثاً : الفصل الثالث : يقيم الأثر التربوي والتوجيهي لقصص عبـدالتواب ، يضـم أربعة مباحث تربوية وهي :

١. غرس القيم والفضائل.
٢. إثارة الخيال وإشباع الرغبات.
٣. التوجيه الاجتماعي والوطني.
٤. تعميق إدارك روعة ماضي الأمة.

ويناقش هذا الفصل الأثر التربوي لهذه القصص الإسلامية على الطفل المتلقي، من عدة نواحي : أخلاقية، و نفسية و اجتماعية و وطنية. وكيف أن قصص الأطفال عموماً، وقصص عبدالتواب هذه تخدم هذه النواحي التربوية. وتعززها لدى الطفـل؛ لتسهم في بناء جيل متكامل النمو من جميغ النواحي.

رابعاً : الفصل الرابع : القيمة الفنية لقصص عبدالتواب يوسف : ويضـم الفصـل مبحثين وهما :

أ) تنمية مهارة التذوّق الأدبي لدى الأطفال.

ب)تنمية الخيال الأدبي والعلمي.

واناقش في هذا الفصل عناية عبد التواب يوسف بتنمية المهارات الفنية لـــدى الاطفال عن طريق قراءة القصص الأدبية ذات المستوى الفني الراقي، المتناسب مع مرحلة الطفولة المعنية. ، وأن العلاقة في ذلك طردية ، فلكلما كانـــت القـــراءة ثـــم الاستمتاع والتفاعل مع الابداع الأدبي أكثر، كانت النتيجة من الناحية الفنية لدى الطفل أدق وأقدر على تذوق الجمال، واسترشافه من النصوص، وبالتالي، على إثراء الخيال لدى الأطفال . وقد يتوقد هذا النمو ليكون قادراً على الإبداع الأدبي أو العلمي عـــن طريق الخيال، والخيال مع الوقت، قد يصبح واقعاً.

والطريقة المتّبعة في الدراسة في كل مبحث. هي عرض للموضوع. وأهميته في عالم الطفولة عامة، ثم ذكر أهمية هذا الموضوع بالنسبة للأطفال، وكيف يساعد أدب الاطفال عموماً في خدمة هذا الهدف، وتعزيزه – ذلك عن طريق ذكر نصوص وأراء لمهتمين ومتخصصين في هذا المجال – وكيف تحقـــق ذلـــك فـــي قصـــص عبدالتواب يوسف الإسلامية، وذلك باستخدام التحليل الإسلامي؛ كأداة متوافقـــة مـــع موضوع الدراسة. حيث يتم عن طريقه تحليل القصص من الوجهة الإسلامية، على أساس ما تحمله القصص الموجّهة للأطفال من قيم ورموز وأحداث ومباديء يدعو لها الإسلام، لذلك لم تكن الدراسة تنصب على قصص عبدالتواب يوسف فقط، بل إيجاد العلاقة بين الموضوع عموماً وعالم الأطفال وتأثيره عليهم.

التمهيد:

قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) صدق الله العظيم سورة الكهف، آية : ٤٦.

فكيف نجعلها زينة لنا في الآخرة أيضاً ؟؟

اهتمت الشريعة الإسلامية بأمر الطفل والطفولة، وأوكلتهم مسؤليتهم للوالدين في الصدارة ثم المجتمع حولهم، بأن يهيأ لهم البيئة الأفضل والأصلح، التي تنبتهم نباتاً حسناً. فمن قبل وجودهم، اهتمت الشريعة بأن يتخير الأب الأم الصالحة لأبنائه، كما أن على الولي وأم المستقبل أنه إذا ما أتى الرجل إلى الأم – من قبل أن تكون أماً – أن تنظر إلى من ترضى خلقه ودينه، فالأساس لا بد أن يكون نقيا صالحا. كما اهتمت الشريعة بالحامل والمرضع حتى وجدت أحكاماً خاصة بهما، حتى لا ترهق صغيرها بإجهاد نفسها، رحمة من الله. وحثت على إرضاع الطفل عامين، وقد أثبتت الدراسات التربوية والنفسية إحالة أن في هذين العامين، يحتاج الطفل إلى أكبر قدر من الحنان والاهتمام، حتى تتشكل فيما بعد شخصية سوية على أساس سوي، واهتم الإسلام حتى بالأمور الصغيرة – التي نرى نحن ببساطة رؤيتنا أنها بسيطة – مثال ذلك فقد حبب التحنيك، ونفعله اقتداء بالسنة، حتى تأتي الدراسات في العصر الحالي لتؤكد على مدى تأثير تحنيك الطفل بمادة سكرية على نشاط الفرد مدى الحياة. قس على ذلك الأمور الأخرى مثل حلق الرأس والختان وغيره، مما نفعله اقتداءاً بالسنة . وهذا كله من سماحة الشريعة الغراء اللتي أنزلها من هو اللطيف الخبير بشؤون الإنسان في جميع مراحل حياته منذ يكون وقبل أن يكون طفلاً.

وقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مهتماً بالأطفال، وكان لطيفاً في معاملتهم، رقيقاً معهم. والأحاديث على ذلك كثيرة، وقد أرشدنا إلى قواعد تربوية اساسية ،يروّج لها علماء التربية في الوقت الحاضر كأحدث نظريات للتعامل مع الاطفال .

فقد ساوى الإسلام بين الأطفال وأمر بذلك، حبب تقبيلهم والمسح على رؤسهم، والحديث معهم ومشاورتهم، ونصحهم بطريقة مهذبة _وليس بطريقة التهديد – وإصطحابهم إلى المساجد، ومخالطتهم الناس وافراحهم، وإلقاء التحية عليهم. كما أمر

برحمتهم والأمر بمعونتهم على بر والديهم. كما حث علـــى ملازمـــتهم وتـــأديبهم، والتصابي لهم، وأمور كثيرة جداً جاءت في الشريعة نبراساً لنا في تربية أبنائنا.

وقد كان الصحابة يصطحبون أطفالهم معهم إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، ليستمعوا وينتفعوا مما يسمعوا من قرآن كريم أو أحاديث، – وكان الرســـول صلى الله عليه وسلم يستأنس بوجود الأطفال ويرق لهم كثيراً –. ويستمتعون أيضـــاً إلى القصص والحكايات التي كان الرسول يقصّها على صحابته، ليقرّب الإيمان إلى قلوبهم، كما كان القرآن يستخدم القصص تثبيتاً للرسول صلى الله عليه وســـلم، بـــل يستمعون إلى تميم الدارى، وهو أول شخص قصّ في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتشر القصاصون فيما بعد في العهد الأموي في المساجد، يروون قصـــص العبر والعظة والحكمة، وكان الناس يصطحبون أطفالهم معهم. فالإنسان بفطرته محب للقصص والحكايات، بالأخص الأطفال. وقد كانوا لردح من الزمن يجلسون مع الكبار على مائدتهم يقرأون معهم كتبهم يستلطفون ما أعجبهم فيقرأون، ويتركون ما صعب عليهم، فكانوا يتداولون مع الكبار كتباً كـــ : كليلة ودمنه وكتاب الأغـــاني، وكتـــب الجاحظ، وغيرها من الكتب الأدبية التراثية، التي تحمـــل فـــي طياتهـــا القصـــص والحكايات والنوادر الطريفة.

حتّى ظهر أدب الأطفال كأدب خاص لهم في العصر الحديث، وأول ما ظهر في مصر، وكانت مرحلة الريادة منذ منتصف القرن الماضي ، وهناك خلاف حـــول الرائد ،البعض ينسبها إلى رفاعـــه الطهطـــاوي ،والـــبعض إلـــى محمـــد عثمـــان جلال،وبعضهم إلى أحمدمتعال ،لكن هناك اتفاق على أن أحمد شوقي هـــو صـــاحب الخطوة الواسعة فيه . وكانت النتاجات معظمها نصـــوص شعريةوأقلهانصـــوص نثرية،وكانت تدور في فلك التيار الأخلاقي والتربوي .وكان كامل الكيلانـــي يمثـــل الجيل الثاني ،ومحمود أبو الوفا،محمد سعيد العريان،عبد الحميد جودة السحار،عطية الأبراشي،وقد كانت النصوص الموجهة للأطفال في ازدياد ،وكانت تسير في أكثر من اتجاه ،منها التربوي الأخلاقي ،ومنها المتأثر بالتأثيرات الغربيـــة،وهناك القصـــص الديني المقتبس من القرآن الكريم،ولاسيما عند السحار والأبراشي والعريان،وهم بذلك أصلوا للأتجاه الإسلامي الذي تنامى فيما بعد،ثم ظهر الجيل الثالث وهو جيل نشـــيط ،أصدر الكثير من المجموعات القصصية والأشعار ،والمسرحيات الإسلامية،ورائده هوالشيخ أبو الحسن الندوي،ومن كتابه عبد الطيف عاشور،أحمد برانق،وغيرهم، وقد

ظهر كاتب الأطفال عبدالتواب يوسف في هذا الجيل، وقد كان شديد الاهتمام بتشكيل ثقافة متكاملة للطفل العربي، وكانت بداية مشواره مع أدب الأطفال ،عن طريق برامج الإذاعة، واستمر في هذا المجال ، قرابة أربعين عاماً، ثم كانت محاولاته في تقديم السيرة النبوية الشريفة للأطفال ، فكان فيل أبرهة يتحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا كان منطلق بداية الكتابة الدينية للأطفال، ودائماً ما يؤكد عبدالتواب على أن الكتابه الدينيةلاتعني السيرة أو التاريخ الاسلامي فقط ، بل تركز على أن الدين الإسلامي هو حياة المسلم ومنهجه في معاشه، وابتغائه لله في الدنيا والآخرة معاً.

و لعبد التواب يوسف جهودٌ كثيرة في الدراسات والأبحاث للكبار عن الطفولة وأدبها، ومن ذلك ما جمعه إبراهيم شعراوي في كتاب، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، كما هو موضح في الجدول التالي :

عنوان بحث عبدالتواب	المؤتمر/الندوة/الحلقة/المركز/المقدم من حلالها البحث	المكان	التاريخ
١- ثقافة الأطفال	مؤتمر خدمات الطفولة/ وزارة الشؤون الاجتماعية	القاهرة	أبريل ١٩٦٩
٢- الطفل والإذاعة	المؤتمر الأول لثقافة الأطفال/ وزارة التربية – جمعية ثقافة الأطفال	القاهرة	مارس ١٩٧٠
٣- الاهتمام بمسرح الطفل	حلقة الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربي/ منطقة الثقافة – الجامعة العربية	بيروت	سبتمبر ١٩٧٠
٤- الحقيقة والخيال عند الأطفال	حلقة برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون/ اتحاد الإذاعات العربية	القاهرة	مايو ١٩٧١
٥- تطور كتاب الطفل عالمياً	حلقة كتاب الطفل وجلته/ لجنة ثقافة الأطفال المجلس الأعلى	القاهرة	فبراير ١٩٧٣
٦- الأسرة وعلاقتها	ندوة خدمات الطفولة/ وزارة الشؤون الاجتماعية	القاهرة	يناير ١٩٧٣

بالطفل			
٧- النص المسرحي للطفل (أدب مسرح الطفل)	حلقة مسرح وسينما الطفل/ لجنة ثقافة الأطفال	القاهرة	يونيو ١٩٧٣
٨- التعاون بين الأسرة والمدرسة	ثقافة الطفل في الخليج والجزيرة العربية/ جمعية المرأة الكويتية	الكويت	يناير ١٩٧٥
٩-دور الإعلام والأدب في ثقافة الطفل	الكتابة للأجيال الجديدة/ اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا	مانيلا – الفلبين	يونيو ١٩٧٥
١٠- التربية القومية واحتياجات الأطفال	التربي ةالقومية للأطفال/ لجنة ثقافة الطفل	القاهرة	أكتوبر ١٩٧٦
١١- المسلسلات المصورة في مجلات الأطفال	صحافة الأطفال في بلادنا/ دار ثقافة الأطفال	بغداد	ديسمبر ١٩٧٧
١٢- تنمية الوعي القراءي	كتاب الطفل/ هيئة الكتاب	القاهرة	فبراير ١٩٧٩
١٣- الطفل والإذاعة	برامج الأطفال في الإذاعة/ اتحاد الإذاعات العربية	بغداد	مارس ١٩٧٩
١٤- الكتابة للطفل المصري	حول الطفل المصري/ نقابة الأطباء	القاهرة	مارس ١٩٧٩
١٥- كتاب			

الطفل العربي (الوضع الراهن)	الكتب المؤلفة بالعربية للأطفال/ منظمة الثقافة – الجامعة العربية	القاهرة	ديسمبر ١٩٧٩
١٦- شرح الإعلان العالمي لحقوق الطفل للأطفال	حقوق الطفل/ لجنة ثقافة الأطفال	القاهرة	ديسمبر ١٩٧٩
١٧- ماذا فوق رفوف مكتبات الأطفال	مكتبات الأطفال/ هيئة الكتاب	القاهرة	يناير ١٩٨٠
١٨- إذاعات الأطفال	المؤتمر الثاني لثقافة الأطفال/ وزارة التربية – جمعية ثقافة الأطفال	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٠
١٩- تجربتي الخاصة مع لغة الطفل	لغة الكتابة للطفل/ هيئة الكتاب	القاهرة	فبراير ١٩٨١
٢٠- الأطفال المعوقون : قراءة ومادة للقراءة	الطفل المعوق/ هيئة الكتاب	القاهرة	فبراير ١٩٨٢
٢١- كامل كيلاني .. وماذا يتحتم علينا ترجمته للأطفال	ندوة (كامل كيلاني)/ المركز القومي لثقافة الطفل	القاهرة	مارس ١٩٨٢
٢٢- إثارة الوعي الموسيقي لدى الأطفال من خلال الإذاعة	الطفل المصري والموسيقى/ كلية التربية الموسيقية	القاهرة	أبريل ١٩٨٢

٢٣- تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال	ماذا يريد التربويون من الإعلاميين/ مكتب التربية العربي لدول الخليج	الرياض	يونيو ١٩٨٢
٢٤- كتب الأطفال في الدول النامية	كتب الأطفال في الدول النامية/ هيئة الكتاب	القاهرة	فبراير ١٩٨٣
٢٥- بيكار .. كاتبا ورساما للأطفال	ندوة حسين بيكار/ المركز القومي لثقافة الطفل	القاهرة	مارس ١٩٨٣
٢٦- كتب الأطفال في الدول المتقدمة	كتب الأطفال في الدول المتقدمة/ هيئة الكتاب	القاهرة	فبراير ١٩٨٤
٢٧- بابا شارو والطفل والإذاعة	ندوة (بابا شارو)/ المركز القومي لثقافة الطفل	القاهرة	نوفمبر ١٩٨٤
٢٨- تبسيط العلوم للأطفال	الثقافة العلمية في كتب الأطفال/ هيئة الكتاب	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٤
٢٩- اغنية الطفل والترفيه عنه (إذاعيا)	ثقافة الأطفال في وسائل الاعلام/ مركز دراسات الطفولة جامعة عين شمس	القاهرة	يناير ١٩٨٥
٣٠- برامج الأطفال من خلال القمر الصناعي	القمر الصناعي العربي (الندوة الأولى)/ المركز الاعلامي للدراسات	القاهرة	يناير ١٩٨٥
٣١- تعليم الأباء : علم			

جديد نحتاجه			
٣٢- قصص الحيوان في ألف ليلة	القمر الصناعي العربي (الندوة الثانية)/ المركز الاعلامي للدراسات	القاهرة	مايو ١٩٨٥
كامل كيلاني وألف ليلة	ألف ليلة وأثرها على أدب الطفل/ لجنة ثقافة الطفل	القاهرة	مايو ١٩٨٥
٣٣- (ندوة معلقة بدون بحوث)	تأصيل التراث لدى الطفل العربي/ مركز التراث الشعبي	الدوحة - قطر	سبتمبر ١٩٨٥
٣٤- الطفل والقيم			
٣٥- أدب الأطفال في الخليج العربي	القيم التربوية في ثقافة الطفل/ هيئة الكتاب	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٥
٣٦- الأدب الشعبي في عصر التلفزيون	كتب الأطفال في الخليج العربي/ مكتب التربية لدول الخليج	البحرين	ديسمبر ١٩٨٥
٣٧- تأثير الأدب العربي على أدب الأطفال العالمي	إشكالية الكتابة للأطفال/ إدارة الأدب - وزارة الشؤون الثقافية	تونس	مايو ١٩٨٦
٣٨- (بدون بحوث)	الندوة الدولية لكتاب الطفل/ هيئة الكتاب	القاهرة	نوفمبر ١٩٨٦
٣٩- القيم في مجلة للأطفال العرب	حلقة نقاشية حول برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون/ معهد الإذاعة	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٦
٤٠- نحو حملة وطنية	اصدار مجلة للأطفال على مستوى الوطن العربي/ لجنة	القاهرة	أبريل ١٩٨٧

من أجل قراءات الأطفال	ثقافة الأطفال		
٤١- التعامل مع التراث في الكتابة للطفل العربي	الطفل والقراءة/ هيئة الكتاب	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٧
٤٢- كيف نروي القصص لأطفال الرياض	أطفالنا والتراث/ لجنة ثقافة الطفل	القاهرة	مايو ١٩٨٨
٤٣- صحافة الأطفال ومجلاتهم	مربيات رياض الأطفال/ وزارة الثقافة والفنون	الشارقة/ الامارات	يونيو ١٩٨٨
٤٤- شعر الأطفال عالميا	ثقافة الطفل العربي/ المجلس العربي للطفولة	القاهرة	أكتوبر ١٩٨٨
٤٥- لماذ يقرأ الطفل ؟	الطفل والشعر/ هيئة الكتاب	القاهرة	نوفمبر ١٩٨٨
٤٦- ماذ يقرأ أطفال العالم اليوم	كتب الأطفال/ وزارة الثقافة	عمان/ الأردن	مارس ١٩٨٩
٤٧- كتب الأطفال في الوطن العربي	أدب الأطفال في دول مجلس التعاون/ إدارة الثقافة والفنون	الدوحة/ قطر	مارس ١٩٨٩
٤٨- نحو استراتيجية اعلامية للطفل العربي	ثقافة الطفل/ وزارة الاعلام والثقافة	صنعاء	يوليو ١٩٨٩

٤٩- النصيب العادل لطفلنا من الأدب	رسم استراتيجية لرعاية الطفل العربي/ اليونسيف – وزارة الشؤون هيئة الكتاب	بغداد	أكتوبر ١٩٨٩
٥٠- العاب الأطفال ولعبهم الشعبية	عقد حماية الطفل/ وزارة الشؤون	القاهرة	نوفمبر ١٩٨٩
٥١-أدب الطفل المسلم	العاب الأطفال ولعبهم/ المنظمة الإسلامية للثقافة	القاهرة	ديسمبر ١٩٨٩
٥٢- مسيرة أدب الطفل المصري	ثقافة الطفل المسلم/ مركز أدب الأطفال	البحرين	يناير ١٩٩٠
٥٣- الأدب في مجلات الأطفال	أدب الطفل المصري/ مركز تنمية الكتاب	القاهرة	يونيو ١٩٩٠
٥٤- الطباعة على العينين والاذنين	مجلات الأطفال في الوطن العربي/ ادارة الثقافة	القاهرة	نوفمبر ١٩٩٠
٥٥المهرجان في الميزان	ندوة التمثيلية الإذاعية المرئية والمسموعة	أبو ظبي	أكتوبر ١٩٩١
٥٦- الطفل والقراءة	مهرجان القراءة للجميع/ هيئة الكتاب	القاهرة	نوفمبر ١٩٩١
٥٧- غرس القيم في نفوس الأطفال	مهرجان القراءة/ اللجنة العليا للقراءة	عمان/ الأردن	مارس ١٩٩٢
٥٨- كتابة السير الشعبية للأطفال ٥٩- كتابة	مؤتمر الإعلام الإسلامي/ الأزهر ومؤسسة اقرأ	القاهرة	مايو ١٩٩٢

السيرة العطرة للأطفال ٦٠-	ندوة مؤتمر السير الشعبية/ جامعة القاهرة، ومركز ثقافة حوض البحر الأبيض	القاهرة	١٩٨٥م
القصص الشعبي وكتابته للأطفال	مؤتمر السيرة النبوية الرابع/ الأزهر الشريف	القاهرة	١٩٨٦
٦١- شوقي شاعرا للأطفال	ندوة الأدب الشعبي/ معهد ومركز التراث الشعبي	القاهرة	١٩٨٦م
٦٢- الكتب الدينية للأطفال			
	ندوة شوقي وحافظ/ هيئة الكتاب	القاهرة	١٩٨٤
٦٣- دور الإذاعة في تنمية الوعي القرآني	ندوة كتاب الطفل القاهرة/ مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	
٦٤- تطور كتب الأطفال			
٦٤- مكتبات الأطفال العامة	ندوة كتاب الطفل القاهرة/ مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	
٦٥- التلفزيون وكتاب الطفل	ندوة مكتبات الأطفال القاهرة/ مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	١/٢٩- ١٩٧٩/٢/١
	ندوة مكتبات الأطفال القاهرة/ مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	١/٢٩- ١٩٧٩/٢/١
٦٦-			

الوحشية في رسوم كتب الأطفال	ندوة مكتاب الأطفال القاهرة/ مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب ندوة كتب الأطفال ومجلاتهم في الدول المتقدمة – هيئة الكتاب – مركز تنمية الكتاب		١/٢٦-١٩٨٠/١/٢٨ ١/٢٨-١٩٨٤/٢/٢
وأضيف إلى ما جمعه إبراهيم شعراوي. دراسات و مقالات نُشرت لعبد التواب في مجلات وهي على النحو التالي :			
١)الطِفلُ والمسرح	مجلة الفيصل عدد ٣١		ديسمبر ١٩٧٩
٢) الأدب الإسلامي في مواجهة اللا أدب	مجلة الأدب الإسلامي المجلد الخامس، عدد ١٧		
٣) حي بن يقظان والأدب الإسلامي	مجلة الأدب الإسلامي المجلد الرابع، عدد ١٥		ربيع الأول ١٤١٨هـ
٤) تنمية قدرات الطفل الثقافية ومستقبل ثقافة الطفل العربي	القافلة عدد (١)		يوليو ١٩٩٣
٥) حي بن يقظان أدب إسلامي	ثقافة الطفل العربي المجلد السادس، عدد ٢١		١٤١٩هـ
٦) كتاب الطفل في عامه الدولي	مجلة المكتبات والمعلومات العربية السنة الأولى عدد (٢)		ابريل ١٩٨١
٧) شعر			

الأطفال الى أين ؟	مجلة القافلة، عدد ١٢ المجلد (٤٣)		مايو ١٩٩٥
٨) مع الكتب	صحيفة المكتبة عدد (١) المجلد (١٨)		يناير ١٩٨٦
٩) الأطفال الموهوبون كيف نكتشفهم ونرعاهم لينفعوا ؟	الفيصل عدد ٢٣٩		أكتوبر ١٩٩٦
١٠) نحو رواية عربية	الفيصل عدد ٢٠٣		نوفمبر ١٩٩٣
١١) الكتاب الالكتروني يخنق الورقي	المعرفة عدد ٤١		ديسمبر ١٩٩٨
١٢) المعلّم ما بين الانصاف والاجحاف	المعرفة عدد ٢١٧		ديسمبر ١٩٩٦
١٣) كيف تصبح القراءة حبا عائليا	العربي عدد ٤٤٠		يوليو ١٩٩٥
١٤) شوقي شاعر للأطفال	مجلة الثقافة عدد ١٠٩ وقد كانت مشاركته لندوة شوقي وحافظ عام ١٩٨٤م، شوقي شاعرا للأطفال. من خلال هيئة الكتاب		١٩٨٢
١٥) الطفل العربي والأدب الشعبي	الفيصل عدد ١٨٧		يوليو ١٩٩٢
١٦) لقاء			

الأجيال	الفيصل عدد ٢٠٩		مايو ١٩٩٤
١٧) تطوّر كتب الأطفال	الفيصل عدد ٥٠ وكانت في ندوة كتاب الطفل بالقاهرة يناير ١٩٧٩م		يونيو ١٩٨١
١٨) تجربتي كاتبا للأطفال			
١٩) الأسرة وعلاقتها بالطفل	الفيصل عدد ١٧١ الفيصل عدد ٤ وكانت في ندوة خدمات الطفولة يناير ١٩٧٢م		ابريل ١٩٩١ سبتمبر ١٩٧٧
٢٠) ترجمة كتب الأطفال حركتها واتجاهاتها ومشكلاتها في الوطن العربي	مجلة المكتبات والمعلومات العربية عدد ٣		يوليو ١٩٨٣
٢١) نحو مدارس أدبية في نقد أدب الأطفال	الموقف الأدبي عدد ٢٠٠		كانون الأول ١٩٨٧
٢٢) كامل كيلاني وألف ليلة	فصول عدد ٢		صيف ١٩٩٤
٢٣) مسرح طفل ما قبل المدرسة	الفيصل، عدد ٢٢٤		يوليو ١٩٩٥
٢٤) كتب الأطفال المتميزة	الفيصل، عدد ٢٤٧		يونيو ١٩٩٧
٢٥) الكلمة المكتوبة في			

إعلام رشيد للطفل	القافلة مجلد ٤٣، عدد ٤		سبتمبر ١٩٩٤

كما أن له عدة مؤلفات للكبار عن الأطفال وأدبهم ، منها_ وليس على سبيل الحصر_ بالإضافة إلى ما ذكرها د/ حسن عبدالشافي :

١- فصول في أدب الطفل المسلم، جدّة، ١٩٩٢م.
٢- تنمية ثقافة الطفل، دمشق، ٢٠٠٢م.
٣- أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، دمشق، ٢٠٠٢م.
٤- ثقافة الطفل واقع وآفاق، وهو أحد مؤلفيه، ط٢، دمشق، ٢٠٠٠م.
٥- الطفل العربي والأدب الشعبي، القاهرة، ١٩٩٢م.
٦- ثقافة الطفل العربي وهو من المشتركين في التأليف، الكويت، ٢٠٠٢م.
٧- حول أدب الأطفال وكتبهم، الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف، ٢٠٠١م.
٨- طفل ما قبل المدرسة.
٩- محمد معلماً مربياً، ١٩٧٥م.

وله في غير هذا المجال :
١- الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

أما عن جهود عبد التواب يوسف في مجال الإبداع الأدبي الإسلامي للأطفال ، كما جمعه د . حسن محمد عبد الشافي في كتاب عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي فهو على النحو التالي :

- **سلسلة المكتبة القرآنية سنة ١٩٨٧م وهي:**
  ١. القرآن كتاب نزل من السماء في رمضان
  ٢. القرآن كتاب هزم الشيطان
  ٣. القرآن كتاب حفظه الرحمن
  ٤. القرآن كتاب لكل زمان

٥. القرآن كتاب لكل إنسان

٢) سلسلة أركان الإسلام وتضم خمسة أقسام وهي كالتالي :

١. الشهادة :

١.الله أكبر
٢.سبحان الله
٣.الاعتماد على الله
٤.الرازق الرزاق
٥.المؤمن الصغير

٢. الصلاة :

١.بيت الله
٢.الكروان
٣.مسألة الحساب
٤.الجامع
٥.ليلة فرضت الصلاة

٣. الزكاة :

١.زكاة الفطر
٢.مانع الزكاة
٣.حق الله.
٤.مال المسلمين
٥. القرض الحسن

٤. الصوم :

١.اللقاء الطريف
٢.جامعة رمضان
٣.الدكتور رمضان
٤.شهر الإيمان
٥.ليلة القدر

٥. الحج :

١.عيد التضحية
٢.رسالة إلى العيد
٣.أول يوم العيد
٤.الحاج الطيب
٥.الحجر الأسود

٣) سلسلة قصص الأنبياء للأبناء سنة ١٩٨٩م وتضم :

١. آدم عليه السلام
٢. نوح عليه السلام
٣. هود عليه السلام
٤. صالح عليه السلام
٥. إبراهيم عليه السلام ١
٦. إبراهيم عليه السلام ٢
٧. إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ١
٨. إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ٢
٩. لوط عليه السلام
١٠. إسحاق عليه السلام
١٠. يعقوب عليه السلام
١١. يوسف عليه السلام
١٢. أيوب عليه السلام
١٣. شعيب عليه السلام
١٤. موسى عليه السلام
١٥. موسى وهارون عليهما السلام
١٦. موسى وهارون والسامري
١٧. موسى والخضير عليهما السلام
١٨. داود وطالوت
١٩. داود وسليمان عليهما السلام

٢٠. سليمان عليه السلام
٢١. يونس عليه السلام
٢٢. زكريا عليه السلام
٢٣. يحي عليه السلام
٢٤. مريم البتول عليها السلام
٢٥. عيسى عليه السلام ١
٢٦. عيسى عليه السلام ٢

٤) سلسلة حياة الخليل إبراهيم عليه السلام سنة ١٩٨٣م وهي :
١. كوكب الأرض
٢. سفينة الفضاء
٣. الصنم الكبير
٤. البعوضة الرهيبة
٥. الطيور الأربعة
٦. بئر زمزم
٧. كبش الفداء
٨. العجل السمين
٩. الكعبة الشريفة
١٠. بئر سبع

٥) أصحاب الفيل ، لرياض الأطفال سنة ١٩٧٣م
٦) محمد عليه الصلاة والسلام يتحدث عن حياته ، سنة ١٩٧٧م
٧) حياة محمد في عشرين قصة ، سنة ١٩٨١م
٨) طفولة النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة ١٩٨٤م

٩) سلسلة محمد خير البشر ، ١٩٨٥م وتضم:
١. عظمة محمد صلى الله عليه وسلم

٢. مولد محمد صلى الله عليه وسلم
٣. محمد من المولد إلى الرسالة
٤. محمد وأعظم رحلة في التاريخ
٥. هجرة محمد .. لماذا؟
٦. محمد المهاجر العظيم
٧. محمد العامل
٨. محمد الزاهد
٩. محمد الأب الحنون
١٠. محمد الحليم البار
١١. محمد الرسول الباسم
١٢. محمد قاهر الإمبراطوريات الثلاثاء
١٣. محمد عين الله تحرسه
١٤. محمد راعي الطفولة
١٥. محمد الكريم العطوف

١٠) قصص الأطفال من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ١٩٧٨م

١١) سلسلة فرسان الإسلام ، سنة ١٩٨٥م وهي :

١. عمر بن الخطاب
٢. عمرو بن العاص
٣. سعد بن أبي وقاص
٤. حمزة بن عبد المطلب
٥. صلاح الدين الأيوبي
٦. المثنى بن الحارثة
٧. طارق بن زياد
٨. خالد بن الوليد

٩. أسرة شهداء الإسلام
١٠. عقبة بن نافع
١١. خولة بنت الأزور
١٢. بلال مؤذن الرسول
١٣. أبوعبيدة بن الجراح
١٤. الزبير بن العوام
١٥. طلحة بن عبدالله

١٢) سلسلة أطفال أبطال ، ١٩٨٥م وتضم :

١. أطفال أبطال
٢. زين العابدين
٣. أسامة بن زيد
٤. عبد الله بن الزبير
٥. رافع وسمرة

١٣) سلسلة انتصار العروبة والإسلام في معارك الحرب والسلام ، ١٩٨٢م

معاركنا الكبرى :

١. ذات السلاسل ، ٢. يوم الحيرة ، ٣. موقعة البويب

١٤) سلسلة شروق الإسلام ، ١٩٩٠م

١. راية الإسلام تعلو على عمان
٢. عمرو في مصر

١٥) سلسلة من كل بلد عربي قصة ١٩٩١م

١. الطريق إلى عين جالوت من مصر
٢. شجيرة الريحان من سوريا

٣. يوم الحصاد من الأردن
٤. عام المركب من ليبيا
٥. مائدة الحب من لبنان
٦. سلطان العلم من العراق
٧. اللؤلؤة الجملية من الكويت
٨. الزرزور من الإمارات العربية
٩. الواجب من عُمان
١٠. كلبة القيلولة من قطر

١٦) سلسلة قصص الوطن للأطفال ، ١٩٨٣م وهي :

١. آباء وأبناء
٢. الحذاء الجديد
٣. الكلب الحارس
٤. الناقة التي أفزعت السوق

١٧) اللقاء الفريد بين علماء العرب وعلماء الغرب ١٩٨٠م وتضم :

١. الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن في علم الضوء
٢. أحمد بن ماجد يقابل فاسكو داجاما في الطريق إلى الهند
٣. عباس بن فرناس يقابل الأخوين رايت ولندنبرج في علم الطيران
٤. المعز لدين الله الفاطمي يقابل وترمان في القلم الحبر
٥. رفيدة بنت سعيد تقابل فلورنس نيتجيل في علم التمريض
٦. ابن النفيس يقاب ولمي هارفي في اكتشاف الدورة الدموية
٧. ابن يونس المصري يقابل جاليليوفي اختراع الساعة
٨. حي بن يقظان يقابل روبنسون كروزوفي جزيرة الوحدة
٩. ابن خلدون يقابل دور كهايم في علم الاجتماع
١٠. فلاح مصري يقابل بافليوف علم النفس

١٨) مجموعة كان ياما كان ، قصص علمية عن أطفال الحيوانات ، ١٩٧٩م

١٩) سلسلة حول الرياضة ، ١٩٨٩م

١. الرياضة في الإسلام : الرماية ، السباحة ، ركوب الخيل
٢. عام الرياضة للطفل
٣. كرة القدم وسر النجاح
٤. الرياضة في الإسلام فريضة ورياضة

٢٠) وقد قدم لهم من الشعر : ونضم قصصاً شعرية للأطفال :

١. ديوان إبراهيم العرب للأطفال ١٩٩٠م
٢. ديوان شوقي للأطفال ١٩٨٤م
٣. ديوان كامل كيلاني للأطفال ١٩٨٨م
٤. ديوان الهراوي للأطفال ١٩٨٥م
٥. ديوان معروف الرصافي للأطفال ١٩٧٨م

٢١) وله مسرحيات وحكايات إسلامية ١٩٨٥م منها :

١. سلسلة عدل المسلمين
٢. سلسلة مال المسلمين
٣. سلسلة إيمان المسلمين
٤. سلسلة قوة المسلمين
٥. سلسلة زهد المسلمين

٢٢) وأيضا ، سلسلة مسرحيات جحا ١٩٨٦م :

١. جحا صانع الحمير
٢. جحا وأمطار النقود
٣. جحا والقدرة المتكلمة

٤. جحا والحذاء الهارب
٥. جحا يطعم ثيابه

وفما يلي تكملة لقائمة د . حسن عبد الشافي مكملة لإنتاج عبد التواب يوسف الأدبي الإسلامي للأطفال على النحو التالي :

١) سلسلة محمد خاتم النبيين سمن ١٩٩١م ، وهي تابعة لسلسلة قصص الأنبياء للأبناء ، وتضم :

١. نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
٢. مولد محمد صلى الله عليه وسلم
٣. محمد في بيت جده عبد المطلب
٤. محمد يعمل في التجارة
٥. محمد الزوج والأب
٦. محمد رسول الله
٧. الدعوة في مكة
٨. هجرة الرسول إلى المدينة المنورة
٩. الدولة الإسلامية في المدينة المنورة
١٠. محاربة اليهود والمشركين
١١. انتشار الإسلام في جزيرة العرب
١٢. وفاة محمد صلى الله عليه وسلم

٢) سلسلة قصص دينية عصرية ، سنة ١٩٩٧م وكل قصة تحمل في طياتها اكثر من قصة :

١. الأمل الضائع
٢. الرضيع الضائع
٣. المهاجرة الصغيرة

٤. عطاء السماء
٥. من هو البطل

٣) سلسلة نور الأيمان ، سنة ١٩٩٩م ، وقد تحصلت على :

١. البسملة
٢. السبحلة

٤) سلسلة هيا نقرأ ، سنة ١٩٩٩م وتضم :

١. الكتاب إنسان
٢. قارئ الصور
٣. شجرة الكتب
٤. الكتاب غال
٥. أنا أقرأ .. فأنا موجود
٦. الفراغ العريض
٧. كنوز الكتب
٨. مذكرات تلميذ
٩. مهرجان بدون مهرج
١٠. طارد الطيور
١١. الفأر القارض للشعر
١٢. عش الحروف
١٣. يقرأ وهو يمشي
١٤. دودة الكتب
١٥. الوزير الصغير

٥) سلسلة حكايات عائلية سنة ١٩٩٥م وتضم :

١. أسرة مترابطة

٢. آباء وأبناء
٣. أخت وأخ
٤. ولد وبنت
٥. أب جديد
٦. زوجة أبي
٧. أبي على المعاش
٨. الصغير و المدرسة
٩. العائلة الكريمة

٦) سلسلة لغتنا الجملية ، سنة ٢٠٠٠م والتي منها :

أ ــ حكايات نحوية :

١. حكاية النحو
٢. رائحة التفاح
٣. عبقري العربية
٤. القواعد المنظومة
٥. الصحيفة الصفراء
٦. صاحب المعجم
٧. الأعجميان
٨. الحروف الاجتماعية

٧) سلسلة البيئة، سنة ١٩٩٧ م. وتضم :

١. الشجرة ثروة
٢. صور مؤذية
٣. حكايات من البيئة
٤. الكرة رياضة وحياة
٥. وساد الهدوء

ماذا قيل عن عبدالتواب يوسف ؟؟

تقول د. سهير القلماوي : ((إن عبدالتواب يوسف، منذ وقت مبكر استطاع أن يميز ما بين أدب الأطفال والكتابة للأطفال .. إن هناك كثيرون يكتبون للأطفال، لكن القليل هم الذين أنتجوا أدباً حقيقياً، وهو في طليعتهم كماً وكيفاً، فقد حافظ رغم وَفْـرَةَ إنتاجه على جودته)) وذلك في مقالة : عبدالتواب يوسف وأدب الطفل.

ويقول د. مصطفى كمال حلمي : ((لهذا الأديب ذلك النمط الفريد الذي يتميز به، وأعني به : الانتماء : إنّه ينتمي إلى عقيدة وإلى مجتمع وإلى وطن وإلى قيم)) وكان ذلك في مقالة عن عبدالتواب بعنوان : عبدالتواب يوسف .. الكاتب المنتمي.

ويشير د. عبدالعزيز كامل إلى كتاباته في السيرة النبوية، فيقول : ((جعلَ من كتاباته معبراً بين السيرة والأجيال الجديدة من أبنائنا)) وكانت مقالته عن عبدالتواب بعنوان : عبدالتواب يوسف وكتابة السيرة النبوية للأطفال.

ويرى د. محمد حافظ غانم : ((أنّه قدّم للمكتبة الإسلامية، وللناشئة، العديد من الكتب، بينها الله جلّ جلال، يهدف الإجابة عن أسئلتهم الكثيرة، ورغبة في إثراء وجدانهم الديني وثقافتهم الروحية)) وذلك في مقالته : عبدالتواب يوسف والثقافة الدينية للطفل العربي المسلم.

ويشير د. عز الدين إسماعيل إلى جهود عبدالتواب ويصفه بأنه : ((الكاتب الذي نذر حياته لأدب الأطفال، مبدعاً ودارساً، وقدّم لهم بالإضافة إلى كتبه الكثيرة، بضع مئات من البرامج الإذاعية)) وذلك من مقالته : عبدالتواب يوسف وتطور الكتابة القصصية للأطفال.

وينظر د. عبدالعزيز المقالح إلى نتجات كاتبنا فيجد أنّه يهتم بـ : ((إيجاد النص الأدبي السهل العميق، الذي يصل مباشرة إلى قلب الطفل العربي من المحيط إلى الخليج، ... ويزرع في مخيّلاتهم الصغيرة، القيم الرفيعة، والمثل النبيلة)) ذلك في مقالته : عبدالتواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين.

أما د. نجيب الكيلاني فإنه يستعرض بعض الآراء لعبدالتواب حول ما يكتب للأطفال، كخبير في هذا المجال. بداية قبل تحليله لقصة صديقي الحقيقي، وذلك في مقالته : عبدالتواب وصديقي الحقيقي.

ويقول عنه د. عبدالفتاح المليجي : ((إن الأستاذ عبدالتواب يوسف، يبذل الكثير من أجل أبنائنا ومن أجل مكتبتهم التي ما زالت تحتاج إلى جهود مضاعفة)) وذلك ضمن مقالته : عبدالتواب يوسف وعيد الطفولة وأدب الطفل.

وتشير د. نبيلة إبراهيم في مقالتها، حول أعمال عبدالتواب يوسف للأطفال، المنهج الذي حاول أن يطبقه بحزم في عدة محاور. وقد جعلتها في ثلاثة محاور، الأول : الذي تدور عليه أعمال تتصل صلة وثيقة بالإسلام والثقافة الإسلامية للطفل، تبدأ بالقرآن والأحاديث والسيرة وقصص الأنبياء والقيم الإسلامية عامة، ثم المحور الوطني، فالثالث المحور التربوي، وإن كنت قد قلت في البحث أن الإسلام وقيمه يتضمن القيم الوطنية والتربوية، فالإسلام هو تربية الفرد والمجتمع، الذي يعيش في الوطن.

ويرى د. حسن عبدالشافي أن إبداعات عبدالتواب يوسف قد جمعت بين المعلومة والتشويق في نسيج متلاحم، وأنه قد أسهم بموضوعات كثيرة تسهم في تنشئة الطفل العربي دينياً وثقافياً وعلمياً، وذلك ضمن مقالته : عبدالتواب يوسف وقراءات الأطفال. وقد قام د. حسن عبدالشافي بعمل قائمة ببلوجرافية لإنتاج عبدالتواب يوسف الفكري، وهي كما يقسمها على النحو التالي :

أ) قسم لكتب الأطفال. ب) كتب الكبار.

فجعل قسم كتب الأطفال تحت عناوين، وقد قام بمجهود كبير في جمعها وترتيبها وتصنيفها.

فكانت القصص التي تحمل طابع الإسلام، من: القرآن الكريم وأركان الإسلام ثم التاريخ الإسلامي، ثم قصص الأنبياء والسيرة النبوية، ثم الدواوين الشعرية للأطفال، فالقصص التي تهتم بالرياضة فالسير والتراجم عربية وأجنبية، الفنون الجميلة، ثم قصص تربوية، فقصص دينية شعرية، عربية، علمية، قصص ومسرحيات مترجمة، قصص وطنية، مسرحيات وحكايات إسلامية، مسرحيات فكاهية. كتب لرياض الأطفال.

وقد جعل لكل عنواناً مما سبق قصصاً وسلاسلاً تحت ذلك العنوان.

ثم كتب للكبار وهي كما ذكرها :

- قلبي وعقلي وقلمي. – سيرة ذاتية.
- كان أبي معلماً.

- كتب الأطفال في عالمنا المعاصر.
- الهراوي رائد مسرح الطفل العربي.
- دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء.
- رعاية الطفل المعوّق.
- شعر الأطفال.
- الطفل والموروث الشعبي.

وقد تحصلت على كتب أخرى لعبدالتواب بعد ذلك التاريخ كما سبق وأن ذكرتها. كما أنني عملت جهدي لأحصل على أكبر قدر من القصص الدينية الإسلامية لـه. وكانت هناك معضلة، وهي أنّ دور النشر في القاهرة تنفد لديها النسخ المطبوعة. وذلك لتهافت المكتبات المدرسية على اقتناء أعاله الإبداعية.

كانت المقالات السابقة عن عبدالتواب، قد جمعت في كتاب : عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، وذلك بمناسبة تكريم جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٩٩١، وجائزة المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٩٠م، وقد أضاف عليها إبراهيم شعراوي في الطبعة الثانية، ثلاث دراسات، مقالة د. سهير القلماوي، ودراسة نبيلة إبراهيم، ثم دراسة د. حسن عبدالشافي.

أما ما ذكر عنه في كتب أدب الأطفال الأخرى – فليس على سبيل الحصر نحو :

ما يقوله عنه محمد بريغش في كتابه، أدب الأطفال أهدافه وسماته : ((أنه كاتب غيور على أمتّه وعلى قيمها)) وكان يستشهد ببعض آرائه في كتابه والتي منها : ((إن الاتصال بالغرب قد أدى إلى الانفصال بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين بعضنا البعض في الدول النامية، وإن كتب الغرب وبرامجه رسخت في أبنائنا قيماً غريبة عن أوطاننا)).

ويعدّه سامح كريم في مقاله : مجلات الأطفال وتنمية الميول للقراءة ((من الكتاب الجادين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الكتابة للطفل كرسالة وليست تجارة)).

ويرى محمد المنسي قنديل في مقالة مشكلات الكتابة للطفل العربي إن مشكلة القصص الديني، أنها ذات طابع مقدّس، لا مجال فيها للإبداع أو استخدام شطحات الخيال، وأننا لم نمر بمرحلة التأليف إلا من خلال نماذج نادرة منها أعمال لعبدالتواب يوسف.

كما يرى د. محمد حامد أبو الخير، في كتابه عبدالتواب يوسف ومسرح الطفل العربي، أنه إشراقة لأطفالنا، فهو منح حياته لصناع الغد، وأنّه رائد ثقافة الأطفال في الوطن العربي بشكل عام. وفي مصر بالأخص، فجهده الفياض ذو الموهبة النادرة تشهد عليه إنجازاته.

ولن أستطيع أن أقول بعد ما قيل عنه الكثير غير أن أصِفَهُ بأنه مبدع مُكثِر غيور على أبناء أمّته العربية والإسلامية. وأنه من خلال كتاباته للكبار وللأطفال يشعر بمسؤولية كبيرة على عاتقه، وأنّه ينشر رسالة حق.

عبدالتواب في سطور

- ولد في أكتوبر عام ١٩٢٨م في قرية (شزا) مركز (الفشن) محافظة بني سويف.
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في بني سويف.
- أنهى البكالوريوس في العلوم السياسية في عام ١٩٤٩م والماجستير عام ١٩٥٣م.
- كان أول عمل له في الإذاعة للأطفال عام ١٩٥٠م من خلال برنامج (بابا شارو)وهو محمد محمود شعبان وكان إذاعيا وكاتب قصص للأطفال ،وكان عبد التواب يوسف يمد البرنامج بقصصه،وهو يشارك بقصصه في برنامج شهير لايزال يبث إلى الوقت الحالي اسمه (أبلة فضيلة توفيق في غنوة وحدّوتة).
- تولى أعمالاً إدارية آخرها رئاسة شعبة الثقافة في العلاقات العامة حتى ١٩٧٥م.
- أنشأ جمعية ثقافة الأطفال.
- أقام أول مؤتمر لثقافة الطفل في مصر عام ١٩٧١م، وكان مقرره.
- عضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر.
- له أكثر من ٣٠٠ كتاب في أدب الأطفال.

حاز على عدة جوائز :

- نال جائزة الدولة في أدب الأطفال عام ١٩٧٥م، على كتابه مجموعة قصص عربية.
- كان أول من حصل على جائزة الدولة في ثقافة الأطفال عام ١٩٨١م، لكتابه اللقاء الفريد.
- حصل على الجائزة الأولى لثقافة طفل الريف ،من المجلس الأعلى للشباب والرياضة عام ١٩٧٠م.
- حصل على وسام العطاء الذهبي، من وزارة التربية والتعليم على جهوده في العام الأول للطفل عام ١٩٧٩م.
- حصل على الميدالية الذهبية لاتحاد الإذاعات العربية عام ١٩٨٠م.
- ميدالية اتحاد الإذاعة والتلفزيون عام ١٩٨٠م.
  شهادة رواد الإذاعة عام ١٩٨٢م.
  شهادة تقدير على برامجه للأطفال عام ١٩٨٢م.
  ميدالية العام الدولي للطفل (بغداد) عام ١٩٨٠م.
- جائزة الملك فيصل العالمية لأدب الأطفال عام ١٩٩٠م.
- أقام أول م}تمر لثقافة الطفل في مصر عام ١٩٧١م ،وكان مقرره .
- وأنشأ جمعية ثقافة الأطفال عام ١٩٨٦م.
- كما أنه عضو لجنة ثقافة الأطفال بالمجلس الأعلى للثقافة، وشارك في ندواتها.
- كان صاحب فكرة إصدار مجلة الفردوس للطفل المسلم، ملحق منبر الإسلام، تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وقد أصدرت عام ١٩٦٨م.
- قام بتدريس مادة ثقافة الأطفال وأدبهم ،في العديد من الجامعات والكليات المصرية والعربية.

أختير خبيراً ومستشاراً لشؤون الطفل ،لدى عدد من الهيئات والمؤسسات من بينها :-

- هيئة اليونسكو.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض.

- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. شارك في إعداد مكتبة للأطفال وبالدراسات حولهم.
- دار ثقافة الأطفال ببغداد. وقد شارك في ندواتها.
- الهيئة المصرية العامة للكتاب. يراجع الكتب التي تنشرها للأطفال وشارك في ندواتها، ويكتب لها البحوث والدراسات.
- اتحاد الإذاعات العربية برامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون.
- وهو من أعضاء اللجنة العلمية بمركز توثيق وبحوث أدب الأطفال :

WWW. arelkoroborg/ARABIA/HTMML/centers/CHILDREN.HTM

الفصل الأول
مصادر قصص عبدالتواب للأطفال :

أ) القرآن الكريم والحديث الشريف
ب) السيرة النبوية.
ج) التاريخ الإسلامي.
د) التراث الأدبي العربي.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

لقد أرسى الاسلام القواعد والأصول لكل مناحي الحياة فكراً، وسلوكاً، وفنـاً. وتوالت عصور الإسلام الزاهرة وهي تضع في حسبانها حقوق الطفل فـي الحيـاة، والمال، والرعاية والتعليم. فقد أدرك أقدمون من علماء الإسلام، أن المنهج التربوي الشامل للطفل، لا يتم اكتماله إلاّ إذا راعى النواحي المختلفة مـن : عقيـدة دينيـة، منجزات وحقائق علمية، جوانب ترفيهية، وفكاهة، إلتزامات أخلاقية، تنمية المهارات الرياضية السباحة والرماية وركوب الخيل، تنمية المواهب والمهارات الابداعية الفنية، إثراء الحصيلة الثقافية وغير ذلك.

وحجر الأساس في ذلك كله، العقيدة الراسخة المستقرة، وتتمثل في: الإيمـان بالله ورسله وكتبه وشريعته، وترسيخ العقيدة يتبعه بالضرورة التمكين لقـيم الحـق والخير والجمال والفضيلة والحرية.

وليس الأمر بالغ الصعوبة – كما يتوهم بعض الدارسين والمـربين – فلـيس غريباً أن ينشأ الطفل وهو يستظهر قصار السور منذ الثالثة، وهـو يحفـظ بعـض المأثورات الدينية، والأناشيد الدينية وكل ذلك قبل الخامسة أو الرابعة.

وإذا أردنا أن يسهم أدب الأطفال تشكيل الوجدان لدى الطفل تشكيلاً إسلامياً، يجب أن نعرض الآداب والسلوكيات الإسلامية، مـن خـلال المصـادر الأساسـية للإسلام،ونتخير من بين مفرداتها ماينهض بنسج قصص للأطفال.

فمسئولية أدب الأطفال أن يعنى بذلك وبالدرجة الأولى، وأن يقدمه في نماذج، إمّا بشرية تتحرك في الحياة، أو أحداثا ملفتة تجري على أرض الواقع، أو في عـالم الخيال، وإما على ألسنة الحيوانات، والطيور، والجماد، ومن خلال ذلك يوعز للطفل

بأن قوة العقيدة وسلامتها هي مصدر الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وأنها الغاية من الوجود.[1]

فمهمة الأديب الذي يكتب للأطفال، لا تقف عند العرض والكشف، بل مهمته فوق ذلك، تقوية إيمان الطفل بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشرّه وباليوم الآخر، ومن هنا يمكن أن نقول إن أدب الأطفال ليس مجرد عرض للأخبار، ولكنه غالباً ما ينقل المعرفة إلى الصغار، فليس لمجرد السمر، وقتل الوقت، كما أنه أيضاً يقدم لقرائه أو سامعيه، تجارب البشرية من خلال المتعة و السرور.[2]

فالقصة وسيلة مهمة من وسائل القرآن الكريم، في التعبيروالتأثير،وهي أيضا وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة الإسلامية،فالقرآن الكريم جاء ليصحح عقائد الناس ويقوّم ويصلح أخلاقهم،ويهديهم إلى سواءالصراط منذرا تارةومبشرا أخرى، معتمدا في ذلك على الأمروالنهي المباشرين والصور الموحية،والمفردة الدالة،ثم القصة المؤثرة.

ويأتي علماء النفس والتربية، بعد قرون طوال من نزول القرآن الكريم، ليؤكدوا أثر القصة وأهميتها في التنشئة والتربية، وأنها تفتح الآفاق أمام الطفل، وتثرى خياله، وتنمي مهاراته وابداعه، وتمدّه بطاقة روحيه ونفسية وفكرية كبيرة، كما أنّها تزوّده بمختلف الخبرات الثقافيه والوجدانية والنفسية والسلوكية.[3]

لذلك ينبغي أن نبحث عن مصادر أدب الأطفال في مصادرنا الأساسية : كتاب الله عز وجل، حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، السيرة النبوية، وكتب التاريخ وغيرها من الكتب التراثيه الأصيله.[4]

ولا نتجاوز الحقيقة عندما نجعل القران هو الأصل الأول، والأصل الرئيسي الذي ينبغي أن نستمد منه تربيتنا الأسلامية،[5] وبما أن القصه، هي من وسائل التربية، فأولى بالقرآن أن يكون من مصادرها الأساسية، لأن " القرآن الكريم والحديث

---

1 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٢٨-٤٠-١١٩-١٣٠-١٣٢، ط٤ ،بيروت، ١٩٩٦م.
2 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٥٩، ط٧، القاهرة، ١٩٩٦م.
3 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٥٤.
4 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال اهدافه وسماته، ص٥٢، ط٣، بيروت، ١٩٩٧م.
5 علي، سعيد اسماعيل، أصول التربية الإسلامية، ص٢٦.

الشريف وتعاليم الإسلام، أساس التربية الإسلامية لأطفال المسلمين ومركز الخطة التعليمية للناشئه من الجيل الذي تربى في حجر الإسلام.[٦،٧]

لماذا يهتم عبدالتواب يوسف بالمصادر الإسلاميةفي كتاباته للأطفال:

في البداية أود أن أشير إلى البيئة التي نشأ فيها عبدالتواب وترعرع، والتي بالتأكيد سيكون لها أثرها في حياته وفلسفتها ومنهجها، وبالتالي على كتاباته.

فقد كان والده الشيخ يوسف من قرية في مركز الفشن في محافظة بني سويف، وكان شيخاًفقيها يقرأ في الدين كثيراً، ويلقي المحاضرات ويؤم الناس في الصلاة. وغالباً ما يكون أهل القرى محافظين، تقليديين في حياتهم ودراستهم، فقد لحق الشيخ يوسف بالكتّاب ليحفظ القرآن الكريم في ثلاثِ سنوات فقط وهو في العاشرة من عمره، وقرأ التاريخ وشارك في النضال والجهاد ضد المستعمرين وأصبح معلماً.[٨] فمن الواضح الطابع الإسلامي في حياته وبالتأكيد في تربيته لأبنائه، وإرشادهم وحينما يرى الأب ابنه وهو في السابعة عشر من عمره – أي أديبنا – يكتب عن أحد زعماء الحرية في العالم ويسأله ماذا تكتب، فيجيبه عن من يكتب فيقول له بغضب : اكتب عن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول : ((وماذا أكتب عنه وما بقي شيء إلا وقيل وكتب ؟ وقد كتب فيما بعد الكثير عنها بطريقة مميزة عن غيرها. إذاً فالبيئة التي نشأ فيها عبدالتواب بيئة تهتم بالإسلام ومصادره في حياتها، بالتالي سيهتم بها هو وسيتأثر بها في كتاباته.

<u>ثانياً :</u> يقدم عبدالتواب يوسف للمكتبة الإسلامية العديد من الكتب للأطفال والناشئين، لعلمه ما للسنوات الأولى في حياة الطفل من أثر حاسم في تكوين شخصية الفرد، فما يتكون في هذه الفترة من عادات، واتجاهات، ومعتقدات، يصعب تغيره أو تعديله فيما بعد، ولهذا فإن السمات الرئيسية للشخصية ترجع في تكوينها وأصولها إلى هذه الفترة الخطيرة الهامة في حياة الإنسان،[٩] – كما يقول محمد حافظ غانم، وزير التعليم العالي

---

[6] الحديدي، على، من ادب الأطفال، ص٣١٩.

[7] نقرة، التهامي، " تأثير القصص القرآني "، المجلة العربية، ص٩، عدد٧، السنة الثالثة، أغسطس، ١٩٧٩م.

[8] يوسف، عبدالتواب، " نحو أدب إسلامي للأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٨.

[9] أنظر على شبكة الإنترنت أبو العينين، ربى، " زرع الإسلام في نفوس الأبناء " .Wahaweb.com/child/to pic

بمصر سابقاً : ((يجب أن يعرف أبناؤنا الله جلّ جلاله في أعمالهم، وتصرفاتهم، منذ الصغر، وأن يدركوا أنه سبحانه وتعالى هو الحق، وأن قوله هو الفيصل)).[١٠]

ثالثاً : وهي القضية الخطيرةالتي يراها عبدالتواب يوسف، وهي ما يراه ويدور حوله من أعمال أدبية والتي قد يكون لها أثر على الأطفال والناشئين، وبأسف عندما ينظر إليها، يجدها كما يقول : ((تتحدث عن الغربة والوجودية، وكل موضة جديدة في الشكل والمضمون، تجعلنا نرى تراثنا ضائعاً، متخلفاً وقد عفى عليه الزمن))

و ((أعمالنا أبت إلاّ أن ننصاع إلى التمزق والتشرذم والضياع، تقليداً لما يفعلونه، وكان الجدير بنا أن نهدأ نفسياً ونستقر اجتماعياً في أعمالنا الأدبية لو أنّها انحازت إلى الله اكبر وألا بذكر الله تطمئن القلوب، فقلوبنا في أعمالنا الأدبية ليست مطمئنة، لأن أبطالها لا يذكرون الله، ولا يعملون بموجب شريعتة الغرّاء)).[١١]

ولا يعني بذلك أنه يريد أعمالاً أدبية وعظيمة، إنّه يريد أعمالاً أدبية شامخة، تؤكد أنّه لا طريق غير طريق الله، وقرآنه، ونبيه، أعمالاً يفوح عطر الدين من بين سطورها، ويعرف أبطالها الله، بديلاً عن الأصنام الجديدة، كتاب أدب الغرب، والمرأة، والدولار.[١٢]

وهو لايريد أن يقطع الأطفال عما حولهم في العالم، بل على العكس، فقد ترجم الكثير من الأعمال الأدبية للأطفال من العالم كله، وقرّبها إليهم، بشرط أن تساير قيمنا وتواكبها وأن تساعدنا في تربية أبنائنا، وأن تكون هذه الأعمال هي الإضافات والزوائد للأصول، لقصصنا المستمدة من مصادر ديننا الحنيف، من تاريخنا، ومجتمعنا، من قيمنا الإسلامية والعربية.

يقول عبدالتواب في ذلك : ((فأدب الأطفال نستهدف منه الدين والدنيا معاً (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[١٣] نعلّمهم وندرّبهم كيف يعيشون بدينهم في دنياهم ليكسبوا رضى الله. .... فالدين أضحى في كثير من أرجاء عالمنا ووطننا، مناسبات، ومواسم، وقد انتقل هذا إلى الأطفال، والذي نراه أن الدين ليس مناسك فحسب، بل هو تعامل مع الله، ومع الناس، ومع النفس، كما أن العقيدة

---

[10] غانم، محمد حافظ، " يوسف، عبدالتواب والثقافة الدينية للطفل العربي المسلم " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٢٦

[11] يوسف، عبدالتواب، " الأدب الإسلامي في مواجهة الأدب "، الأدب الإسلامي، ص٦، المجلد الخامس، عدد ١٧.

[12] يوسف، عبدالتواب،" الأدب الإسلامي في مواجهة الأدب "، (الأدب الإسلامي)، ص٦.

[13] سورة القصص، آية ٧٧.

تتمو مع نمو البدن والعقل والمجتمع، وبودّنا أن يكون الدين هـو الحيـاة اليوميـة والسلوك السوي متخذين منه المرشد الأمين في كافة أمور دنيانا))[14] فهكـذا كـان يتعامل عبدالتواب يوسف مع الدين ومصادره الأساسية : القرآن الكـريم، والحـديث الشريف، في قصصه التي يقدمها للأطفال ويضيف : ((وهو ليس زرّاعاً للشك، بل للإيمان، وليس واضعاً إياهم في حيرة، بل يسعى لاستقرارهم الاجتماعي والنفسـي، ولا يرغب غرس تناقض بينهم وبين العالم، فلقد جاء الإسلام لكل النـاس للعـالمين ولخير البشر، فيحدثهم عن زهد المسلمين، وعن مالهم وعن عـدلهم وعـن قـوتهم وتشاورهم و.... وغيرها من القيم الإسلامية الرفيعة، وفق منهج يستهدف المزيد من الإيمان بالعقيدة، وذلك من القرآن الكريم، والحديث الشريف وأركان الإسلام ونهجـه وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته وقصـص أنبيائـه، وصـولاً إلـى الحضارة الزاهرة التي صنعها المسلمون للإنسانية قاطبة.[15]

---

[14] يوسف، عبدالتواب،" نحو أدب إسلامي "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٨.

[15] يوسف، عبدالتواب " للأدب الإسلامي في مواجهة الا أدب " الأدب الإسلامي،عدد١٧ ص٦.

القرآن الكريم وقصص الأطفال

استخدم القرآن الكريم اسلوب القصة، في مواطن كثيرة، ولا سيما في أخبار الرسل مع أقوامهم، وقدْ مَنّ اللهُ سبحانه و تعالى على رسوله عليه الصلاة و السلام، بأن قصَّ عليه أحسن القصص، ونزّل عليه أحسن الحديث، ليكون للناس آية وعبرة، وللرسول عليه الصلاة والسلام عزماً و تثبيتاً.[16]

قال تعالى : " نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن "[17]

وقال تعالى : " تلك القرى نقصّ عليك من انبائِها " [18]

وقال تعالى : " وكلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك "[19]

وقال تعالى : " فاقصص القصص لعلّهم يتذكرون "[20]

وقال تعالى : " هل أتاك حديث موسى "[21]

وغيرها الكثير من القصص.

فالقرآن الكريم جاء بالقصص تذكرة وعبرة، يستخرج منها التجربة السابقة، ويرسم بها المثل، ويشرح بها طريق الخير، ويحذر من طريق الكفر والجحود، وكذلك اتخذ القرآن القصص وسيلة من وسائل الهداية والإقناع، ينفذ بها إلى القلوب، ويفتح بها مغاليق العقول؛ لتدخل إليها مفاهيم الدين الحنيف. والقرآن الكريم حين يتخذ وسيلة من وسائل الاقناع، لا يتخذها إلاّ إذا كان لها قوة التأثير فى قلوب العرب، وعقولهم. ومن أجل ذلك تنوع القصص فى كتاب الله.

فالقرآن جعل القصص وسيلة للتفكير لمن أوتي العقل المتفتح، كما قال تعالى : " لعلهم يتفكرون " وفى قصص القرآن ما جاء على ألسنة الحيوان، والطير كقصة النملة وسلمان عليه السلام، والهدهد، والفيل، والبقرة.[22]

---

16 علوان عبدالله الناصح، تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ص٦٩٢، ط٣، بيروت، ١٩٨١.

17 سورة يوسف، آية ٣.

18 سورة الاعراف، آية ١٠١.

19 سورة هود، آية ١٢٠.

20 سورة الأعراف آية ١٧٦.

21 سورة النازعات، آية ١٥.

22 الحديدي،علي، في أدب الأطفال، ص٣١٧.

فللقرآن الكريم تأثير على نفوس البشر، لعدة عوامل تجمعت فيـــه وأدت إلـــى عظمته فبنسقه اللغوي المعجز، وبقوة بيانه، وبوضوح معانيه وبحديثه عن اليوم الآخر وما فيه من مشاهد تهتز لها أوتار القلوب، وبتشريعاته وتوجيهاته وتنظيماته، وأيضاً بقصصه وأمثاله وعبره، وبتذكيره الدائم بعظمة الله عز و جل وقدرته المعجزة، شكّل ذلك كله وغيره مما لا نعلم عظمة القرآن الكريم.[٢٣]

وقد احتفى القرآن العظيم بالقصة، وجعلها باعثاً على التفكير، والتدبر، لأنّهـــا واقعية، حية، صادقة التعبير، قوية التأثير، عظيمة المقصد، تتحرك فيها الشخصـــية والحدث، ويتجلّى فيها الصراع الأبدي الخالد بين الخير والشـــر، وبـــين المـــؤمنين والكافرين، وبين الرذيلة والفضيلة وبين الانسان والشيطان. لـــذلك كـــان القصـــص القرآني هو القمة لتكامله، وسلامته من الخرافات والتحريـــف والتزييـــف ولتضـــمنه الحكمة الواضحة، والعبرة الصريحة.

ومن الأمور البيّنة، أن الأمهات، والعجائز في العالم الإسلامي، كُـــنَّ يـــروين للأطفال منذ الصغر، قصص فرعون وموسى، ونوح والطوفان، وامـــرأة العزيـــز، وبقرة بني إسرائيل، وأهل الكهف، وأصحاب الأخدود، وإبراهيم عليه السلام والأصنام والنار، ومحمد عليه الصلاة والسلام واليهود وكفـــار قـــريش، وقـــارون وفرعـــون وهامان، ويستمع الأطفال لهذه القصص وغيرها ويطربون لها، ويعيشون في أجوائِها، فتثري خيالاتهم وأفكارهم، وتقوي من عقيدتهم، وتزوّدهم بطاقة هائلـــة مـــن القـــوة والعزم.[٢٤]

إذاً فالقرآن الكريم مصدر ثري بقصص يطرب لها الأطفال، يسمعونها مبسطة من الأمهات أو الأباء أو في المدارس، أو يقرؤنها ،وقد وجد القصاصون في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال، فكانت تروى لهم بصورة مبسّطة، وكذلك بعض ما جاء في الأحاديث النبوية ومغازي رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم والصـــحابة والتاريخ، فكل تلك المصادر أغنت القصص التي تروى للأطفال.[٢٥]

---

[23] قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص١٦، ط٣، جدة، ١٩٨٩م.

[24] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام،ط٤، ص٥١،٥٥.

[25] الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام،ط٤، ص٢٧.

إذا فمن الممكن تقديم قصص مستوحاة من الآيات القرآنية والأحاديث يسهل فهمها، خاصة ولدينا الكثير من الحكايات ترضي الأبناء من كل الأعمار، وردت في القرآن الكريم، وبذلك نكون قد قرّبنا لأبنائِنا كتاب الله القرآن الكريم، لغة وفهماً.[٢٦]

ونتيجة لذلك يكون لدينا أدب أطفال إسلامي، يستلهم مضمونه من عقيدة التوحيد في إرثها المنزه عن الخطأ والهوى وهو القرآن الكريم.[٢٧]

---

[26] يوسف، عبدالتواب، " الإعلام وزرع القيم في نفوس الاطفال " ،أطفالنا وعصر العلم و المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٢م..

[27] الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ،ط٤، ص٢٧.

تأثر قصص عبدالتواب يوسف للأطفال بالقرآن الكريم

اهتم عبدالتواب يوسف، في كتاباته للأطفال، بتكوين الطفل روحياً، وذلك عن طريق عدد كبير من الكتب قصص وكتب عن حوادث ومعلومات الدينية التي تتضمن التعريف بالإسلام، وأركانه، والقرآن الكريم والسيرة النبوية المشرّفة، وقصص الأنبياء عليهم السلام، فضلاً عن سير وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم، وغيرهم من أبطال الأسلام وفرسانهم.

فهناك إحصائية لقصص عبدالتواب يوسف الدينية تشير إلى أنها قد بلغت عام ١٩٩٣م، ١٤١٦هـ خمسة وتسعين كتاباً أي بنسبة ٥١,٤% أي أكثر من نصف عدد كتب السلاسل التي ألفها، بالإضافة إلى الكتب التي ألفها فيما بعد هذا التاريخ. مما يؤكد حرصه على تزويد الأطفال بجرعة قوية من القراءات الدينية التي ترسخ لديهم القيم الروحية، وبما يوحي بأن الدين يأتي في المرتبة الأولى من اهتمامات الكاتب.[٢٨]

وقد أشارت د/نبيلة إبراهيم، إلى المنهج الذي سار عليه عبدالتواب في كتابته للأطفال، والذي حاول أن يطبّقه بحزم في عدة محاور : المحور الأول : وهو الذي تدور عليه أعماله التي تتصل صلة وثيقة بالإسلام، والثقافة الإسلامية للطفل، وهي تمضي في نسق، وفي قنوات متوازية، متكاملة تبدأ بالقرآن الكريم، والذي كان المصدر لسلسلة من قصص القرآن يتحدث فيه الطير والحيوان، وتتكون من ثلاثين كتاباً، والمكتبة القرآنية وهي سلسلة حول كتاب الله : كيف نزل ؟ وكيف حفظه الله وصانه، وكيف هزم الشيطان، وكان كتاباً لكل زمان، ومكان، وإنسان، وذلك كُلّه في قصص وحكايات يسيرة سهلة، وذلك غير قصص الأنبياء والرسل والتي ذكرت في القرآن الكريم، وكانت العقيدة مثار اهتمامه، والتي حاول شرح بعض جوانبها في كتاب عنوانه الله جلّ جلاله، وهناك القيم الإسلامية، والتي منها ماذُكرَ في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فكانت موضوعاً لعشرات من القصص للأطفال.

وكان المحور الثاني_كما تراه د/نبيلة إبراهيم_ في مجال أدب الأطفال : وطني وقومي، والثالث : تربوي : حول الميول والاحتياجات.[٢٩] وإن كنت أرى أن المحور

---

[28] عبدالشافي، حسن، " عبدالتواب يوسف وقراءات الأطفال " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٨٤، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة) ١٩٩٣م.

[29] إبراهيم، نبيلة " حول أعمال عبدالتواب يوسف للأطفال "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٧.

الثاني والثالث، يدخلان تحت المحور الأول فقد تُضمُّ الوطنية إلى القيم الإسلامية، في حب الأوطان والديار الإسلامية والدفاع والذود عنها. وكذلك الثالث وهو التربوي. لأن تربيتنا لأطفالنا تُستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، فتعاليم الإسلام هي أساس التربية الإسلامية لأطفالنا.

وعندمايحدد عبدالتواب المصادر لكتابة أدب أطفال إسلامي يجعلها في ست قنوات وهي :

١- القرآن الكريم، ٢- الحديث الشريف، ٣- العقيدة، ٤- العبادات، ٥- السير عامة، ٦- وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، والقيم والأخلاق.

فالقرآن الكريم_ وهوأول المصادرعنده_،وهو كمايقول عنه: مصدر رائع لأدب الطفل المسلم، ويحاول أن يصل الأطفال بالقرآن الكريم، بعدما رأى الفجوة بين الأطفال والقرآن الكريم، فهم يحفظونه، ويرددون كلماته، دون أن يفهموا معانيها أو المعاني المتضمنة لهذه الكلمات، فيقول : لذلك تجاسرت على صياغة قصص من القرآن عن الطير والحيوان، فمثال ذلك حوت يونس عليه السلام فيروي قصته، ويحكي علمياً عن حياة الحوت، ووزنه، وطعامه وكخروف الضحية يقصّ حكاية سيدنا إبراهيم مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام، ولا ينسى الكبش أن يسأل الأطفال : أنا اعطيكم صوف البدله، وكم بدلة يمكن صناعتها من صوف خروف أم كم خروف يعطيكم صوف بدلة ... وهكذا وصلنا إلى أكثر من ثلاثين قصة من هذا اللون، وكذلك كانت سلسلة المكتبة القرآنية للأطفال، والتي حاول أن يدور بالحديث حول القرآن الكريم، نزوله وحفظه وصونه ......[30]

فعبدالتواب يجد في القرآن الكريم نبعاً لا ينضب للكتابة للأطفال، تحبيباً لهم على تلاوة آياته وحفظها، وتقريبها إليهم، وصولاً إلى الاعتماد على انفسهم في قراءته، وتلاوته، وحفظه.[31]

---

[30] يوسف، عبدالتواب، "نحو أدب إسلامي للأطفال" فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٧، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٩٢م.

[31] يوسف، عبدالتواب، "نحو أدب إسلامي للأطفال" فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٩.

قصة يوسف عليه السلام

نلحظ تأثير القرآن الكريم بوضوح من خلال النظر إلى غلاف القصة، وإلى أولى صفحاتها، فإذا ما نظرنا إلى الغلاف من الخلف، فسنجد مكتوباً عليه، : ((عدد الأنبياء الذين خصّهم الله بالذكر في القرآن الكريم، خمسة وعشرون نبياً، ولكن عدد جميع الأنبياء لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى)) ويذكر تأكيداً لذلك آيات من القرآن الكريم : ((ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)).[٣٢] وقوله تعالى : ((ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصص عليك)).[٣٣]

وأول صفحة بعد الغلاف عليها ثلاث آيات يؤكد بها فضل قصص القرآن الكريم : ((إن هذا لهو القصص الحق)).[٣٤] ((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك)).[٣٥] ((فأقصص القصص لعلهم يتفكرون)).[٣٦]

وتبدأ قصة سيدنا يوسف عليه السلام، بالنص التالي: ((عاش النبي يعقوب، في فلسطين هانيء البال، قرير العين، وهو يرى نعمة الله تفيض عليه إذْ وهبه النبوة، ورزقه عائلة وأولاداً يحبهم ويحنو عليهم، ويدلّهم على طريق الحق والخير، وكان يرى أن ابنه يوسف من زوجه راحيل، أكثر صفاءً وطيبة من إخوته، ويتميز عنهم بكثير من الصفات الحسنة، فتوسم فيه الخير وأحبه حباً كبيراً)).[٣٧]

فهنا نلاحظ أسلوب السرد الهرمي في القصة[٣٨]، وسهولة الكلمات على الأطفال، مع إضافة بعض الكلمات التي تثري حصيلتهم اللغوية كـ(توسَّم)، وعادة ما يضيف عبدالتواب إلى قصصه (كلمة) جديدة على الأطفال؛ ليتزودوا بها، ولكنه لا يكثر فيثقل عليهم، ونتابع أحداث القصة بالنص التالي :

---

[32] سورة غافر، ٧٨.
[33] سورة النساء، ٢١٤.
[34] آل عمران، ٦٢.
[35] يوسف ٣
[36] الأعراف، ١٧٦.
[37] يوسف، عبدالتواب، "يوسف عليه السلام"، ص٢، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.
[38] هناك عدة أنواع لبناء السرد، منها: البسيط، المركب، التراجعي، والهرمي، وهو أجودها ويتخذ الشكل الهرمي، فتبدأ القصة بعرض خيوط الأزمة وشخصيّاتها والعلاقات القائمة بينها ثم تأخذ في النمو والتطور والصعود، حتى تصل إلى قمة الصرح لتأخذ بعد ذلك في الانحدار نحو الحل.

((ولمّا كبر يوسف عليه السلام، وبلغ الصبا، جاء أباه في صباح أحد الأيام يخبره بأنه رأى حُلماً عظيماً، فقال له الأب : وما هو هذا الحلم يا بني ؟ قال يوسف : ((يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، وتفكّر الأب، وأدرك مغزى الرؤيا، لأن رؤيا الأنبياء صادقة، ولكنه خاف على ابنه يوسف، فطلب إليه ألاّ يقص ذلك الحلم على أخوتِهِ لئلا يكيدوا له، ويوقعوا به، بدَسٍّ من الشيطان اللعين، فإن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين وقد يدفعه إلى عمل الشر إن لم يطرد وساوسه من نفسه)).[٣٩]

واضح في المقطع الثاني تضمين آيات من القصة في القرآن الكريم ((يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)).[٤٠] وهنا توجد لدينا فائدة تربوية إسلامية، وهي إننا لسنا ملائكة معصومين بل بشراً، الأصل فينا أن يحب الأخ إخوته، لكن معنا على الأرض عدوّ لنا، لا يريد لنا الخير، فهو يوسوس لإنسان، وإذا ما استعاذ المرء برب الناس من شر الوسواس الخناس، فلن يضره، على عكس إذا ما استمع إلى وساوسه فتكون البغضاء والحقد بين الناس بل حتى الأخوة أنفسهم، وهي لفتة جيدة للأطفال يتعلمونها ويطبقونها. ثم يصور عبدالتواب الواقعة التي حدثت بين الأخوة ويوسف وأبيهم، ويتابع القصة من مرحلة لأخرى، كما جاءت في القرآن الكريم بالترتيب نفسه، ولكن بكلمات بسيطة تناسب مرحلة الطفل المتلقي أي سن الثمانة أعوام فما فوق.

وقد اعجبني البقاء على الأسلوب المتأدب في الخطاب، كما جاء في القرآن الكريم في المرحلة التي يتنازع يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، فقد عرضها عبدالتواب بأدب وبعدم خدش للحياة، كما أن فيها توجيها وإعدادا للأطفال في نهاية سن الطفولة، وبداية المراهقة، تلك السن الحرجة وما بعدها لكي يعرف كيف يعتصم بالله، ويتوجه إليه، ويصون نفسه ويعفّها عن الخطايا. يظهر ذلك من نص القصة : ((إنّه كان يرفض كل محاولاتها، ويعمل دائماً على إبعادها عنه، لأنه كان شاباً مؤمناً، شريفاً حكيماً، لا ينسى أبداً نعمة الله التي أنعمها عليه)).

إلاّ أن لي ملحوظة، وهي حينما انتشر خبر تعلق امرأة العزيز بيوسف عليه السلام، وتحدثت به النساء، وماذا فعلت بهن امرأة العزيز، وما الذي حصل لهن

---

[39] يوسف، عبدالتواب، يوسف عليه السلام، ص٣.
[40] سورة يوسف، آية ٤

عندما خرج إليهن يوسف عليه السلام بجماله ((أن كلّ واحدة منهن كانــت تفكـر بالتقرب من يوسف، ولاحظ يوسف ذلك على وجوههن، فدعا ربــه أن يبعــد عنــه شرورهن، كما أبعد عنه سيدة القصر فاستجاب الله لدعائه)) فما كانت تفعله ســيدة القصر، من الشر وما كن يفكرن به النسوة أيضاً من الشر، لكن من المهم أن يتنبــه الطفل إلى إنه ليست هذه حال النساء في كل عصر، أو أن هذه طبيعة النساء عامة إذا ما شاهدن الجمال، فجمال سيدنا يوسف خارق للعادة، والنساء المتحصنات العفيفــات يغضضن من أبصارهن، هذا ما جاء في شريعتنا الإسلامية – أحبّذ لو كانــت هــذه الإضافة على الموضوع لكي لا ينطبع في ذهن الطفل شيء آخر.

يسرد عبدالتواب القصة بكل أحداثها كما جاءت في القرآن، سَجْنه وصاحبيه، حلم الملك، تفسير يوسف لحلمه، معرفة الملك بالحقيقة وتقريبه يوسف إليه، ثم كيف إلتقى يوسف بأخوته وشقيقه ثم أبويه، فيتحقق تفسير حلمه، ويختم نهاية القصة بـــ : ((سجد يوسف لله شاكراً معدداً أنعمه التي انعم بها عليه، وداعياً له برجاء أن يتوفاه مسلماً وأن يلحقه بالصالحين)) ويأتي بالآية من القرآن الكريم ((ربي قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض. أنت وليٌّ في الــدنيا والآخرة توقني مسلماً وألحقني بالصالحين)) صدق الله العظيم

فتسلسل أحداث القصةمطابقة في المضمون للقصةفي القرآن الكريم،_فهويحافظ علىمضمون القصةالإسلاميةثم يعطيها من ذاته النكهةواللون_، حتى تَــقرب إلــى أذهان الأطفال ويستفيدوا من مغزاها. فقد قال تعالى في آخر سورة يوسف : ((لقــد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بــين يديه وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون)) صدق الله العظيم.

فما الذي يستفيده الأطفال من هذه القصة ؟

هناك قيم إسلامية كثيرة يتعرف عليها الطفل من خلال هذه القصة.

- عدم الاستسلام لوساوس الشيطان، والتعوذ بالله منه.
- اللجوء إلى الله في أوقات الشدة، وأي وقت.
- الصبر عند الشدائد حتى يأتي الله بأمره.
- العفو عند المقدرة والتسامح.
- شكر الله على النعم التي حبانا بها.

وبالتأكيد كلها قيم إسلامية لأنّها منتقاة من المصدر الأول للإســـلام وهـــو القـــرآن الكريم.[41]

ومع أن هناك الكثير من الكتاب الذين استفادوا من قصص القـــرآن الكـــريم، وبسّطوها للأطفال، لكن كما يوضح الكيلاني بقوله أن : ((كل أديب له ذاته المتميّزة، واسلوبه الخاص الذي يجعله مختلفاً عن أقرانه من الأدباء، ولكل أديب مسلم طريقته المتفردة في الأداء، وإن اتحدوا أو اتفقوا حول المضمون الإسلام، وهو تنوّع مطلوب، وثراء محبوب، إذ ليس من المطلوب أن يكون الأدباء الإسلاميون نسخاً متكررة، كما أنه على الأديب المسلم الجد والبحث عن أشكال جديدة، مؤثرة، تزيد من قوة التأثير، وتواكب العصور، وتستخدم كل الامكانات والطاقات المستحدثة، كي يعبر أروع تعبير عن رسالته الخالدة)).[42]

---

41 انظر، لتفسير سورة يوسف في كتاب، قطب، سيد، في ظلال القرآن، جـ١٢، ص١٩٥١، ط دار الشروق، ١٩٧٦م.
42 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١١.

الحديث الشريف

استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب القصة في أحاديثـه الشـريفة[٤٣] كطريقة من طرق التربية،[٤٤] مثل قصة الثلاثة من بني إسرائيل الأبـرص والأقـرع والأعمى،[٤٥] وقصة الخشية العجيبة،[٤٦] وكثيرا من القصص غيرها. فالحديث الشريف كنز أدبي بياني معجز وقد نقل بريغش، عن السيد أبي الحسن الندوي عن الأدب في الحديث الشريف : (فهو مليء بالأدب الطبيعي الجميل القوي، وكتب الحديث تشتمل على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة، وهي تشمل روايات قصيرة وطويلة وكلّها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء).[٤٧]

وهو أيضاً كنز لا ينضب لأدب الأطفال، يمدُّ الكاتب بشتى الموضوعات فـي العقيدة، والآداب والعلوم الكونية المختلفة، والسيرة، والشـعائر التعبديـة وقصـص الماضي ......، إلاّ أن هذا الكنز يحتاج لمن يبحث فيه وينقب، ليختار الموضـوعات الملائمة لشتى المستويات والاختصاصات، فهو بحاجة إلى جهد جاد صـادق مـن الأدباء والدارسين لاختيار الموضوعات، وإبراز هذه الروائع الجميلـة. ولا ننسـى الإشارة إلى حاجة الأديب هنا عند الأخذ من الحديث الشريف إلـى معرفـة بعـض الأمور الأساسية عن علوم الحديث، ليكون عمله واختياره قائماً على أساس وثيـق، وليعرف موضع الحديث، ومكانته. ومناسبته، ودلالته المختلفة، فضلاً عـن توثيقـه وتخريجه، وصلته بالأحكام والسند والآداب. وحين يلتفت الأدباء للحـديث الشـريف سيظفرون بمئات الموضوعات، ومئات الصور والقصص والمواقف التي تثري أدب الطفل.

وكذلك لا بد من تأكيد الهدف ووضوحه لغـرس العقيـدة أولا، ومحبـة الله ورسوله في الأطفال ثانياً وفي الحديث الشريف مجال واسع لإكساب الطفل السـلوك

---

[43] هناك دراسات أدبية مختلفة عن الحديث النبوي الشريف واالقصص التي وردت فيه ،وحول الاختلاف في كونهاقصة أم خبر أم مشهد.

[44] علوان عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ص٧٠٢، ط٣.

[45] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٤٩، رقم الحديث (٣٢٠٥). من (CD) موسوعة الحديث الشريف.

[46] صحيح البخاري، كتاب الحوالة، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان ومسند الإمام أحمد حديث رقم (٨٢٣٢) من (CD) موسوعة الحديث الشريف.

[47] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص١٩٩.

القويم، وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة بشتى الأساليب والطرق من خلال العرض المناسب والأسلوب المشوق. وهذا ما يشير إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال صلى الله عليه وسلم : ((الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)). [٤٨]، وأيضا : ((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظله)). [٤٩]

فهل يستطيع الأدباء، كتاب أدب الطفل المسلم أن يعيدوا من خلال إبداعهم، ربط أطفالنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الحاجة بالأجيال أصبحت شديدة إلى تذوق تعبير الحديث الشريف ومعرفته أوجه الجمال، وصور الحياة فيه. [٥٠]

وما دام الأدباء يفتشون في زوايا الحياة، وفي الأساطير وغيرها، عما يرونه مناسباً لأدب الأطفال فمن الأفضل أن يبحثوا في هذا التراث الحي الذي ينظم الحياة والمجتمعات، ويربي الأجيال على بصيره، ومرجع العربية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. [٥١]

عبدالتواب يوسف والحديث الشريف في قصص الأطفال :-

وضع عبدالتواب يوسف في كتاباته للأطفال منهجاً، ويراه السبيل للوصول إلى أدب إسلامي حقيقي للأطفال، ويتمثل في سبع قنوات تكون المرشد والهادي، لكتّاب أدب الأطفال، وهي : العقيدة، القرآن الكريم، الحديث الشريف، العبادات، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعلام المسلمين، القيم والأخلاقيات. [٥٢]

ومبحثنا الآن عن ثالث هذه القنوات في قصص عبدالتواب، وهو الحديث الشريف والذي فيه كثير من النصوص والتي تناسب مراحل الطفولة المختلفة، وتُعدّ من الأدب الإسلامي الرفيع، والنماذج الرائدة والموجهة لهذا الأدب. [٥٣]

---

[48] رواه ابن ماجة، كتاب الآداب،باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات، رقم الحديث ٣٦٦١، موسوعة الحديث الشريف (CD)

[49] رواه أبو النصر عبدالكريم بن محمد الشيرازي في فوائده،وابن النجار في تاريخه ،وأخرجه الطبراني ،المكتبة الألفية للسنة النبوية،(cd)

[50] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ص١٩٩.

[51] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ص٥٧.

[52] يوسف، عبد التواب، "تجربتي كاتباً للأطفال"، الفيصل، ص٢٥، عدد ١٧١، رمضان ١٤١١، أبريل، ١٩٩١م.

[53] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ص٥٥.

ويرى عبدالتواب أنّه بات من الضروري أن نصدر البخاري الصغير، وأن ندرس علوم الحديث لكي نستخرج منها درراً تفيد الأبناء في حياتهم، وتكون نبراساً لهم في كل ما يصدر عنهم من أعمال وأقوال.

((وإنّ الفن المصاحب لهذه الكتب سوف يفتح أعيّن الطفولة على جمال الكون والطبيعة، ولن يحدّ من خيالهم الرحب، إنّه سوف يسهم في فتح مجالات واسعة أمام عقولهم الصغيرة)).[54]

وهو يرى أن الحديث الشريف – كمصدر من مصادر نتاجه للأطفال – عامر بقصص ومواقف رائعة من الممكن أن تجتذبهم.[55]

وقد كتب عبدالتواب سلسلة كتب للأطفال تحت عنوان قصص للأطفال من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي عشر قصص، وكانت بداية هذه السلسلة من خلال رحلته مع الأحاديث الشريفة، باحثاً عن تلك الأحاديث التي رويت عن الرسول وتكلمّ فيها عن حياته صلى الله عليه وسلم، وصاغ منّها ما يمكن أن نسمّيه سيرة ذاتية لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، استخلصها من كلّ ما ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم. وخلال هذه الرحلة كان يمرّ في الأحاديث بقصص أبهرته، أو أحاديث تصلح أن تكون قصصاً تُروى وتُحكى للأطفال، فاحتفظ بها، وجمعها، ثمّ عكف عليها لكي يخرج منّها سلسلة بعنوان : قصص للأطفال من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما يقول عبدالتواب عنها[56] إنّها أكثر من رائعة، يقول ذلك بلا تردد وبلا حاجة للتواضع، لأنّها قصص ليست من تأليفه، لكنّها مروية عن أحاديث شريفة لسيد المرسلين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، وكلّها عن البخاري ومسلم، أو عن رياض الصالحين، وأجمل ما فيها عصريتها، فهي تصلح لكل زمان ومكان، كما أنّها ليست في الغالب من الأحاديث المعروضة المتداولة، إنّها بالطبع مرّت ولا شك على المختصين من دارسي وقارىء الأحاديث لكن كتابتها للأطفال هو الجديد، وبكلّ المقاييس نجد فيها كل ما تتطلبه قصة طفل ما بين الثامنة والثانية عشرعاما.

---

[54] يوسف، عبدالتواب، " الدين والتربية ٣ "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٦٤.

[55] يوسف، عبدالتواب، نحو أدب إسلامي للأطفال، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٩.

[56] يوسف، عبدالتواب، " غرس العقيدة في نفوس الأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٤.

والقصص في الكتاب نوعان : قصص صاغها عبدالتواب من واقع الأحاديث، وقصص هي نصوص كاملة من الأحاديث، والتي صاغها أورد في نهايتها نص الحديث الشريف. فبالطريقة الحديثة هذه في استخدام الحديث الشريف في أدب الأطفال؛ فإنّهم سيتدّربون على تلاوة الأحاديث الشريفة، كما أنّها ستصبح مدخلا رائعا للبخاري ومسلم وكتب الأحاديث من هذا السن المبكر.[٥٧] ثمَّ أعاد طباعتها مع سبع وعشرين قصة أخرى، بعنوان، قصص وحكايات ظريفة من الأحاديث الشريفة.[٥٨] وهي قصص في مجموعتين الأولى اثنا عشر كتاباً، تدور حول الحيوان،و الثانية خمسة عشر كتاب تدور حول الإنسان والطبيعة، وكلّها مستقاة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا غير الأحاديث الشريفة التي كثيراً ما يضمنها القصص في مجالات مختلفة للقصة، لتساند المعنى وتزيده ترسيخاً في ذهن وقلب الطفل القارئ.

إذا فالحديث الشريف من المصادر الرئيسية التي استقى منها عبدالتواب، وكانت له قصص منها وفيها، وقصص مُشْرَبَّة بها، سواء بنص الحديث أو معناه، وهو بذلك يريد أن يعيد ربط الصلة الحقيقية بين أطفالنا وناشئينا و حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك لا تأخذهم أمواج التغريب مرة باسم المذاهب الأدبية، ومرة باسم الحداثة ومرة باسم التطوّر ومرة ......، فتتسع الهوة بين الأجيال وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[٥٩]

---

[57] يوسف، عبدالتواب، " غرس العقيدة في نفوس الأطفال " . فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٤.

[58] القلماوي، سهير، " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٣، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م.

[59] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص١٩٩.

نماذج من قصص الأحاديث الشريفة

قصة القرد واللبن[60] من مجموعة قصص للأطفال من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ((بطل هذه القصة قرد ... وهو من أحب الحيوانات للأطفال .. هذا القرد اشتراه بائع لبن يغشه بالماء، وقد كسب الرجل مالاً كثيراً أودعه في صرة صغيرة كان يخرجها بين حين وآخر ليعدّ دنانيرها، ويعيدها لجيبه ... وركب الرجل وقرده مركباً، وذات يوم حين أخرج الرجل صرة المال اختطفها القرد وصعد بها فوق سارية المركب .. وفتحها والرجل يصرخ ويولول... وراح القرد يلقي بدينار من الصرة للرجل، وبدينار للماء .. حتى أتى عليها .. أي رد القرد للماء ثمنه بالدنانير، وأعطى للرجل ثمن اللبن)).

ونص الحديث الذي استوحى منه عبدالتواب يوسف عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تشربوا اللبن بالماء .. فإن رجلاً فيمن قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء، فاشترى قرداً وركب البحر حتى إذا لجح فيه ألهم الله القرد صرة النقود فأخذها وصعد الدقل .. ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ ديناراً فرمى به في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمها نصفين، فألقى ثمن الماء في البحر وثمن اللبن في السفينة))[61] صدق رسول الله.

والقصة تحتوي مضمون الحديث الشريف بالكامل، وقدأورد نص الحديث في نهاية القصة كتأكيدوسندلها، وأيضاً أورد حكاية صغيرة عن أبي هريرة .. مرّ أبو هريرة بإنسان يحمل لبناً، وقد خلطه بالماء.. فقال له أبو هريرة : كيف بك يوم القيامة حيث يقال لك : خلّص الماء من اللبن ؟)) وكلّ قصة في هذا الكتاب لها كيانها الخاص بها، المتفرد .. وما من حكايتين متشابهين قط.

---

[60] بالنص من مقالة ، يوسف ، عبد التواب"غرس العقيدة في نفوس الأطفال"، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٦.

[61] لم أجد لهذا الحديث مخرجا وقد ورد ذكر قصة القرد وبائع الخمر وتفرّد فيه أحمد بن حنبل، رواه أبو هريرة، كتاب باقي مسند المكثرين حديث رقم (٧٧١٠) من (CD) موسوعة الحديث الشريف.

قصة الخشبة[٦٢]

وهي : (من مجموعة قصص للأطفال من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم) ((ونص حديث هذه القصة، عن البخاري .. قال صلى الله عليه وسلم : ((أن رجلاً سأل صاحباً بأن يسلفه ألف دينار .. فدفعها إليه .. فخرج في البحر. فلم يجد مركباً – القصد هنا المدين – فأخذ خشبة فنقرها. فأدخل فيها ألف دينار فرمى بها في البحر، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، فإذا بالخشبة فأخذها لأهله حطباً. فذكر الحديث فلما نشرها وجد المال)).[٦٣]

الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك يعلمنا الكثير : أن نرد الدين في موعده. أن نفي بالوعد. أن. أن... وهذا الحديث يدلنا دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى يقف بجانب من يرغب في أداء دينه ويعينه على ذلك ويساعده... والقصة بالغة الروعة في اعتماد الإنسان على ربه، وإيمانه بقدرته ... بجانب ما فيها من توسيع مدارك الطفل القاريء للقصة، فهي تتحدث عن معاملات التجار، وعالم البحار، والعلاقات الإنسانية والإقتصادية... هي بإيجاز قصة مشحونة أحداثها ومواقفها بمشاعر نبيلة تهز النفس)).[٦٤]

---

[62] بالنص من مقالة ، يوسف ، عبد التواب "غرس العقيدة في نفوس الأطفال" كما في كتاب فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٨.

[63] صحيح البخاري، كتاب الحوالة ، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها ، موسوعة الحديث الشريف (CD)

[64] يوسف، عبدالتواب، " غرس العقيدة في نفوس الأطفال " . فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٨.

ب) السيرة النبوية.

السيرة النبوية

أننا أمة لا إله إلاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمحمد صـــلى الله عليه وسلم هو الرسول المصطفى الذي أرسله الله لهذه الأمة؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على أمتـــه وإنقاذهـــا مـــن الظلمات التي كانت تعيش فيها، وكان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وقد انتشر الإسلام في البلاد، ولم يكن هناك إكراه في الدين، ومع ذلك اسلم الفرد تلو الفرد، والجماعة تلو الجماعة، والقبيلة تلو القبيلة. مع أنّهم كانوا يستطيعون البقاء على دينهم، تحت حماية المسلمين مع دفع الجزية لو أرادوا. فما الذي دفعهم إلى اعتنـــاق دين جديد واعتقاد مختلف، وتغيير جذري لحياتهم ؟ إنّها أخلاقيات لا إلـــه إلا الله[٦٥] محمد رسول الله فهل عرفت هذه الأمة هذه الشخصية العظيمة التي أرسلها الله إليهم؟، هل حرص الآباء والأجداد على أن يقربوها إلى أبنائهم وأحفادهم ليتعرفوا عليها عن قرب؟.

ذاع صيت هذه الشخصية الكريمة في كل مكان وفي كل عصر وزمان، وحتى وقتنا الحاضر لدى المسلمين وغير المسلمين. فمثلاً وجدنا صحيفة الســـن داي تايمز البريطانية، منذ أعوام قلائل تصدر عدداً خاصاً عن لينين بمناسبة مرور مائـــة عام على مولده، وقالت في صدر العدد، أن لينين هو الشخصية الثانية التي أثرت في أكبر عدد من البشر في التاريخ .. أما الشخصية الأولى فهو محمد صلى الله عليـــه وسلم والعلاقة بينهما التضاد .. قالت المجلة كما نقله عبدالتواب : ((إن محمداً أحدث كفرد تغييرا في تاريخ البشر لم يحدث قبله ولا بعده، أن تمكن شخص واحد مـــن أن يقلب موازين الأمور، ويبدل من تاريخ الدنيا ويعدل من جغرافيا الدول ويؤمن بـــه، وسيظل يؤمن به ملايين الناس، يذكرونه ويتبعون تعاليمه، وسننه، جيلاً بعد جيل منذ قرابة أربعة عشر قرناً، غيرّحياة أمة، أخرجها من القبلية لتصبح واحدة من أضـــخم دول وأمم هذه الدنيا، ووضع أقدامها على طريق المعرفة والحضارة)).[٦٦] وألـــف

---

[65] قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٧٣، ط٣، المدينة، ١٩٨٩م.

[66] يوسف، عبدالتواب،" الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٨٣.

مايكل هارت كتاباترجمه أنيس منصور،عنوانه الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهناك العديد من المستشرقين ألذين أجتذبتهم هذه الشخصية الجليلة.

لقد نجح نبي الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم في قرابة عشرين سنة أن ينشر ديناً ثابت البنيان .

لذلك كان من الطبيعي أن يهتم المسلمون بهذه الشخصية العظيمة ومعرفة جوانبها، وأيضاً يعرّفوا أبناءهم بها، وكما يقول محمد عثمان جمال : ((أن لدراسة السيرة النبوية تأثيراً كبيراً على حياة الأطفال، ودوراً عظيماً في تنشئتهم النشأة الصالحة الطيبة، فهي النبع الفياض الذي يجيش النفس نحو معاني الحب والجهاد))[٦٧] لذلك كانت المحاولات دؤوبة منذ فجر الإسلام لتقريب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال والناشئة والشباب، وكم رويت على مسامع الصغار قصص، وأحاديث عن تلك الشخصية العظيمة، قدوة ومثل أعلى، ولا شك أن مجالس ضمت الكبار والأطفال معاً تحدثت عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جاء من دوّنها من الحفاظ من التابعين، وأثبتوا ما ورثوه رواية عن أسلافهم من الصحابة، وفيما بعد تقدمت كتابة السيرة النبوية للكبار حتى أصبحت تقليداً من أرسخ تقاليدنا الأدبية، ولم تكن هناك محاولات لكتابتها للأطفال، اللهم إلا من خلال شذرات هنا وهناك في الكتب التعليمية في مكاتب تحفيظ القرآن والمدارس التي نشأت في إطار الجوامع والمساجد، وهي في الغالب حكايات مروية من خلال كتب الكبار، مبسّطة للصغار.

ثم جاء كامل الكيلاني، رائد أدب الأطفال. وكان أوّل من بسّط السيرة النبوية للأطفال، ومحمد الهراوي الذي نظمها لهم شعراً، ومن بعدهما بدأ كتاب الأطفال يكتبون السيرة للأطفال، حتى بات من الصعوبة بمكان حصر ما كتب للأطفال عنها، فإذا ما نظرنا إلى القائمة الصادرة عن كتب الأطفال عام ١٩٧٠م، وقائمة كتب الأطفال المصرية ما بين ١٩٦٠-١٩٧٥م، فسنجد سلاسل كثيرة لكتاب الأطفال، منها :

سلسلة : من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، الرائد كامل كيلاني ٣٧ جزء، وكتب عن السيرة محمد أحمد برانق ٢٦ كتاباً، وكتب محمد عطية الأبراشي ٣٠ قصة، وكتب إبراهيم عزوز سلسلتين : الأولى قصص السيرة، ٢٤ قصة، والثانية خاتم الرسل والأنبياء ٢٠ قصة، وكتب في السيرة الأستاذ سيد شحاته : من أمجاد

[67] جمال، محمد عثمان، بناء شخصية الطفل المسلم، ص٣٣، بيروت، ١٩٩٦م.

الإسلام ١٥ قصة، وكتب محمد محمود زيتون قصص إسلامية للأطفال في السيرة ١١ قصة، وكتب إبراهيم يونس من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٠ قصة، وأحمد الناجي كتب النبي العظيم، وكتب قائد العرموسي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب طه عبدالباقي سرور محمد نبي الرحمة، وكتب، مصطفى محمد إبراهيم، رسول الرحمة.[٦٨]

فلماذا اهتم كتاب أدب الأطفال بكتابة السيرة النبوية وتقديمها للأطفال ؟

إزدادت الدراسات والبحوث في مجال التربية والتعليم، وتطوّرت مع تقدمّها، وتوصلت إلى أنه من أهم وسائل التربية هي : القدوة، لأنها النظرية التي أثبتها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قرون عديدة : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.[٦٩]

وذلك عن طريق التقليد للقدوة التي أمامه، فيقلدّها سواء كانت قدوة خير أم شر.

ومما لاشك فيه أن القدوة هي أقوم وأفضل سبيل لزرع القيم في نفوس الأبناء، وليس هناك أفضل من شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نقدمه كقدوة للأطفال. عن طريق تقديم السيرة النبوية لهم، فالأطفال أكثر حاجة من الكبار لفهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفة جزئيات حياته وحياة صحابته لكي تصبح هذه السيرة قدوة ونبراساً لهم[٧٠] فليتنا نقدم لهم هذه الشخصية في ثوب يجعلهم يجرون وراء معرفتها معرفة حقيقية، بشرط أن يربط كل ذلك بالواقع المعاصر، فلا يتعرفون على تلك الشخصية لمجرد المعرفة فقط، بل لتكون أيضاً قدوته في حياته كلّها، وسعد في الدارين من كانت هذه قدوته، واتبع سنته صلى الله عليه وسلم.[٧١] في حياته. وأخلاقه ومعاملته.

وكما يقول عبدالتواب يوسف : فكل طفل في عالمنا المعاصر في البلدان المتقدمة، يشب وعليه بصمة من فيلسوف أو مربي، تكون هذه الرابطة الحقيقية غير المرئية التي تربط بين أبناء هذا البلد، وتنمو معهم وتبقى على مدى العمر.

---

[68] يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٩٧-٢٠١.
[69] سنن أبي داؤود، كتاب السنة، رقم الحديث (٤٠٩١) من، (CD) موسوعة الحديث الشريف.
[70] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص٢٠٤.
[71] يوسف، عبدالتواب، " قيم الطفل المسلم من خلال البرامج الإعلامية " فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٢٨.

فمن هي تلك الشخصية التي يتطلع أطفالنا إليها كقدوة، ومثل أعلى ؟ وما هي الفلسفة والنظرية التربوية، التي نمضي على نهجها في تنشئتنا لأبنائنا ؟

إن الإجابة تكمن في كل ما كتبه المحدثون عن السيرة النبوية، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم طفلاً وشاباً ورجلاً نبياً ورسولاً وإنساناً معلماً ومبشراً، ونذيراً، إبناً، أباً وجداً.[٧٢]

عبدالتواب يوسف والسيرة النبوية للأطفال :-

قرأ عبدالتواب يوسف منذ صغره كتباً عن السيرة النبوية في المدرسة، وحمل إليه والده وهو صغير كتباً لكامل كيلاني عن السيرة النبوية، كما قرأ أشعار محمد الهراوي (أنباء الرسل)، ونمى ولديه الشعور الديني العميق الهادىء منذ الصغر.

وقد وجهه والده، حينما رآه يكتب عن أحد زعماء الحرية، بأن يكتب عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لوالده : وماذا أكتب عنه، وما بقي شيئ إلاوقيل وكُتب ؟ فنظر إليه والده في عطف واشفاق وقال : (حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالته أكبر من كل ما كتبوه عنه، وما زال هناك الكثير الكثير جداً يمكن كتابته عنه صلى الله عليه وسلم، وأسأل الله أن يهديك يا بني سواء السبيل لتتعرف على جوانب جديدة من حياة هذا النبي العظيم) يقول عبدالتواب : وكثيراً ما تساءلت : هل استجاب الله لهذا الدعاء ؟ لقد كانت السيرة النبوية بالنسبة له مدرسة عظيمة، وجامعة رائعة، وحياة معلمة بحق وصدق ومرّ ربع قرن بعد ذلك، وقد صدرله خمسة وعشرون كتاباً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هدفه منها : ان يقتبس الطفل جانباً من سماته صلى الله عليه وسلم وعظمته، فقد كان عبدالتواب ينادي بالدعوة إلى حتمية أن يحمل أطفالنا شيئاً من السمات البارزة للإنسان العظيم والنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ((وإذا نجحنا في هذا أخذ الطفل بأسباب الدين، وتخلق بأخلاقيات الإسلام وصار هذا الإنسان الذي نتمناه ونعتقد عن يقين أنّه سيكون صانع المستقبل.[٧٣]

البداية الفعلية لكتابة السيرة النبوية :-

كانت بداية الكتابة للسيرة النبوية، حينما سألت عبدالتواب يوسف، السيدةُ فضيلة توفيق، وهي مذيعة برامج أطفال - قبل كتاباته الدينية للأطفال - عن السبب

---

[72] يوسف، عبدالتواب،" السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٩٥، ط١، جدة، ١٩٩٢هـ.

[73] يوسف، عبدالتواب، " الكتابة الدينية للأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٧٩.

في عدم كتابته في هذا المجال، وكان جوابه : خشية الوقوع في أخطاء يتعقبّها علماء الدين الأشدّاء على أنفسهم وعلى الآخرين في هذا الموضوع. وقد أصـرت السـيدة فضيلة على أن يحاول الكتابة في هذا مجال،خصوصاً وأن لديهم إدارة للشؤون الدينية تراجع المواد التي تقدم عبر الإذاعة، وسوف يراجعون العمل وينقدونه قبل تقديمـه للمستمعين، وكانت البداية أنه أعجب بالفكرة، وبدأ يقرأ كتب السيرة، وجذبـه، كمـا يقول – ككاتب للأطفال – شخصية فيل أبرهة، فيقول : وشرعت أكتب أحداث المولد على لسانه وأحسست أنّي كنت جديداً طريفاً، وحملته للإذاعة، وكانـت المفاجـأة أن الشؤون الدينية امتدحت العمل بشكل كبير، ورأوا أنّه مختلف، وسـألوني أن أكـرر التجربة، وكان نجاح البرنامج لدى الأطفال من الأمور التي جعلتني أحـاول مـرة أخرى، وكان تعبير البعض أن المادة ليست غليظة أو وعظية، ولا جافة، بـل فيهـا مرح وطرافة، ولم تخرج قط على الإطار الديني، فقط هي بشكل جذّاب يحوي نفس المادة بعد تبسيطها وتجميلها، وتكررت التجربة في الهجرة، حين روينا قصتها على لسان الناقة التي حملت الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة، وفي الإسراء والمعراج حكى البراق القصة، وهكذا كان كل عمل منها يلقى حفاوة أكبر من العمل الذي سبقه، ولم يحدث خطأ واحد يحاسبوننا عليه، بل كان الثناء عاطراً ومشجعا، لذلك رحت أقدم على الكتابة الدينية بلا قلق، ولا خوف، وتوالت بالذات قصص السيرة النبوية، بهـذا الأسلوب، وسألني كثيرون أن أضمّها في كتاب واحد، وعنـدما جمعتهـا، وأعـدت صياغتها جعلت عنوانها، حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة،[٧٤] وهو من أهم الكتب وأشهرها للكاتب، والموجهة للأشبال والناشئين،[٧٥] وقد علّق عليها وزير الأوقاف والشؤون الدينية بمصر، عبدالعزيز كامل، بقوله لعبدالتواب يوسف : ((أنت صنعت فتحاً في كتابة السيرة للأطفال)) وكتب له مقدمة الكتاب، وكانت المفاجأة لهذا الكتاب أن وزارة التربية أشترت حق طبعه وتوزيعه على الأطفال بالمدارس وحقق ما يزيد على سبعة ملايين نسخة، كما قدمته أغلب الشاشات العربية.

فسيرته صلى الله عليه وسلم كانت الفاتحة لعبدالتواب، وبعد ذلك كتب سـيرة ذاتية للرسول صلى الله عليه وسلم، كافة ما فيها من الأحاديث النبوية الشريفة، وأطلق عليها (محمد صلى الله عليه وسلم يتحدث عن حياته)، ثم كتب خمسة عشر كتاباً عن

---

[74] يوسف، عبدالتواب، " تجربتي كاتباً للأطفال " الفيصل، ص٢٤، عدد ١٧١، أبريل، ١٩٩١م .

[75] المقالح، عبدالعزيز، " عبدالتواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين "، عبدالتوات يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤٠.

الرسول الإنسان وجعل عنوانه محمد خير البشر، كما كتب طفولة النبي صلى الله عليه وسلم. وكان يحكي فيها عن الكنز، وعن أول غارة جوية في التاريخ، وعن مدارس الحياة التي التحق بها الرسول صلى الله عليه وسلم.[٧٦]

وكانت الميزة لعبدالتواب في قصص السيرة، الصياغة العصرية للقصص، بحيث يستطيع الطفل أن يتتبعها في حياته ويلازمها، حتى يصبح رجلاً شديد الصلة بواقعه وبجذوره، وحتى يتمكن من الدخول إلى هذا الواقع بخطوات وئيدة ثابتة، فلا يفاجأ ولا يتردد، وقد كان صحيح البخاري وصحيح مسلم، رفيقين لعبدالتواب على مدى سنوات، ولم يقف الكاتب عند كتب الأحاديث النبوية، ولكنه قرأ كتب السيرة القديمة، وعدداً لا بأس به من كتب السيرة الحديثة، ولكنه لم ينقل عنها جميعاً إلاّ ما رأى عليه الإجماع وما قرت عليه النفوس.[٧٧]

فعبدالتواب يوسف أعطى السيرة النبوية كثيراً من جهده واهتمامه، عارضاً حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة للإنسانية عامة، وللأطفال خاصة. وبنى كل هذا على دراسة لكتابة السيرة للأطفال شارك فيها الأزهر الشريف في مؤتمر السُّنة والسيرة الرابع[٧٨] فكتابات عبدالتواب يوسف في هذا المجال وفي المجالات الإسلامية تُعد من أفضل ما كتب للأطفال، إذْ استطاع أن يقدّم أدباً دينياً عصرياً على أسس مدروسة، ولقد رأى في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة ومثالاً رائعاً يضعه أمام الأطفال[٧٩] وقد علّق على ذلك عبدالعزيز كامل، بقوله : ((فقد جعل من كتابته معبراً بين السيرة والأجيال الجديدة من أبنائنا، إنّه يأخذ من العين الصافي ويضعه في أكواب صغيرة جميلة، ويقدمها مع ابتسامة رقيقة حانية إلى أبنائنا الصغار)).[٨٠] ونحن باهتمامنا بالسيرة النبوية، وتركيزنا على التربية الروحية إلى جانب النفسية والجسدية والاجتماعية لأبنائنا، نعمل على نجاحهم في حياتهم المستقبلية، إننا بذلك نعد أطفالنا إعداداً جيداً يميزهم عن غيرهم من أبناء المجتمعات

[76] يوسف، عبدالتواب، " تجربتي كاتباً للأطفال "، الفيصل، ص٢٤

[77] المقالح، عبدالعزيز، " عبدالتواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين "، عبدالتوات يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤٢.

[78] إبراهيم،نبيله، " حول أعمال عبدالتواب يوسف للطفال "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٧.وكان المؤتمر بتاريخ ١٩٩٦م،وبحثه الذي شارك به بعنوان كتابة السيرة العطرة للأطفال.

[79] القلماوي، سهير، " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٣.

[80] كامل، عبدالعزيز، " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٢١.

التي وصلت إلى ما وصلت إليه، نتيجة تخليها عن الجانب الروحي في تربية أبنائها.[٨١]

وأخيراً أختم مبحث السيرة النبوية، بمقوله قالها عبدالتواب، حينما سأله صديق ما هذا الفيض من كتاباتك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فابتسم وردّ عليه : إنني أريده قدوة، ومثلاً أعلى لكل طفل عربي مسلم ، نريد أن نتأسى به ونمضي على طريقه.[٨٢]

---

[81] سعيد، محمود سعيد، أساسيات في أدب الأطفال، ص٨٨، الرياض، ١٩٩٣م.
[82] يوسف، عبدالتواب، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر، ص١٣، القاهرة، ١٩٨٥م.

نماذج من قصص عبد التواب يوسف في السيرة النبوية :
طفولة النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال[83]

وهي قصة طويلة نستطيع أن نطلق عليها رواية. والرواية الموجهة إلى الأطفال تكون قصيرة في البدء، وذات فصول قصيرة، وتكون الأحداث فيها مثيرة، حتى يستمر الطفل يقرأها من فصل إلى فصل، بشغف وشوق للنهاية، وكل ذلك يمكن تحقيقه دونما إفراط في التبسيط أو الافتعال أو التكلف.

والرواية تكون للأطفال من العمر الثامن إلى الثاني عشر أو إلى الثالث عشر، وهي غالباً ما تكون ذات تأثير على نفوسهم، وعلى إكسابهم عادات وقيم وسلوكيات نحن في أمس الحاجة إلى أن تسود بين أولادنا.[84]

وهنا لدينا قصة طويلة، مليئة بالأحداث المتناسبة مع مدارك طفل الثمانية أعوام فما فوق، وهي تحكي قصة طفل صادق أمين أصبح رسول رب العامين، وقد جعلها عبدالتواب في ستة فصول، تحت كل فصل أجزاء صغيرة، والقصة بمثابة دروس من طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالطفل الذي وُلِدَ قبل أربعة عشر قرناً قد استطاع أن يقلب موازين التاريخ، وجعل للطفولة معناها، وقيمتها، وجدْواها، فلقد كانت طفولته صلى الله عليه وسلم ذاتها، طفولة معلّمة مربية، انبتت رجلاً ونبياً رسولاً، هدى الله به الإنسانية وأخذ بيدها من طريق الظلام والضلال إلى طريق النور والحق والعدل. ومن أجل ذلك أراد عبدالتواب أن يضيء بعض جوانب طفولته صلى الله عليه وسلم وآثاره ومآثره على الطفولة.[85]

فالفصل الأول : البحث عن الكنز : يتجزأ إلى ثلاثة أجزاء. ١) الحفر. ٢) الكنز. ٣) الكنز الحقيقي.

يبدأ الجزء الأول، بـ : ((وقف الحارث مع والده عبدالمطلب، وقد حمل كل منهما فأسه، وراح يضرب بها الأرض بقوة، ويحفر بحماسة، ويجرف الرمال وينقلها بعيداً. وكان الحارث صغيراً، غير قادر على احتمال الجوع والعطش وأشعة الشمس القاسية،

[83] يوسف عبد التواب ، طفولة النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال ط٢، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م، وقد فاز هذا الكتاب للأطفال بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة ، والعلوم عاو ١٩٩١م.

[84] عبدالفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٣٠، القاهرة، ٢٠٠٠م.

[85] يوسف، عبدالتواب، " دروس من طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٩٩٦.

فاضطرّ إلى أن يضع الفأس جانباً ليلتقط أنفاسه، ويجفف عرقه. ويلمح الطفل أباه وقد انهمك في العمل لا يكف عنه، ولا يتملل ولا يتكاسل، ويواصل بذل الجهد، ويتـــذكر الصغير ما حكاه له أبوه في أثناء العمل، إنّه لا ينسى قصة جدّهما إبـــراهيم وولـــده إسماعيل، وكيف أطاع الإبن أباه في كل شيء بل لقد قبل الصغير أن يضحي بحياته، وأن يصنع والده ما يشاء ما دام ذلك أمراً من السماء، وانطرح الصغير أرضاً وسلّم رقبته لأبيه، وإذا بالله سبحانه وتعالى يفتديه بكبش من عنده ويبارك موقفهما)).

نجدهنا أن الأحداث تأخذ طريق تشكلها بشكل بسيط ومباشر وبدون مقـــدمات ،ويستمر الراوي في رواية الأحداث،ويتخلل هذه الأحداث الحوار بين الحارث ووالده ((فتمتد يد الحارث إلى فأسه، ويعود من جديد إلى نشاطه، ويسأل أباه :

– ألا يساعدنا أهلنا يا أبي على هذا العمل الشاق ؟

وترتفع الفأس في يد عبدالمطلب، ويضرب الأرض بعنف وهو يجيب : لا لن اسمح لأحد منهم أن يشاركنا هذا الشرف. ... ويستمر العمل شاقاً قاسياً صعباً)).

وتتوالى الأحداث في الفصل الأول، بين أجزائه الثلاثة من الحفر للبحث عن الكنـــز الذي ظنّ الابن أنها كنوز الكعبة، إلى البحث عن الكنز الحقيقي، : ((فاستمر الحفر أياماً طويلة، لقد تراكمت الرمال لسنين عدة فوق هذا المكان، وبقدر عدد هذه السنين كان العمل مرهقاً، لكن عبدالمطلب يستجيب لهاتف، ويؤمن بأنه يمضي على الطريق السليم، لذلك لا يتوقف عن الحفر والعمل، ويوصي ولده بأن يشاركه في هذا الشرف الرفيع الذي لم يحاوله أحد من قبل)).

((وبعد أيام وأسابيع وشهور، وجد الحارث نفسه يضرب بفأســه فـــي أرض مبتلة وأصابته نفس الدهشة التي حدثت يوم عثر على الغزالة الذهبية، وتطلع إلى أبيه يعلمه بالخبر، وجاء عبدالمطلب بحفنة من الرمال المختلطة بالماء ويفركه بين يديـــه ووجهه ينضح بالفرحة والبهجة، ويهتف لولده :

– ها قد ظهرت بشائر الكنز الحقيقي .. مبروك لنا ولقريش، وللجزيرة وللحجيج في كل مكان وفي كلّ زمان)).

وفي هذا الفصل كثيراً ما يشير إلى العلاقة الحميمة بين الأب الحنون، والابن المطيع.

وكان الفصل الثاني وهو : أوّل غارة جويّة في التاريخ ينقسم إلى : ١) الكعبة الذهبية. و٢) الفيل الرهيب. و٣) الطير الأبابيل.

وتدور أحداث هذا الفصل، كما هو واضح من العناوين، حول أحـداث عـام الفيل، وهذا الفيل الذي جاء به أبرهة ليهدم الكعبة؛ لينقل وجهة الحجيج إلى الـيمن، وكيف أنه ((وفيما هم يتعجلون الوصول إلى مكة، فجأة توقف الفيل الرهيـب عـن السير، وتثبتت أقدامه في الأرض، وإذا بكل الزاحفين معه ومن حوله يتوقفون فـي أماكنهم غير قادرين على أن يمضوا إلى الأمام، وارتفع صوت أبرهة يصـرخ فـي الفيل : سِرْ ...

وأشار عليهم أن يوجهوا الفيل إلى الشرق، وإذا به ينطلق ويسير ... واتجهوا به إلى الغرب، ثم إلى الجنوب، فحدث نفس الشيء، لكن عندما أداروا وجهه ناحيـة مكة والكعبة ثبتت أقدامه في مكانها من جديد ولم يتحرك .... وفجأة أظلمت السماء واختفى النور وراء طير عظيم حجب الأفق وكان هذا الطير يحمل في منقاره أحجاراً صغيرة، بعضها في حجم حبة الفول، وبعضها في حجم السمسمة. وراحـت تقـذف جنود أبرهة بهذا الحصى)). ويختم بسورة الفيل تأكيداً لأحداث هذا الفصل.

ثم الفصل الثالث : وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياء وينقسم إلى ثلاثة أجزاء : ١) الزواج السعيد. ٢) وُلِدَ الهدى. ٣) حليمة.

ومن الواضح أن عنوان الفصل هو مطلع الهمزية المشهورة لأحمد شوقي

وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء.

وأول أجزاء هذا الفصل كان الزواج السعيد، والذي دارت أحداثه حول زواج عبدالله بعد نجاته من الذبح، وكان فداؤه مئة من الإبل، وذلك براً بالقسم الذي أقسمه عبدالمطلب على نفسه إن رُزق بعشرة من الأولاد يحمونه ويساندوه.

ثمّ كيف جرت أحداث زواجه بآمنة بنت وهب، وتزوج معه والده فـي نفـس اليوم ابنة عَمها هالة بنت وهيب، ولم يبق عبدالله مع زوجته طويلاً فقد غـادر إلـى فلسطين للتجارة، وقد توفى في طريق عودته في يثرب إثر مرض اشتد به. وعلمت زوجته بالخبر وهي تنتظر مولودها ((ومضت أشهر الحمل وشعرت آمنة بأعراض الولادة، فأستدعوا لها القابلة (المولدة) وكان اسمها الشّفاء، فتلقت الوليد على يـديها، وغمرت الفرحة الأم الشابة، فبعثت إلى عبدالمطلب، – وكان في ذلك الوقت يطوف بالكعبة – لتبلّغه أنه قد ولِدَ غلاماً لابنه الراحل عبدالله، وتنازعت الشيخ عاطفتـان، الفرحة بمولد الطفل، والحزن على فقده لأبيه قبل أن يولد ..... ولم تكـن شـهادات

الميلاد معمولاً بها في ذلك الحين، لكنّا إذا حاولنا أن نسجل واحده للمولود، نرى ماذا كانت تحمل من بيانات ؟

الاسم : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب (صلى الله عليه وسلم)

تاريخ الميلاد : الإثنين ٢٠ من أغسطس سنة ٥٧٠ عام الفيل، على الأرجح الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الثاني.[٨٦]

الأب : عبدالله بن عبدالمطلب.

الأم : آمنة بيت وهب.

الجد : عبدالمطلب.

مكان الميلاد : مكة – الحجاز – الجزيرة العربية.

وفي اليوم السابع لمولد الطفل أقام الجدّ مأدبة دعا إليها رجالاً من قريش، وقبلوا الدعوة وجاءوا مبتهجين)).

وتتوالى بعد ذلك أحداث إرضاعه، وإرساله مع حليمة السعدية إلى البادية عامين، وعادت تحمله إلى أمه راجية أن ترجعه معها، وكان لها ما تريد ((فقد كان الرضيع فألاً طيباً وحسناً بالنسبة لها ولزوجها الحارث وابنائها ... ومضت نحو ثلاث سنوات، وحدث يوماً أن عاد محمد مع إخوته وعلى وجهه آثار التعب والمرض، فنظر إليه الحارث طويلاً ووضع يده على جبينه وقال : أخشى يا حليمة أن يكون هذا الغلام قد أصيب بشيء. أعيديه إلى أهله وردّيه إلى أمه لتعالجه، وهناك حكايات كثيرة تناقلها الناس حول سرّ هذا المرض المفاجأ قد يكون السبب أن التغذية لم تكن كافية وربمّا تكون بسبب الحر الشديد أو يكون الصغير قد أصيب بالبرد، ولم تتأخر حليمة في تنفيذ أمر زوجها فحملت الطفل إلى مكة)).[٨٧]

وهنا في هذا الجزء كانت حادثة شق الملائكة لصدره صلى الله عليه وسلم واخراجهم العلقة السوداء منه. ومن الواضح أن عبدالتواب يوسف تعمد عدم ذكرها، فهو يرى أن كتاب السيرة للأطفال ليسوا مطالبين بأن يحكوا كلّ شيء، وأنه لا بأس من تأجيل بعض الأحداث إلى أن يستطيعوا استيعاب الأمور وقبولها، كهذه الحادثة، فيرى أنّه لا مبرر لإثارة الفزع بين الصغار بأمر قد يشق عليهم إدراك أبعاده.[٨٨]

---

[86] انظر ،ابن هشام،السيرة النبوية ،ج١ ،ص ٢٦٤ ،من سي دي ،المكتبة الألفيةللسنة النبوية ،٢٠٠٠م.

[87] يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٤٦.

[88] يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٤٦.

ولفت نظري وأعجبني تفكيره بنفسية الطفل واحتياجاتها وما يتناسب معها، وإن كنت أرى أمراً أخر في هذا الموضوع، فطفل التاسعة أو العاشرة فما فوق وهو السن المناسب لقراءة الرواية يعرف أن الملائكة هم رحمة من الله، وأن الخير يتجسد فيهم، ولن يفزعه وجودهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طفل، أن ما قد يفزعه كلمة الشق فلا بأس لو كانت العبارة (استخرجت الملائكة من قلب الرسول الحبة السوداء)، بل على العكس فأطفال هذه السن يتشوقون ويتوقون إلى معرفة مثل هذه الأحداث الخارجة عن العادة، ويتمتعون بسماعها، ولا أعتقد أنه يفزعهم مثل هذا الحدث فمن المفيد لهم معرفته. وأن كان لأستاذنا نظرته المنبثقة عن دراسة، وبحث في مجال الطفولة وأدبها.

الفصل الرابع : محمد في مدارس الحياة : ١) لقاء مع الموت. ٢) في مدرسة عبدالمطلب. ٣) في مدرسة الرعاة.

وتبدأ أحداث هذا الفصل باللقاء مع الموت، وفيها يروي قصة رحيل آمنة إلى يثرب مع ابنها الوحيد إلى أهل أبيها، ليتعرفوا على ابنها ويتعرف الصغير عليهم، وكيف أن في طريق عودتها وكانت معهم بَرَكَة (أم أيمن) اشتد المرض بآمنة بنت وهب ((وفاضت روحها ومعها محمد إبن السادسة ودفنت حيث ماتت، والحق أنّه مشهد فريد ذلك الذي حدث في هذه المنطقة الجرداء من دنيانا ... أم ووليدها وحاضنته، والأم تصارع مرضها فيتغلب عليها .. والصغير لا يدري ما يفعله .. إنّه يلمس يد أمه الدافئة الحنون، فيجدها باردة بلا حياة، ويناديها فلا ترد، ويهتف باسمها فلا تأخذه بين ذراعيها كما عوّدته، وينفجر باكياً، إذ تقول له أم أيمن باكية :

– لقد ماتت أمك. ولا يعرف الصغير ما جرى، ولا يدري ما حدث، كل ما يستطيع أن يقوله في هذه اللحظة للحاضنة الطيبة :– أنت أمي بعد أمي.

عبارة وجيزة رائعة من طفل في السادسة الذي لا يدري إلى أين مضت أمه، وكانت قبل أيام ملء السمع والبصر، تتدفق حباً وحناناً، وحياة .. ويفتقدها الصغير بقية أيام الرحلة إلى مكة فيبكي في صمت، والناقة تمضي به وحيداً مع أم أيمن)).

استطاع عبدالتواب يوسف ببراعة وكأنه يرسم لوحة لحزن هذه اللحظة وأساها. ولكن رفقاً بقلوب الكبار، فما بال الصغار، أستطيع أن أجزم أن غالبية من سيقرأ هذا المقطع ستدمع أعينهم، لما سيلمس القلوب من ألم وحزن فراق الأم بالموت في الدنيا، واعتقد أن هذه الجزئية شديدة الوقع على قلوب الأطفال.

ثم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رفقه جدّه عبدالمطلب وقد أحبّه كثيراً وآثره على غيره، كما أنه كان دائم الصحبة له. رحل جدّه، وصار إلى جنب عمه أبو طالب الذي أوصاه الجدّ بذلك. ((وكان العم أبو طالب قليل المال كثير العيال، لذلك لا بد أن يعمل محمد صلى الله عليه وسلم، وما من عمل أفضل من الرعي، وله به خبرة سابقة أيام البادية مع حليمة في مضارب خيام بني سعد، وكان الرعي فرصة انطلاق خارج مكة إلى حيث الماء والعشب الأخضر، وهناك في الخلاء يصفو الجوّ، ويعايش الصغيرُ الطبيعة بجمالها)). ((وقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرعي كثيراً بعد ما كبر، فقال : أنه ما من نبيّ إلاّ ورعى الغنم. وقال عبارة شهيرة لا بد أنّه استوحاها من عمله في صغره، ونعني فيها : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))[٨٩] وما أكبر مسئولية راع عمره ثماني سنوات)).

إني لي في هذا المقطع ملحوظة وهي أن الحديث الشريف كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته لم يكن مستوحى من عمله في صغره – وإن كان هذا الكلام موجها لتربية الأطفال وغرس قيمة المسئولية – إلا أنهم لا بد أن يعرفوا أيضاً أنه لا ينطق عن الهوى إن هوى إلاّ وحي يوحى، فالحديث يُقصد به الرعاية والمسؤولية العامة والتي منها مسؤولية الراعي عن رعيه.

ويذكر عبدالتواب كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم، رؤوفاً بالحيوانات فإذا ما مرضت واحدة من الغنم، فإنه يحملها حتى يصل بها إلى مكانها ويعالجها، وهذا شيء جيد يسمعه الأطفال فيقتدوا به. وقد ذكر أن الله قد يعاقب بسبب الحيوانات وقد يغفر للعبد الذي يرحمها، وأشار إلى حديث المرأة التي عُذّبتْ بسبب هرة حبستها من دون أن تطعمها أو تفكّها، ورجل غفر الله له بسبب كلب سقاه بخفه.

ثم الفصل الخامس : مواصلة الدراسة الاعدادية : ١) في مدرسة أبي طالب. ٢) في مدرسة الرحلات والتجارة. ٣) نبوءة راهب.

وهذا الفصل هو استكمال لأحداث الفصل السابق، وهي فترة حياته بجانب عمه، وكيف أنه تعلم منه الكثير، وقد كان يحنّ عليه ويعطف عليه ويهتم به كثيراً. و((نحن الآن أمام طفل قوي الجسم والشخصية، قويّ الخلق والتربية، عطوف، نظيف هاديء وديع ومتواضع يؤدي عمله كأحسن ما يكون الأداء، ويتعامل مع الناس

---

[89] صحيح البخاري، كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وألي الأمر منكم)، رقم الحديث ٦٦٠٤، موسوعة الحديث الشريف (CD) .

في أدب وحكمه، ولا أحد يشكو منه، ولا يُسبب لعمه وأهله أية مشكلة... وكان ذلك في وقت سادت فيه الجاهلية وكثرت المشاحنات ونشبت الحروب لأقل سبب)).

نلاحظ في هذا الجزء السابق وفي الفصل عامة، تركيز عبدالتواب على ذكر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طفل، والتي سيحب كل طفل عندما يسمعها أن يقلّدها ويتصف بها، ولا يقول أحدهم هذا الزمان ليس كما قبل، بل قبل كان زمن المشاحنات والحروب والجاهلية – وإن لم يختلف العصر الحالي كثيراً عما كان في الجاهلية لابتعادنا عن الشيء الذي أبعد الناس عن جاهليتهم، فعدنا إليها مرة أخرى، فنحن لا نحب أن يسمع أبناؤنا مثل هذه الأقوال – وأن كان فيها من الصحة لأنها ستحبطهم وتضعفهم لكن نقول لهم الفرق بيننا وبين الجاهلية السابقة أن لدينا قرآناً كريماً لدينا التعاليم والقوانين والشرائع والفروض التي كلما انحرفنا عن طريقنا عدنا إليها، فهدتنا إلى سواء السبيل قال تعالى ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)).
ونتابع أحداث القصة، حيث اعتاد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السن أن يختلي بنفسه ويتأمل في هذا الكون وفي خلق الله تعالى وكان مبتعداً عن الأصنام ولا يحبّها منذ صغره. وفي مدرسة الرحلات والتجارة : ذهب مع عمه إلى الشام وسمع في رحلته الكثير عن الأقوام السابقة، وتعلم مع عمه عن التجارة وتعلم أن أهم ما في ذلك، أن رأس مال التاجر صدقة وأمانته وشرفه، وفي هذه الرحلة استضافهم لأول مرة راهب مسيحي اسمه (بَحِيرَى) و((جلس الراهب إلى محمد قليلاً .. وبعدها جاء إلى عمِّه وقال :

– سيكون لابن أخيك شأن عظيم.

نظر إليه أبو طالب في دهشة والرجل يواصل حديثه :

– لقد رأينا ذلك في كتابنا.

وتزداد دهشة العم .. والرجل يضيف :

– أسرع به إلى بلده، فإن اليهود إذا رأوه وعرفوه قتلوه !

(وكانت الذروة، ذلك اللقاء الفريد الذي تّم مع الراهب بحيرى، وهو يستحلف الغلام الصغير قائلاً :

– أقسم عليك باللات والعُزى أن تخبرني ...

وفي هدوء وأدبٍ شديدين، قبل أن يكمل الراهب حديثه قال الغلام :

– لا تسألني باللات والعزّى، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ..

ويذهل الراهب، ويميل على أبي طالب قائلاً :
إن ابن اخيك هذا يكون نبياً !)).
أخيراً الفصل السادس : ما بعد الرحلة وقبل الشباب :
١) غلام طاهر. ٢) مدرسة الثقافة والحرب. ٣) حلف السَّلام والعدل. ٤) على عتبة الشباب.

فأول جزء كان كيف أن الله صان هذا الغلام وحفظه من الوقوع في الرذائل، أو فيما كان يفعله من كان في سنة، ثم أنه كيف أشغل هذه الفترة بما هو مفيد له من حضور الأسواق، والتي كانت بمثابة المنتديات والمؤتمرات في وقتنا الحاضر، وكان مما سمعه في صغره في إحدى هذه الأسواق خطبة قس بن ساعدة[٩٠] والتي قال فيها : ((أيّها الناس اسمعوا وعوا، إذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جمعٌ وأشتات وآيات بعد آيات ....)). وقد سأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي فعلم بوفاته.

وأيضاً من الناحية الحربية ((فقد كان أبو طالب يدرب ابن أخيه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم على اطلاق النبال، ورمي السهام نحو الأهداف، وكانت هذه أمور لا بد منها لكل من يعيش في هذه الصحراء المترامية الأطراف، وبين القبائل المتناصرة المتحاربة)).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ما حمل على فئة إلاّ انهزمت، وقد أدرك قومه هذا الشيء وتتوالى أحداث حرب الفجار، ثم يأتي حلف الفضول[٩١] في الجزء الثالث من الفصل، وقد حضر هذا الحلف الرسول وهو صغير، وقال عنه بعد نزول الوحي : ((لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً، ما أحب أنَّ لي حُمر النعم، ولودُ عي به في الإسلام لأجبتُ. تحالفوا أن تُردُّ الفضول على أهلها، وألا يعزَّ ظالمٌ مظلوماً)).

((وكذلك انقضت طفولة محمد ... طفولة كان الله سبحانه وتعالى يُعدِه خلالها، ليكون نبياً ورسولاً .. طفولة طاهرة .. نقية عذبة، سخية، كانت هي البداية وهي الأساس. ومن بعدها وضع محمد أقدامه على عتبة الشباب وصولاً إلى سن

---

[90] انظر ،صفوة ،أحمدوكي،جمهرة خطب العرب، ج١ ،ص٣٨ ،بيروت،من سي دي ،مكتبة الأدب العربي،مركز التراث العربي.
[91] انظر ابن هشام، السيرة النبوية ،ج١ ،ص٢٦٤ ،من سي دي ،المكتبة الألفية للسنة النبوية ،٢٠٠٠م.

الرجولة الأربعين تلك السن التي نزل فيها الوحي عليه، أن اقرأ وأصبح محمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً)).

وكانت هذه آخر عبارات الرواية.

وإن كنت أجد شبهاً كبيراً بين كتاب طفولة النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالتواب يوسف وبين هذه الفترة من طفولة النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب طبقات ابن سعد وخصوصاً من ص٨٣ إلى ص١٢٩.

إلاّ أن عبدالتواب يوسف يؤكد لي أنه ليس متأثراً بطبقات ابن سعد ويقول : ((أنني لا أكتب بحوثاً ودراسات تحتاج إلى الكتب المرجعية، لكن ما أكتبه أدب وفن .... عندما بدأت أرتاد الكتابة الإسلامية الدينية للأطفال، درست نتاج من سبقوني، فوجدت أنّهم كتبوا تاريخاً إسلامياً، ولم يكتبوا قط أدباً إسلامياً)).[٩٢]

نجد ملاحظات على الرواية :-

١- الألفاظ والعبارات سهلة وبسيطة تناسب سن القاريء، حتى يتحقق من إيصال المعاني للطفل، مع استخدام بعض الألفاظ ومترادفاتها لإثراء حصيلة الطفل اللغوية، وليتعرف على الجديد منها ومكان استخدامها كتمتمان بالدعاء، النفير، يستشيط غضباً، وأيضاً استعمال تراكيب وعبارات سهلة، لا يصعب على الأطفال إدراكها كالحرب أكلت الأخضر واليابس، وانبثق الماء زلالاً طيباً.

٢- تضمينه الرواية لآيات من القرآن الكريم، مناسبة للحدث، كسورة الفيل وقد ختم بها الفصل الذي تحدث فيه عن أبرهة وجنوده، وكيف أرسل الله إليهم طيراً أبابيل، وسورة المسد، والتي نزلت في أبي لهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عاداه.

كذلك يضمن الرواية من الأحاديث الشريفة، ومنها ((كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته، وغيره وهناك النصوص الأدبية كخطبة قس بن ساعدة.

٣- يعمد عبدالتواب في الرواية إلى ذكر حادثة أخرى في زمن آخر، حتى يؤكد المعنى الذي يريد الطفل أن يدركه ويتعرف على اكبر قدر من القصص التي تفيده، كالذي جرى في الفصل الأول بين عبدالمطلب وابنه الحارث عندما ذكر قصة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ثم قصة نوح عليه السلام وابنه.

٤- أول ما نلاحظه على عناوين الفصول وأجزائها عصريتهاوحيويتها، وملائمتها مع عصر الطفل الحالي، وبالتالي تلفت نظره، فالأول كان البحث عن الكنز وهذا العنوان

[92] وهو نص من رسالة أرسلها الأستاذ عبدالتواب يوسف بطلب مني، بتاريخ ٩، رمضان، ١٤٢٣هـ.

كثيراً ما يلفت نظر أطفال هذه السن لحبه للإستكشافات، وروح الفضول لديهم، ثم أول غارة جوّية، وأيضاً هو شيء يلفت نظرهم، ثم المدارس التي التحق بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عنوان يسعى لأن يجعل الطفل يسأل نفسه عن تلك المدارس التي لم يُسمع بها من قبل، وكل عنوان هو عبارة عن فكرة الفصل الأساسية.
٥- لم يكتف عبدالتواب بالسرد التاريخي المباشر، مع محاولة التبسيط بل كان لا بد من أن تكون هناك فكرة تدور حولها الصياغة الجديدة للسيرة الشريفة، فكرة طريفة مبتكرة ومشوقة للأطفال.[٩٣]
٦- تركيزه في كلّ الفصول على ذكر الأخلاق الحميدة التي اتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ليكون قدوة يقتدي بها القاريء الصغير.
ويأخذ عبدالتواب يوسف على كاتب السيرة للأطفال_كمايقول_ : ((أن أول ما يمكن أن يقع فيه التركيز على الأحداث دون الاهتمام بالدلالات، ونحن مطالبون خلال رواية السير، بتوضيح أبعاد القيم الخلقية الرائعة التي تتكشف عنها الأحداث .. ونحن نكشف عن هذه القيم ليتحلى بها الأبناء)).[٩٤]
٧- محاولة ايصال معلومات تضاف إلى مداركه، وتساعده على النمو والاستيعاب، فكاتب الأطفال الحقيقي، لا يقتصر على تسليتهم، وانما هو يسعى من خلال التسلية إلى إغناء مدركاتهم إغناءً دالاً ونافعاً، والارتقاء بهم ذهنياً ولغوياً وجمالياً)).[٩٥]
٨- تحقق في الرواية ما نادى به عبدالتواب يوسف وهو ((أن تتعادل الكفتان عن محمد صلى الله عليه وسلم النبي ونبوئته، وعن محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان البشر، حتى لا يجد الأطفال بل والكبار، لأنفسهم المبرر في عدم التطلع إلى مثالياته عليه الصلاة والسلام، إذ يرددون أنّه نبي وأنه يستحيل عليهم أن يكونوا أو يتصفوا بما وضعه الله فيه، فبذلك يصبح قدوة مستحيلة، ومثلاً أعلى ليس في قدرتنا أن نكون على نهجه ومنواله خلقاً وسلوكاً.[٩٦]
ولي رأي قد يختلف – وأن لفتت انتباهي وجهة النظر السابقة – وهي أن يتعرف الأطفال عن الرسول صلى الله عليه وسلم البشر، الذي أوحي له معاً أنه شخص واحد، فهو ليس ككل البشر، (إنما أنا بشر يوحى إليّ) فنحن وهو بشر ولكنه

93 يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول أدب الطفل المسلم، ص٢٢٢.
94 يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول أدب الطفل المسلم ، ص٢٤٦.
95 المفالح، عبدالعزيز، " عبدالتواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤٥.
96 يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة " فصول أدب الطفل المسلم ، ص٢٤٦.

يتميز عنا بالوحي، والذي أنزل إليه، وما أنزل إليه هو الواجب علينا إتباعه من عقيدة وشرائع ومعاملات وفرائض واخلاق أمرنا باتباعها، وكان عليها صلى الله عليه وسلم. فنحن مطالبون بما شُرع الله لنا أن ننهجه، وأن نتبع سننه صلى الله عليه وسلم، ولا نستطيع أن نكون كأنبياء، ولسنا مطالبين بذلك، فلا بد أن نعلم الصغار أن هذا النبي له شخصيته المنفردة والتي كلنا كمسلمين نتطلع إليها ونحاول أن نقتبسها، وأن تكون قدوتنا في الأخلاق والحدود، والفروض التي أمرنا بها الله على لسان رسوله، ومع ذلك أن نعرف أن هناك أشياء خصه الله بها لأنه نبيّ لا تصح أن تكون لنا.

أما من يقول من الكبار والصغار أنه نبي، ويجدون بذلك المبرر من عدم التطلع إلى مثالياته عليه الصلاة والسلام، فهذا قصور في إدراكهم للرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم[٩٧] إلينا من الله، والتي علينا اتباع ما جاء فيها، فيجب أن يعرف الصغار ذلك أيضاً حتى لا يقولوأ مثل قال آباؤهم.

وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[97] المودودي أبي الأعلى، مباديء الإسلام، ص٣٧، بيروت، ١٩٧٧م.

عظمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم[98]

يبدأ عبدالتواب يوسف القصة مباشرةً، عن ابن سينا_ من أكبر علماء المسلمين في الطب_ عن حادثة حصلت له مع غلامه، ولم يتحدث مباشرةً عن صفات عظمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما عن طريق غير مباشرة يدل الأطفال عليها.

((الشيخ الرئيس ابن سينا واحد من أكبر علماء المسلمين وأطبائِهم .. وقد عَرَفه الناس بالذكاء والعبقرية والتفوّق، حتى أن غلامه ذات يوم أفزعه وأخافه بسؤال .. ولم يسارع ابن سينا بالردّ بل صمت .. وسكت إلى أن حانت اللحظة المناسبة لكي يجب)).

بدأت القصة بمقدمة صغيرة عن ابن سينا،ثم بالحدث الذي صار بينه وبين غلامة وهو السؤال الذي سأله إياه الغلام، وفي الجزء السابق يتعلم الطفل الترتيب في الكلام ومحاولة اختيار الألفاظ قبل الكلام وعدم التسرع في الإجابات.

((قال الغلام الفتى لشيخه الرئيس ابن سينا :

- أنت أعلم رجال عصرك .. بل أعلم الرجال على مرِّ العصور .. أعلمهم بالدين والفقه والطب و... خفض الشيخ الرئيس ابن سينا رأسه في تواضع وسأل غلامه :
- ماذا تريد أن تقول ؟

تردد الغلام الفتى وهو يختار كلماته في دقة :

- أنك تفوق من سبقوك، من العلماء .. إني أراك تفضل حتى الــ .. الــ .. الأنبياء.

قال ابن سينا لغلامه : أُسكُتْ ..

لم يسكت الغلام بل أضاف : قل لي، بم يفضلك محمد ؟ بم يتميز عليك ؟

وضاق صدر ابن سينا، صمت وسكت ولم يرد على غلامه مباشرة .. برغم أن السؤال تكرر ... ولم يحاول ابن سينا أن يتكلم ويطيل في الكلام عن النبي الأمي الذي يفضل الإنسانية جمعاء.

---

[98] يوسف، عبدالتواب، عظمة محمد صلى الله عليه وسلم، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤م. .

وقام ابن سينا لصلاة العشاء، ثم قراءة القرآن الكريم، وأوى إلى فراشه مبكراً في تلك الليلة فقد كان البرد شديداً.

وقبل الفجر بساعة أيقظ ابن سينا غلامه وسأله أن يدفيء قليلاً من الماء ليتوضأ فإذا بالغلام يمهل الشيخ ويتعلل بالبرد ويمر بعض الوقت ويوقظ الشيخ غلامه مره أخرى، ويتكرر اعتذار الفتى وأيضاً في الثالثة، وينطلق صوت المؤذن لصلاة الفجر .....)) ويستخدم عبد التواب يوسف فيمايلي في القصة طريقة الحواربين الشيخ الرئيس وغلامه،لتكون الصورة حيةممايثير المتعةوالتشويق لدى المتلقي الصغير،وهو على النحو التالي: ((وإذا بالشيخ الرئيس ابن سينا يقوم ليمسك غلامه من كتفيه ويهزه قائلاً :

- هل تسمع هذا المؤذن ؟
- نعم يا سيدي.
- هل رأى محمداً ؟
- لا .... لم يره.
- كم قرناً أو كم عاماً تفصل بينه وبين محمد ؟
- عشرات ... بل مئات الأعوام .... يا سيدي .... كم ميلاً يبعد هذا الرجل عن موطن محمد ؟
- ألآف الأميال.
- ومع ذلك فإنّه خرج في هذه الليلة الباردة، ليهتف باسم محمد من فوق أعلى مكان في المدينة ... وأنت الذي تعرفني وتقول أني أفضل من كل الناس تأبى أن تقوم من فراشك ..... أرأيت كيف يفضل محمد كل البشر)).

ومن جماليات الحوار هنا فوق كونه مكثفا مركزا،مقطرا من جمل قصيرة،ترددت بين شخصين،وكان موضوعياوواقعيابعيداعن التهويل والمبالغات،وأيضا هو واضح وبعيد عن الغموض،وقدعمل على تطوير الأحداث وتناميها بسرعة.

((ويهتف المؤذنون باسم محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، خمس مرات في اليوم من فوق المآذن، ونهتف له، ونصلي عليه مرات ومرات عبر ألآف

السنين ومئات القرون، إيماناً منا نحن المسلمين بأنه أفضـــل خلـــق الله واعظمهـــم وأروعهم .. لأنه رسول الله)).[٩٩]

وهكذا انتهت قصة عظمة محمد صلى الله عليه وسلم، والتي اســتخدم فيهـــا عبدالتواب الطريق الغير مباشر لاثبات ما يريد أن يعرفه الصغار، وهذا ما يؤكد ما قاله في أنه حينما يبدع في كتاباته الأدبية الإسلامية للأطفال، فإن الفكرة توافيه أولاً، ويقرأ من أجلها ثم يجمع كل ما حصل عليه من معلومات ويدعها تتآلف وتتفاعل في داخله، وبعدها يمسك القلم ويكتب ما وقر في نفسه، بالشكل الأدبي والفني الذي يراه. ففي القصة السابقة يريد أن يثبت قيمة رفيعة المستوى وهي ((عظمة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم)) فيبرزها للأطفال بطريقة غير مباشرة وبشكل أدبي، وبطريقة عصرية أيضاً.[١٠٠]

وأخيراً فإنه من الواضح أن الأستاذ عبدالتواب من خلال سيرته وبيئته قد تشبع بالجو الديني الذي تربى فيه من قراءة قرآن وحديث شريف وسيرة نبويـــة وتـــاريخ إسلامي، وإنه لا يتعمد أن ينقل من مصادر التاريخ والسيرة للأطفال، بقدر ما هـــو مهتم بأن يصوغ ويظهر إبداعه الأدبي بشكل عصري جديد، يجذب الأطفال ويزيدهم علماً بسيرة نبيهم وتاريخهم الإسلامي.

---

[99] يوسف، عبدالتواب، عظمة محمد صلى عليه وسلم، ط٢.
[100] من رسالة الأستاذ عبدالتواب يوسف المرسلة بطلب مني.

ج)التاريخ الإسلامي

تمهيد:

نقصد بتاريخ أمة :- تسجيل وتدوين لقيام الدولة، ونهضتها وحضارتها وازدهارها في شتى المجالات والميادين: السياسية والاقتصادية والإجماعية، وميادين الفنون والعلوم، بالإضافةِ إلى معرفة آلامها ومعاناتها، وأخبار أمجادها وانتصاراتها وآمالها وتطلعاتها[١٠١] وأخيراً كيف كانت نهايتها. أمّا تاريخ الأمة الإسلامية فمرتبط بدين، وكما يقول محمد قطب:- إن هذا الدين ليس شيئاً من تراث الماضي السحيق، يوضع اليوم في متحف الأفكار والنظم والعقائد، إنّما هو كائن حي إلى هذه اللحظة، ويملك مقوّمات الحياة في المستقبل مالا يملكه أي نظام آخر عرفته البشرية حتّى اليوم.[١٠٢] وقد كانت دعوة الحق في تاريخنا الإسلامي أمضى من كل سلاح، حتى البلاد التي خضنا المعارك لندخلها كان السلام هو الذي فتح قلوب أهلها، واستقر الإسلام فيها، وجعل بلادهم دياره. وكانت القاعدة التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته، هي التي رسمها له القرآن الكريم : " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ".[١٠٣]

وفي كل مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم والحروب في القرن الأول، لم يحارب المسلمون قوماً أو أمة أو شعباً، وإنما حاربوا القوى التي تحول دون وصول الإسلام للناس، وأكبر مثال على ذلك فتح مكة. فبواقع التاريخ الإسلامي نبطل قول القائلين، أن الإسلام انتشر بحد السيف، فما رفع سيف على رجل ليدخل الإسلام ولا أسلمت أمة وعلى رقاب أهلها سيف وإنما كان السيف لمن وقف في طريق الدعوة[١٠٤] فتاريخنا الإسلامي حافل بموضوعات كثيرة عن الفتوحات الإسلامية، وعن المجتمع الإسلامي، والدعوة الإسلامية وخطاها، وعن سير الدعاة والعلماء والقضاة والأدباء، وبطولات المجاهدين والفاتحين، وأوّلهم وأجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

101 إسلامية المعرفة (١) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٤٣، ١٩٨١م.

102 قطب، محمد، شبهات حول الإسلام، ص٥، ط٥.

103 سورة النحل آية ١٢٥.

104 مؤنس، حسين، " الإسلام الفاتح " مجلة دعوة الحق، عدد ٤، ١٤٠٤هـ.

فتاريخنا ليس تاريخ الخلافات والصراعات والمعارك، والأمراء، والقادة، كما يصوّره البعض، إنّما هو جزء من تاريخ الأمة التي صنعتها الرسالة، فحملت الدعوة للإنسانية، وتاريخ الدعوة، والدعاة، والعلماء، والحكماء، ومثل هذه المساحات تستحق أن تبرز وتنقل للأجيال ونبسط أمام الأطفال، والناشئة، حتى يتعرفوا على أبعاد تاريخهم الذي صنعه الإسلام، وحتى لا يحاصروا من قبل الخبثاء، بالأحداث المتعلقة بالحكم أو بالحوادث التي تتعلق بالخلافات والحروب.[١٠٥]

إن تقديم التاريخ للطفل شيء مهم وعسير في الوقت نفسه، والتعبير عن التاريخ من خلال شخصياته وأحداثه ووثائقه أمر أكثر أهمية وعسراً، وإن استدعاء الشخصيات التاريخية المهمة يسد فراغاً في مكتبة الطفل العربية، ويسهم في بعث التراث والتاريخ العربي، وتربية الطفل على الإتصال به، خدمة للحاضر، وتهيئة للمستقبل، لذلك فإن كاتب السيرة التاريخية يحتاج إلى موهبة، وإلى قدرة على التتبع التاريخي وفهم لمدارك الطفل المتلقي أيضاً.[١٠٦]

وقراءة القصص التاريخية تحقق لدى الطفل نتائج منها : ١- الوعي الحسي الزمني بحركه الحياة على نحو مترابط، وتنمية الشعور به، والطفل من خلال قراءته للقصة التاريخية، يستطيع أن يتبين العوامل التي لها تأثير في واقعه المعاش، بالإضافة إلى الإحساس بأهمية العمل الجماعي من خلال إطلاعه على الحركة الجماعية التي تتحول مع الزمن التاريخي بالفعل.
٢- تنمية الشعور بالإنتماء الوطني والإنساني والقومي، وقبل هذا وذاك الإنتماء إلى العقيدة الواحدة، ومراحل انتصارها، ٣- وتساعد القصة التاريخية على توسعة آفاق الخيال، وترويضه لدى الطفل بحيث تتكشف له عوالم جديدة، ٤- وأيضاً بناء شخصية الطفل من خلال التعرف على نماذج البطولة، المختلفة، ٥- وتنمية خبرته عبر فهمه للأسباب التي أدت إلى بروز الأبطال ونجاحهم.[١٠٧] ٦- إضافة إلى أنّها تعرّفه الكثير من المعلومات عن البلدان والقارات والمحيطات. وعادةً القصص التاريخية تكون قصصاً طريفة في حوادثها، وأسلوبها مشوّق، لذا فهي تبهج الطفل القاريء، وتطلعه على ألوان مشوقة من الحياة، وتدفع عنه السأم، وتعوّده على حسن التفكير.[١٠٨]

---

[105] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص١٣٦.
[106] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص١٥٤، دمشق، ١٩٨٧م.
[107] الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٢٥٨، حائل، ١٩٩٦م.
[108] شحاته، حسن، قرآءات الأطفال، ص٦٢، القاهرة، ١٩٨٩م.

وبما أن الأسلوب القصصي يُعّد من أفضل الوسائل التي نقدم بها ما نريد تقديمه للأطفال، سواء أكان ذلك قيماً أم معلومات، فإننا نستطيع عن طريق القصص، تقديم تاريخنا الإسلامي للأطفال، فمن المسلم به أن الطفل هو ثروة الأمة الأساسية ومستقبلها، لذلك يلزم علينا أن نكون حلقة الوصل بينه وبين ماضي الأمة الإسلامية وتاريخها، وكُتّاب أدب الأطفال عليهم النصيب الأكبر من هذه المهمة، لأن نتاجهم للأطفال يمثل ثقافة جزئية مؤثرة على الطفل في المرحلة العمرية التي يمر فيها معرفياً ووجدانياً ومهارياً.[١٠٩]

والقصص التاريخية منوعة : ففيها ما يدور حول الشخصيات التي صنعت التاريخ، ومنها ما يدور حول البيئة التي شكلت الملامح الأساسية للواقع، ومنها ما يعنى برسم الأجواء التاريخية واستلهامها دون التقيد بتفاصيلها. والقصة التاريخية الجيدة تُحي التصوّر للأحداث الماضية، وتصل شخصياتها بالحاضر، وذلك حقيقي في القصص التي تحكي الأحداث والأشخاص من تاريخنا، كما أنّها واسطة في تربية الشعور القومي، وإنماء الكرامة الوطنية عند الأطفال.

فكل طفل خياله جائع نحو البطولات والأبطال، والتاريخ العربي الإسلامي مليء بالبطولات : بطولات في الحرب، وبطولات في الاحتمال والعمل، وفي اتخاذ القرارات التي يتوقف عليها مصير أمة، وبطولات في الإيثار والتضحية، وبطولات كثيرة غير ذلك. وفي سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكثير من المسلمين، نجد في كل منهم قصة، لذا يود أطفال العرب والمسلمين أن يعيشوها، فتبعث في قلوبهم العزة وتنمي في نفوسهم الإحساس بالماضي المجيد ،حيث أن الطفل يبدأ أثناء نموّه العقلي في التعرف على الحياة على أساس أن الأشياء الماضية سبيل إلى فهم أعمق للحاضر، ويدرك أن عليه أن يخرج من دائرته الضيقة واليومية المحدودة، ويذهب به الخيال إلى أعماق الماضي السحيق، وعملية التعرف تعني زيادة الفهم الذاتي للإنسان، فتعمق معرفة المرء بنفسه. والمراد بالنمو العقلي هنا، هو إتصال المرء بالعظماء، من خلال تاريخهم ليستعرض ما فعلوه، ولماذا فعلوه، وليعرف أن ما هو فيه الآن من حضارة ومعرفة، قائم على أساس ما قدمّوه للإنسانية من خدمات، وليتأكد من أن الناس لهم مثل ما له من اهتمامات. وفي الجانب الأخر، ليس المقصود من قراءة البطولة في سن باكرة هو مجرد الاهتزاز فخراً أو الاعجاب بأفعال البطل

---

[109] شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، ص٢٦، القاهرة، ١٩٩١م.

المجيد، وإنما المقصود هو التعرف على الشخصية البطولية، ففي قصة صلاح الدين الأيوبي على سبيل المثال، ليس المراد منها هو الانبهار بانتصاراته على الصـــليبين الغزاة وطردهم من الشرق العربي، بل الوقوف على أبعاد هـــذه الشخصـــية التـــي استطاعت بتقاليد الفروسية الإسلامية، أن تبهر فرسان الغرب، وملوكهم، فتصبح قصة على ألسنتهم يكنون لها كل تقدير. وكل شعب يخلد أبطاله بالقصص والتاريخ، فليسمع أطفالنا قصص أبطالنا في التاريخ القديم والحاضر، والمعاصر، حتى يعرفوا أي نوع من الدماء تجري في عروقهم.[١١٠]

[110] الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٢٧٤.

التاريخ الإسلامي في قصص عبدالتواب يوسف

إذا أردنا أن نلقي نظرة على وجهة عبدالتواب يوسف في قضية التاريخ الإسلامي وأدب الأطفال، فخير سبيل أن أشير لأقوال له في هذا الموضوع، حيث يقول بلسان مسلم غيور:

((تاريخنا الإسلامي والعربي حافل بالمعارك والمعالم، والبطولات، والسؤال: هل استطعنا استثماره والإفادة منه للأطفال ؟ فتاريخنا غني، ثري، وطويل، إن تاريخنا لا يمكن أن يُغفل أو ينسى، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف يمكن أن نستثمره بشكل مثير أخاذ ، يجذب الأطفال ... ... فنحن ندرك أهمية التاريخ وضرورته ... فلا بد من محاولات جادة لصياغته للأطفال))[١١١]

إذاً من الواضح أن لدينا تاريخاً غنياً وثرياً، ويعرف ذلك كاتبنا، وينادي بالإفادة منه في قصص الأطفال، فكيف كانت تجربته حيال هذا الموضوع المهم ؟ وما الطريقة التي سلكها في صياغته القصص من تاريخنا الإسلامي ؟؟.

توجد أكثر من محاولة لصياغة التاريخ للأطفال في قصص الآخرين، إلاّ أن عبدالتواب يوسف، يرى أنه مع كثرة المحاولات فإن هناك معضلة أمام تلقي الطفل مادة التاريخ عموماً، وتاريخ أمته خاصة. فيقول : ((فكيف يمكن أن نجذب الأطفال إلى التاريخ ولا ننفرهم منه ؟ ذلك أننا نلقنهم التاريخ بشكل مزعج، أصوات متوالية، أرقام سنوات، حشد من المعلومات لا طاقة لهم بها، خاصة وأن الامتحانات تنتظرهم لكي تختبر ذاكرتم، والتاريخ مثير بكل مغامراته، وأحداثه وشخصياته، حكاياته، قصصه، رواياته، وما من شيء يقربه إليهم، بل إننا لا نستفيد من ميل الأطفال الطبيعي وحبهم له ... فالسرد السخيف، والعرض الممل الرتيب، وعدم ابتكار أطر تجعله أكثر جاذبية، وإمتاعاً، وإقبالاً، كل ذلك ينفر الطفل منه. لقد وصل الأمر بالغرب إلى اختراع الإطار للقصص والشخصيات؛ ليعوّضوا انفسهم عن الفترات التاريخية التي لقوا فيها الهزيمة منا نحن العرب المسلمين، بمعنى أنّهم ابتكروا شخصية خرافية اطلقوا عليها الملك آرثر، وفرسان الملك آرثر، وكتبوا عنه عشرات الأعمال المؤلفة، في الوقت الذي لم نحسن نحن تقديم أبطالنا المنتصرين من أمثال

---

[111] يوسف، عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١١٣.

صلاح الدين وغيره، هاتان الصورتان المتقابلتان تكشف إلى أي حد تقصيرنا في استثمار تاريخنا، والإفادة منه لربط أطفالنا بجذورهم العميقة عبر الزمن)).[112]

ولذلك يرى عبدالتواب أن واجبه حيال هذه القضية – التي هو حريص عليها جداً – أن يستفيد من هذا التاريخ المدوّن الذي خلفه لنا أجدادنا، ويدرك أنّه دُرّب لهذه الكنوز، التي هي أثمن من الذهب، وهي نصوص القصص التي تجمع وتدوّن كما هي، بلا زيادة أو نقصان، يحتفظ بها للدراسات العلمية، فيرى أن لا تترك مخزنة لا تمتد إليها يدٌ لإعادة صياغتها من أجل الأطفال. وقد تجاسر على صياغة قصص من التراث التاريخي الإسلامي، صياغة جديدة ولم يبدل ولا يغيرّ في أحداثها شيئاً، وأضاف على العمل بعض الجوانب الجديدة، التي لا تخرجه أبداً من إطاره.[113]

فقد كتب عدة سلاسل عن شخصيات عظيمة في تاريخنا الإسلامي، كان لها سبق البطولة في مجالات مختلفة في ميادين الحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية، وغير الوقائع والأحداث التاريخية التي تذكر ضمن سلسلة من السلاسل كقصة الطريق إلى عين جالوت، وقصة سلطان العلم هارون الرشيد واهتمامه بالعلم من سلسلة من كل بلد عربي قصة. وهناك سلسلة فرسان الإسلام، وتضم خمسة عشر شخصية، لكل واحدة قصة مفردة، وسلسلة أطفال أبطال وتضم عشر قصص لأحد عشر طفلاً بطلاً، وأيضا سلسلة اللقاء الفريد، والتي يقدم فيها عشر قصص لعشر شخصيات علمية عُرفت في تاريخنا الإسلامي، وأفادت العلم حتى وقتنا الحاضر، وقد فازت هذه المجموعة بأول جائزة للدولة في ثقافة الأطفال، وسلسلة شروق الإسلام.

ويتخذ عبدالتواب يوسف الشخصيات مدخلاً لهذا التاريخ على اختلاف اهتماماتها وبطولاتها، ومع أن السير التي كتبت لأعلام الإسلام وأبطاله كثيرة، وقد تتابع صدورها بشكل أغرق الأسواق، فإن عبدالتواب أيضاً كتب في هذا اللون. فهو يرى أن القضية هنا هي قضية تناول، وأحداث حياة الشخصية لا تعنيه إلاّ بالقدر الذي يستهدفه من رواية القصة من حياة الشخصية، فهو يضع الهدف قبل أن يتناول الشخصية بالكتابة، ماذا يستطيع أن يقدم للطفل على سبيل المثال عن رفض الإسلام

---

112 يوسف، عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي للأطفال "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١١٤،

113 يوسف، عبدالتواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٤١، القاهرة، ١٩٩٢م.

للتفرقة العنصرية ؟ فيحكي له قصة بلال، فهو يقدمها بشكل عصري، ويربطها بمـــا يجري في عالمنا من تقدم وعلم وحضارة، وأيضاً تفرقة عنصرية.[114]

وكما يقول عبدالتواب يوسف : جميعنا يعرف الكثير عن حياة علي بن أبـــي طالب، منذ مولده وخلال حياته في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يضع يده على حادث وقع ليلة الهجرة والتي قضاها في فراش النبي صـــلى الله عليـــه وســـلم فيقول : ((ويكفي هذا لكي اكتب عن قيمة رفيعة المستوى هي الشجاعة، التي أرى أنّها ليست مجرد قوة عضلية، أو قدرة على القتال، بل أن دخول الفراش وقضاء الليلة فيه، ذروة من درى الشجاعة، وأريد أن أقول من خلال ذلك أن القـــيم تكمـــن فـــي تصرفات قد لا يتنبه لها الكثيرون خاصة الأطفال، ومهمتي أن أسلط عليها الضـــوء، وانتقيها بدقة وأكشف عنها دون وعظ أو حفظ)).[115]

فيحاول خلال رحلته الطويلة مع الطفولة، أن يرسي قيماً أساسية أتـــى بهـــا الإسلام، إلى جانب تعميق الإيمان، فهو عندما يختار شخصية من الشخصيات المهمة في تاريخنا الإسلامي، فإنه يختارها متناسبة مع الهدف أو القيمة مثال ذلك العنصرية : بلال الشاعر سيد ناغي الفروسية : جميع قصص فرسان الإسلام، صـــغار ولكـــن يتحلون بما يتحلى به الكبار من شجاعة وإيمان وفروسية مجموعة أطفال أبطال التي يريد أن يرسخها. فأبطال الإسلام كل منهم قدوة ... بأيهم اقتديتم اهتديتم.

ومن ناحية أخرى أشير إلى أنه مع كل هذا الاهتمام من عبدالتواب بتاريخنـــا الإسلامي، والاهتمام بصياغته، وتقديمه لأطفالنا، فهو لا يريد لأبنائنـــا ان يســـجنوا أنفسهم في الماضي، ويعيشوا التاريخ فحسب، بل لا بد أن يدرك الجميـــع أن الـــدين وراء الحضارة، وأن نؤمن بأنه دين للحياة والأخرة، ومن خلال قراءاتنا للتاريخ نركز على كيف أن الدين كان وراء الإزدهار والتقدم العربي والذي يظهر مـــن تاريخـــه العظيم.[116] وذلك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته.[117]

---

114 يوسف عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي للأطفال "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠١-١٠٧.

115 الرسالة التي كتبها الأستاذ عبدالتواب يوسف بخط يده ٩ رمضان ١٤٢٣هـ.

116 يوسف، عبدالتواب، " الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نقوس الأطفال "، ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، ص٥٧٤، القاهرة، ١٩٩٢م.

117 ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، جـ١، ص٩، ط٥، بيروت.

تحليل لنماذج من قصص التاريخ الإسلامي لعبدالتواب يوسف

بداية أشير الى موضوع الطفل وإحساسه بالزمن. فكمـا يشـير إلـى ذلـك عبدالتواب فيقول : إنه موضوع هام وخطير، ولا بد أن ينظر إليه في جدية شـديدة حين نعلم التاريخ.

إننا نريد أن نربط الأطفال بالشخصـيات التاريخيـة وبطولاتهـا – فكريـاً، ونفصلهم عنهم زمنياً وتاريخياً، فيعرفوا الفارق الزمني وكم يفصـل بيـنهم وبـين الشخصية التاريخية من زمن، ولايعي ذلك إلا من كـان فـي سـن التاسـعة فمـا فوق،وقصص عبدالتواب التاريخية، موجهة لهذه السن في الأغلب[118].

حمزة بن عبدالمطلب[119]

وهي قصة من سلسلة فرسان الإسلام، وفي مقدمتها يتحدث الكاتب مع القاريء عن اسمه هو يشبه اسم الشخصية التي سيقرأ عنها، أو أى أحد آخر يعرفه له نفـس الأسم، واختيار الشخصيات – كما يقول عبد التواب – في فرسان الإسلام لم يجـيء اعتباطاً، فقد اختار اسماء عربية إسلامية عادت تملأ بيوتنا من جديد، تيمناً بالجدود.. وأسماء لأبطال أوقعوا الذعر بالأعداء، وكانت اسماؤهم كفيلة بخلع قلوبهم ... كـان الواحد منهم يساوي جيشاً كاملاً، يخوض المعركة بلا مبالاة لأن الإيمان يملأ قلبـه. ومن هنا نقول للأطفال أن هذه الأسماء الغالية العزيزة، إذا حملنها أو لم نحملها، يجب أن تكون في مستواها، بطولة وشجاعة، وعزماً وإصراراً، وأغلب شخصيات فرسان الإسلام، عاشوا في صدر الإسلام، لكن معهم بطل حطين صلاح الدين، ومن الرعيل الأول عائلة آل ياسر.[120]

تبدأ القصة مباشرة بـ: ((كان حمزة بن عبدالمطلب – عم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم – من أشرف قبائل العرب، ومن أغنى النـاس فيهم، وكان شجاعاً قوياً، يعيش حياة طيّبة، ممتعة، حتّى إنه عندما بُعث محمد عليـه

---

[118] يوسف عبد التواب''القصص التاريخي الإسلامي للأطفال''،فصول في أدب الطفل المسلم،ص١٠٤

[119] يوسف ، عبد التواب ، حمزة بن عبد المطلب ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٣م.

[120] يوسف، عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي للأطفال "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠٦.

الصلاة والسلام نبياً، وبدأ دعوته، لم يهتم كثيراً بما يجري، إلى أن كان يوم اعتدى فيه أبو جهل على محمد صلى الله عليه وسلم. وعرف حمزة ما صنعه أبو جهل مع ابن اخيه محمد .. ساعتها انتفض حمزة كالأسد الجسور، ومضى يبحث عن أبي جهل حتى لقيه، وضربه فشج رأسه، وأعلن حمزة أنه تبع محمداً، وآمن بالإسلام، ويذهب إلى الرسول ليسمع منه، وإذا بكلماته عليه الصلاة والسلام تملأ قلب عمه بالخشوع، وإذا بالأسد الهصور الجسور يبكي بالدموع من خشية الله سبحانه وتعالى)).

((وعندما يبدأ المسلمون في تكوين جيش لهم، كانت أول كتيبة قامت بقيادة حمزة، وعُقدت له أول راية في الإسلام .. وكان ذلك قبل غزوة بدر وخرجت كتيبة حمزة لقتال الكفار، وكان عددهم قدر عدد المسلمين عشر مرات، ومع ذلك استعد حمزة للقتال، لولا أن قريشاً أثرت السلامة ومضت في طريقها، وكان أفرادها نحو ثلثمائة، وكتيبة حمزة لا تتجاوز الثلاثين من المهاجرين)).

ثم كانت بدر وخرج حمزة لمبارزة الخصوم، ((وعندما سأل المشركون .. من أنت؟ صاح حمزة : انا حمزة أسد الله وأسد رسوله)). وقد كان بطل المعركة وفارسها حمزة، لقد صال وجال وأفزع رجال قريش وهزمهم هزيمة منكرة، وقال أمية عنه : إنه فعل بنا الأعاجيب .. لقد أذهلنا هذا الرجل.

((حقدت قريش على حمزة وأعدت له عبداً اسمه وحشي ليقذفه بحربة تقضي عليه .. وزحف الكفار إلى أحد. ولم يخف حمزة مما أعدوه له، بل راح يقاتلهم ببسالة وضراوة حتى استطاع في بداية المعركة أن يصرع ثلاثة من أبطالهم .. ثم هاجمهم بكل قوة وعنف قبل أن تستقر حربة وحشي في جسده الطاهر ليسقط شهيداً، وابتهجت هند بنت عتبة بذلك، وحاولت مع زوجها أبي سفيان أن تمثل بالبطل الشهيد الذي حزن عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام حزناً شديداً وقال عنه : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبدالمطلب مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله))[١٢١].

ويختم عبدالتواب القصة بخاتمة تربط الأطفال بعصرهم الحالي بعد أن ختم السيرة فيخاطب الطفل المتلقي : ((هذه قصة حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله، وقد لقي هذا البطل ربّه شهيداً، وكثيرون يحملون اسمه، ويتمنون لو أنّهم ساروا على نفس طريقه، واستشهدوا في سبيل الله)).

---

[121] انظر طبقات ابن سعد ، ج٣، ص٨ ، بيروت ، ١٩٥٧م.

ويتضح للطفل القارىءمن بداية القصة، الصفات التي اتصف بها سيدنا حمزة وهي : الشجاعة، القوة، الإباءة، من قبل أن يسلم، وبعد أن أسلم ساند ابن اخيه في دعوته ودافع عنها ثم كانت هجرته مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة خادم رسول الله ومولاه، وهذا يشير إلى المساواة التي أمر بها الإسلام.

وأخيراً يذكّرهم بنشيد وطني في مصر ((يا عم حمزة احنا التلامذه)) وعندما سأل عن عم حمزة المذكور، عرف أن المقصود به عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعم المسلمين كلهم، فإن أسد الله وأسد رسوله في وجدان المسلمين وهم جميعاً يتخذونه مثلاً أعلى. وأخيراً يوضح لهم معنى اسم حمزة في اللغة العربية وهو اسم من أسماء الأسد.

فالقصة مشحونة بقيمة الشجاعة التي ينادي بها الكاتب الأطفال، وأن يكونوا كحمزة بن عبدالمطلب في شجاعته وجسارته، وهي قصة تصلح لابن التسع فما فوق_لأن هذه المرحلة هي مرحلة حب البطولات و المغامرات وبداية استيعاب المعاني المجرّدة_ فسيعي مغازيها ثم يستفيد منها، والألفاظ فيها سهلة وتراكيبها بسيطة ليست معقدة .. فمثال ذلك ((كان شجاعا قويا،يعيش حياة طيبة ممتعة))سترتسم بهذه الألفاظ البسيطة الغير معقدة ،صورة واضحة لشخصية البطل ،كما أنها ألفاظ مثيرة لاهتمام طفل هذه المرحلة.

قصة الطريق إلى عين جالوت[١٢٢]

وهي قصة من مجموعة : من كل بلد عربي قصة، وقد فازت هذه المجموعة أيضاً بجائزة الدولة في أدب الأطفال، وهي عشر قصص من عشر بلـدان عربيـة، والقصة التي بين أيدينا من مصر. تبدأ بـ :

((كان الوقت ظهراً ..

دخلت مدينة القاهرة امرأة ممزقة الثياب مشعّثة الشعر، يبدو عليهـا الحـزن والتعب، والدموع تتساقط من عينيها .. مشت في الشوارع بدون هدف. لم تكن تعرف أحدا. وصلت إلى حيٍّ الأزهر. التقت بها امرأة مصرية. تبادلتا النظرات. مضت كلٌّ منهما عن الأخرى، لكن المصرية عادت إليها وسألتها :

- سيدتي، هل أنت غريبة عن المدينة ؟
- نعم.
- من أي البلاد أنت ؟
- أنا قادمة من بلاد الشام.
- مرحباً بك .. وأهلاً وسهلاً ..
- شكراً.
- ألا تعرفين أحداً هنا ؟
- لا.
- هل تتفضلي عندي ضيفة في بيتي ؟
- حباً وكرامة ..))

سارت السيدة المصرية ومعها ضيفتها، ويصوّر الكاتب ما كانت عليه حالـة الضيفة، من تعب ومشقة الرحيل، وكيف استقبلتها السيدة المصـرية بكـل ترحيـب وقدمت لها الطعام_وقداشتهر العرب بصفة الكرم وإقراء الضيف وخاصة أهل الريف والقرى منهم_ ثم حكت لها قصتها ولِمَا أتت من بلاد الشام وحدها، قالت المرأة :

((كنت أعيش في دمشق، المدينة الفيحاء، الجميلة، المليئة بالحدائق، والتـي تحيطها الحقول الخضراء من كل جانب، وكان لي زوج وأبناء. حياتنا كانت سـعيدة

---

[122] يوسف ، عبد التواب ، الطريق إلى عين جالوت ، القاهرة ، ١٩٩١م.

إلى أن جاء يوم سمعنا فيه أنباء عن المغول، وعن رجل اسمه جانكيز خان يقودهم. جاءوا من أقصى الشرق. صُفر الوجوه. عيونهم ضيّقة شعرهم مجدول .. سمعنا أنّهم بدائيون. لا يعرفون إلا النهب والسلب. هم يسرقون، يخطفون، ويقتلون من يقاومهم أو يقف في طريقهم. إنهم زاحفون كالجراد يأكلون الأخضر واليابس، ولا شيء يعنيهم في الحياة غير ذلك. قاومتهم البلاد التي ساروا إليها لكنهم كانوا كثيرين. (والكثرة تغلبُ الشجاعة كما يقولون))).

وحكت لها كيف كانت حالة المدينة والبلاد كيف دمّروها واشعلوا النيران فيها، ولا يتركون وراءهم غير الخراب.

((سمعت المرأة المصرية من ضيفتها حكاية المغول، وانزعجت لذلك أشد الانزعاج، خاصة وقد روت الضيفة كيف وصل هؤلاء البرابرة إلى بغداد : أجمل مدن الدنيا في ذلك الوقت وأعظمها. مدينة زاهرة. عامرة بالبساتين. السيدة المصرية سمعت الكثير عن بغداد في حكايات ألف ليلة، وهارون الرشيد، سمعت عن قصورها، مدارسها، معاهدها، ناسها، قضائها، جنودها، خلفائها، سمعت الكثير عن مكتبتها العظيمة، سألت ضيفتها عن مصير المكتبة، انفجرت المرأة باكية بالدموع .. وقالت :

- المكتبة .. مكتبة بغداد، أعظم مكتبات الدُنيا توجَّه إليها المغول بالفؤوس .. هدموها ..
- والكتب ؟
- ألقوا بها في النهر .. أصبح النهر بلون الحبر.
- هم يعرفون أن الكتب أعدي أعداء الغزاة، إنها أقوى سلاح بعد أصحابها)).

وظلت السيدتان تبكيان، ثم ساد الصمت، وسألت السيدة المصرية ضيفتها، كيف وصلوا إليها وهي من دمشق وشرحت لها زحفهم، وكيف أن زوجها وأولادها استشهدوا مثل الألوف، ثم قالت لها:

((يجب أن تبصّري مواطنيك وأهلك في مصر بالخطر القادم.

- إنها كارثة تهدد كل شيء

خرجت المرأة المصرية إلى حي الأزهر .. ذهبت إلى العلماء في المسجد الكبير. مضت إلى الناس والمماليك في كل المدينة .. كانت تحكي وتبكي.

الشيء الرهيب أن احداً لم يكن يستمع إليها، وترددت عبارات غريبة من كثيرين :

- إن بغداد بعيدة جداً، فتجيب ولكنهم وصلوا إلى دمشق.
- أيضاً هي ليست بقريبة)).

وحاولت محاولات عديدة ولكنها غير مجدية ولم يلتفت إليها الا القليل، وتعود وتصرخ :

- ((ياقوم .. يا عرب .. اخرجوا لملاقاة الغزاة .. النارُ تزحف عليكم. لا تدعوها تحرقكم))

وأحست المرأة أن دعوتها لم تصل بالكامل، ولا حياة لمن تنادي :

((وفجأة شهد حي الأزهر حريقاً رهيباً في بيت هذه السيدة المصرية. تناقل الناس أنّها هي التي اضرمت النار في بيتها .. البعض لم يصدق ما لم يسمع، لكن الجميع هرعوا لكي يطفئوا هذه النيران، كانت تنتظرهم مفاجأة أكبر .. وقفت المرأة تسدُّ عليهم الباب، وترفض أن يدخلوا لكي يطفئوا النار .. صاحوا فيها : فليحترق بيتك، لكن المشكلة أن النيران سوف تمتد ألسنتها إلى البيوت الأخرى، فتُحرق حي الأزهر، وربما أحرقت كل المدينة)) سألتهم المرأة أن يرددوا هذه الكلمات من جديد مرات ومرات قبل أن تسمح لهم بدخول البيت لكي يطفئوا الحريق، وفعلاً نجحوا، وقد تنبهوا للكلمات التي جعلتهم يرددونها أضافت هي إليها :

((النار التي أشعلها التتار في العراق وبغداد، امتدت ألسنتها إلى الشام ودمشق، وغداً تصل إلى مصر ،القاهرة

عند ذلك خرجت جيوش مصر إلى عين جالوت، لكي تُقاتل التتار وتهزمهم وتنقذ بذلك حضارة العرب والإسلام والإنسان)).

وبذلك تنتهي القصة ومع أن اسمها يجعل القاريء يظن أنها تفاصيل للمعركة، إلاّ أن عبدالتواب كان ما يهمه هو كيف كانت بداية المعركة، والقيم والأهداف التي سبقت أحداث المعركة، فهو يريد أن يعرفهم قيماً اجتماعية واخلاقية وسياسة وثقافية، كلّها تنطلق من مباديء الإسلام : إكرام الضيف وإقراءه، وحسن الحديث معه،وحب العلم وكتبه و الإباءة وعدم الرضى بالذل، فلم ترضى المرأة بأن يجر التتار أذيالهم

إليهم وقومها غافلون أو مستسلمون، بل (أعدّوا لهم ما استطعتم من قـوة)[١٢٣] فقـام الجيش، ولم تيأس المرأة ولم تتوانى عن ملاحقة قومها وتنبههم للخطر القادم، ومما هو مفيد أيضاً في القصة سؤال المرأة عن المكتبة بأسلوب فيه نـوع مـن اللهفـة والخوف على العلم وكتب العلم، مما يشعر القاريء بغيره على حضارته وتاريخه وعلومه.

اعتمد الكاتب في القصة هنا، على الحوار والمجادلة، بين المرأة المصـرية و المرأة التي من الشام، وبين المرأة وقومها الشيء الذي يجعل القصة ملموسة مجسدة أكثر في ذهن الطفل.

وأشار الكاتب في بداية القصة إلى زمنها الماضي ب(كان) فإحساس الطفـل بزمن الحادثةومكانهاأمر هام وإن لم يحددله يوما أوعاما،وعوضا عن ذلك أشار لوقت الحدث اليومي وهو الظهر ،وذلك يلائم طفل المرحلة المتأخرةأكثر فهو لن يستوعب التاريخ بأرقامه بل يتعرف على الأحداث والشخصيات في التاريخ ،كما أنه أشار إلى المكان وهومدينة القاهرة حي الأزهر،ولابد لأحداث القصةأن تلتزم بعادات وظروف المكان الذي وقعت فيه .[١٢٤] وأحداث القصة هنا مناسبةللمكان الذي وقعت فيـه فـي الزمن الماضي حيث كان الناس يعرفون الغريب إذا ماوفد إلـى بلـدهم وسـرعان مايستضيفوه ويكرموه،ويتجاذبوا معه أطراف الحديث ويسألوه عن حاله وحال أهله أما اليوم فيعد ذلك فضولا ومما لايعني المرء.

وكما سبق فإن الكاتب يتخذ من الشخصية أو الحادثة التاريخية مـدخلاً إلـى الهدف الذي يريده من رواية القصة وأن تكون وسيلة لشرح القيم التي ترمز إليها.[١٢٥]

---

[123] سورة الأنفال ، آية ٦٠.

[124] الهرفي،محمدعلي،أدب الأطفال،ص ٩٠،الإحساء،١٩٩٨م.

[125] يوسف، عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي للأطفال "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص ١٠١.

د) التراث القصصي العربي

التراث القصصي العربي .

القصص هو ميراث الحضارات الأول، وهو فطرة إنسانية، تلبيّ نزوعاً إنسانية يستحيل تجاهله، في كل العصور التاريخية والمراحل العمرية للإنسان، وفي كل الثقافات والأجناس والحضارات الإنسانية، وفي كل الديانات السماوية وغير السماوية، فضلاً عن رغبة دفينة في امتلاك العالم عن طريق القصص، وإعادة تشكيله كما يحلم به.

والقصّة وأن كانت أحدث الأجناس الأدبية ظهوراً، فهي أعرق ألوان الأدب تاريخاً، فهي قصة المجتمع، والأدب القصصي القديم هو تكثيف جمالي للثقافة السائدة داخل كيان المجتمع، وأن الموروث الحكائي، بحث جاد لا في معرفة، بل في إدراك الحياة وطبيعتها ومعناها، فهو انعكاس فني لعلاقات الحياة اليومية، وخوض في أعماق الحياة.

وللعرب موروث قصصي ضخم، سواء أكان شفهيا أو مدوّنا، ولقد جاء عصر الإستشراق والبحث الأدبي المعاصر، وكشف عن عبقرية العرب القصصية، على حد تعبير فريد ريش فون دير لاين، الذي يؤكد أن العرب نمو بفن الحكايات إلى حد الاكتمال، في ضوء الموروث القصصي الذي ترجم إلى اللغات الأوربية، قياساً إلى التراث القصصي الهندي والفارسي.[١٢٦]

فقد أمدّ عصر الحضارة العربية الإسلامية، الإنسانية بكنز رائع من الحكايات، والتي تعُد من بين تراث الابداعات الفكرية والفنية والأدبية، الذي تتناقله أجيال الأمم.

وقد وضح أنّه بالتآزر بين الهوية الثقافية للأمة، وثقافة الطفل وأدبه، وتوثيق الإتصال بينهما، يمكن أن يتحقق للمجتمع ما يرجوه من خير.[١٢٧] وإنه علينا باعتبارنا مسلمين إعادة النظر والبحث لتهيئة هذا الطفل بفكرة وأدبه وثقافته؛ ليعيش عالم اليوم بآماده الفسيحة ومعرفته الزاخرة، دون أن يبتعد عن أخلاقه الإسلامية، وأعراقه العربية وطوابعه الإنسانية مثبتاً ذاته، محققاً قوله تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله))[١٢٨] وأدب الأطفال

---

126 النجار، محمد رجب، التراث القصصي في الأدب العربي، جـ١، ص٣، الكويت ، ١٩٩٥م.
127 أبو الرضا، سعد، "مهرجان الجنادرية والقيمة الحضارية الإنسانية"، الفيصل، ص١٠، عدد٢٠٨، ١٩٩٤م.
128 آل عمران، آية ١١٠.

وثقافتهم يجب أن يسهما في تنظيمهم، وحسن تكيفهم، وتعويدهم الإقبال علـى العلـم والمعرفة، وتنمية ذلك فيهم، وغرس الحرص على الواجب والمسؤلية والتعاون، وكل ما يعينهم على إثبات أصالتهم، وفاعليتهم في الحياة، وتنمية دورهم الحضاري، ولـن يتم ذلك فيما يتم إلاّ إذا أسهم أدب الطفل في تقديم النمـاذج الملائمـة لهـم، وفـق شروطهم وبإمكاناتهم وخصائص مراحل عمرهم.[١٢٩]

فلا حياة لأمّة، ولا مستقبل لها إن لم تحترم أبناءها، ولم تعمل باستمرار على نقل تراث آبائهم الحضاري والروحي لهم، وتمكنوا من إغناء هذا التراث وتعميقه.[١٣٠]

ويرى بريغش : أن : ((أساس ثقافة الأطفال هي نظرة إلى العصر، ونظـرة إلى تراثنا، ونظرة إلى الطفل نفسه، وكل إنتاج في هذا المجال لا يحترم قـيم هـذا العصر وتوقه إلى الحريَة، كما أن كل أدب لا يُستقى من تراثنا، ومما هو حي فينا من هذا التراث، كذلك كل إنتاج لا يعكس في روحه أحاسيس الطفل، ولا يحترم قدراتـه على الفهم والتمييز والخيال، ليس هو بالإنتاج الذي يستحق أن ينتمـي إلـى ثقافـة الأطفال التي تطلبها بلادنا)).[١٣١]

والكاتب المبدع هو الذي يخرج من التراث بعمل يعتمد عليه من جانبه، وفيه إبداع من جانب آخر، مما يربط الطفل بتاريخ أمته وتراثها، فالتعامل مع التراث فن في حد ذاته.[١٣٢]

وقديماً كان هذا التراث نفسه، فيه الكثير مما يصلح للصـغار، وقـد عـاش الأطفال عليه بدون تبسيط أو اقتباس، وخاصة في المرحلة التي تلت ظهور الإسلام، وكانت مرحلة التجميع والتصنيف والتأليف والتدوين، والتي حفلت بمئات الكتب التي امتلأت بالقصص والحكايات المتوارثة، من أشهرها البخلاء والحيوان للجاحظ، ثـم كتب مثل العقد الفريد، ونثر الدرر ، ونهاية الأرب، ومختصر العجائب، والغرائـب المنسوب للمسعودي، والأغاني، وكليلة ودمنه، وحي بن يقظان، وألف ليلـة وليلـة، ومقامات الحريري ومقامات بديع الزمان الهمداني، إنّها مجلّدات تحتوي على مئـات الطرائف والنوادر التي يطرب لها الكبار والصغار، وكانت هناك أيضاً كتب في كل

---

129 أبو الرضا، سعد، " التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي "، مجلة الطفولة العربية، العدد العاشر، مارس، ٢٠٠٢م.

130 إسلامية المعرفة (١)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٤٣، ١٩٨١م.

131 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص١١١.

132 عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٥٤-٥٦.

فن ومن كل لون كأخبار الأذكياء ثم أخبار الحمقى، وحياة الحيوان الكبرى للدميري المصري وغيرها.

فعلى الرغم من أن هذه الكتب التراثية لم تسطر أساساً للأطفال، فإنّها كانت مصدراً غنياً بشتى ألوان القصص والأشعار، يستلهمها المربون والجدات والأمهات والآباء، ويخرجون منها ما يناسب عمر الطفل، وأخلاقه، وعقيدته، ويقدمونها إليه في ثوب قشيب جذّاب، فمثالاً على ذلك، قصص ألف ليلة وليلة فيها الكثير من الخرافات والخزعبلات والتصوير الفاضح، مما دعى عددا كبيرا من الكتاب المحدثين إلى تنقيتها من الشوائب، وتقديم بعض قصصها بطريقة مبسّطة وممتعة ومفيدة، فما من طفل إلاّ ويعرف قصص السندباد ورحلاته، وعلاء الدين، وعلي بابا والأربعين لصاً، كذلك كتاب كليله ودمنه يحتوي على عدد كبير من قصص الطير والحيوان، لكنّها تنحو المنحنى الفلسفي، والإغراق الرمزي، مما يدق على فهم الطفل، ولهذا حاول الذين يكتبون للأطفال في العالم الإسلامي، وفي أوربا تحويلها إلى قصص هادف مبسّط ذو منحنى أخلاقي.[١٣٣]

وما زال الكثيرون يعودون إلى هذه الكتب ينقلون عنّها، ويقتبسون منها، بل وقد يقومون بتبسيط كتاب كامل منّها، من أجل أن يقبل الأطفال على قراءته.[١٣٤]

وأيضاً كان هناك قديماً قصّاصون للقبائل ورواة وشعراء رسميون، وكان الناس يحترمونهم ويستمعون إليهم في شغف، والأطفال – لا شك – يختلطون بجمهور السامعين، ويلتقطون ما يستطيعون فهمه من حكايات ومغامرات وأساطير، خاصة ما يتعلق بالقبيلة وأيّامها وانتصاراتها، وقد توفر عدد من المؤلفين المسلمين وكُتّاب التراث على تسجيل هذه القصص من مختلف الأزمنة والأمكنة.[١٣٥] والتي منّها السير والملاحم الشعبية، كسيرة عنترة، وسيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة حمزة العرب، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة بني هلال، وسيرة الظاهر بيبرس،[١٣٦] فالتراث الشعبي يعدّ مصدرا عالميا لقصص الأطفال.[١٣٧]

---

133 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٢٨، ط٤.

134 يوسف، عبدالتواب، " خريطة أدب الأطفال عالمياً وموقع الوطن العربي عليها "، ثقافة الطفل واقع وآفاق، ص٤٧، دمشق، ١٩٩٥م.

135 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٢٢.

136 النجّار، محمد رجب، التراث القصص في الأدب العربي، ص٢٦١،جـ١.

137 يوسف، عبدالتواب، " نظرة مستقبلية في أدب الطفل "، ندوة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ص٨٣، الرياض، ١٩٩٣.

ولقد لجأ رواد أدب الأطفال المخلصين، إلى الاقتباس من التراث الإسـلامي والعربي، منهم الشعراء،[١٣٨] كالهراوي ومنهم الكتّـاب، يقـول محمدفريدوجـدي: ((من أدباء مصر الجادين : كامل كيلاني، وقد جمع إلى حسن الاختيار فـي إحيـاء الأدب العربي، التوفيق وجزالة الفائدة، فقد عمد إلى الكتاب المشهور بألف ليلة وليلة، واستخرج منه قصة السندباد البحري، فصاغها في قالب جديد، من البيان هو السهل الممتنع، وجعله أول سلسلة لأقاصيص من هذا المعين الثراء، ولم يكفه سرد الحكاية على ما فيها من ملهيات أدبية، بل حلاّها بالصور الكثيرة المؤثرة على الخيال، وإذا نحن من قصة السندباد البحري المهملة في زاوية كتاب لا يأبه يه أحد، إزاء قطعة من الأدب العصري الممزوج بالخيال العربي)).[١٣٩]

وغير ذلك من القصص التي استقاها من ألف ليلة متمثلة في سلسلة، قصـص من ألف ليلة وهي :

بابا عبدالله والدراويش، وأبو صير وأبو قير، وعلي بابـا، وعبـدالله البـري وعبدالله البحري، والملك العجيب، وخسروشاه، وعلاء الدين وتاجر بغداد، ومدينـة النحاس.[١٤٠]

وقد كانت هناك محاولات أخرى للإبداع على منوال التراث، من ذلك السندباد لسعيد العريان، وكريم الدين البغدادي، وعمرون شاه لفريد أبو حديد، وكانت هنـاك جهود في المغرب لعبدالسلام البقالي، وفي سورية لزكريا تـامر، وفـي السـودان لإبراهيم إسحاق.[١٤١]

إنّ من يتمعن في كثير من النصوص في هذه الكتب، يتذوق جمـال القطـع الأدبية التي تزخر بها، فضلاً عما فيها من أحداث وأخبار ومشاهد، وصـور مـن تاريخنا، تسهم في تربية أطفالنا وتنشئة أجيالنا،[١٤٢] ويرى بريغش أنّه رغم الجهـود المبذولة أزاء تراثنا وأدبنا، فإنّها ليست كافية، وأن هناك تجاهلا وتقصيرا تجاه هـذا

---

[138] الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٢٩٥.

[139] يوسف، عبدالتواب، " كامل كيلاني وألف ليلة وليلة "، فصول، ص١٨٧، المجلد الثالث عشر، عدد ٢، ١٩٩٤م.

[140] يوسف، عبدالتواب، " كامل كيلاني وألف ليلة وليلة "، فصول، ص١٨٦، المجلد الثالث عشر، عدد٢، ١٩٩٤م.

[141] يوسف، عبدالتواب، " نظرة مستقبلية في أدب الطفل "، ندوة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ص٨٣، الرياض، ١٩٩٣م.

[142] بريغش، محمد حسن، " أدب الأطفال "، ص٢٠٣.

التراث، جعلنا نكسل عن النظر في هذه الكنوز الثمينة، والآثار الكثيرة التي ضمت ما يصلح لأدب الأطفال.[١٤٣]

رغم هذا التقصير، فقد كتبت الروائع للأطفال بأسلوب يناسب مداركهم العقلية وأحاسيسهم العاطفية وخبراتهم اللغوية، وما زال الأطفال يتمتعون بقصص السندباد وعلي بابا والأسد، والثور، والأرنب والفيل، ومملكتي الأقزام والعمالقة بعد أن بسطت لهم.

أما عن السبب الذي يجعل من هذه الروائع المبسّطة للأطفال أدباً رفيعاً، فهو أنّها في ذاتها قصص عظيمة، لأنّها تحوي المغامرات والحيرة والغموض والإشارة، والشخصيات التي تدير أحداثها شخصيات عظيمة، ولا يوجد بها العقد الغامضة، بل أكثرها يحتوي على عقد بسيطة لا تجهد الأطفال في محاولة فهمها، وكثير منها قصص خيالي.

وإذا ما قرأ الطفل شيئا من الروائع القديمة، فإنّه يهيء له استمتاعاً واسعاً بصورة الماضي والحاضر، ونأخذ بيده ليفهم الحياة المعاصرة المبنية على الماضي فهماً عميقاً.[١٤٤]

تجربة عبدالتواب يوسف في التعامل مع التراث، وتوظيفه في كتب الأطفال :

يقول عبدالتواب : ((إن التراث كنز، لنا أن نأخذ عنه، شريطة أن يكون ذلك بقدر، وبحذر، وبدراسه متأنية حتى لا نفسده على أطفالنا))، ((وليس غريباً ولا جديداً أن يغوص البعض في كتب التراث، بحثاً عن اللآلي، فإن عثروا عليها أزالوا من حولها القشور، ونقوها من الشوائب، وجلوها لكي تلمع وتتألق، وهولاء لهم فضل أن حبسوا أنفسهم وأنفاسهم، قراءة لهذه الأعمال القديمة التي تراكم من فوقها غبار الزمن، ونحمد لهم أن نفضوه عنها، وقدموه لنا، والاختيار هنا فن، وعليه يتوقف رضا القاريء الصغير عن هذه الاختيارات، وعن إعادة الصياغة إذا قام بها الكاتب، والبعض لا يكتفي بهذا، بل يضيف شيئاً من عنده، وكل ما نرجوه في هذه الحالة أن

143 بريغش، محمد حسن، " أدب الأطفال "، ص ٦١.
144 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص ٢٨٢.

تكون الإضافة حقيقية، فلا تكون مجرد شرح وتفسير، أو محاولة لاستخراج مغزى أو نصيحة، فيها من التعسف الكثير.. وإذا لم يكن الكاتب قادراً على استيعاب هذا التراث، وليس لديه فعلاً ما يضيفه، فإننا نرجوه أن يبتعد عنه)).[١٤٥]

هذان النصّان يوضحان رأي عبدالتواب يوسف في التراث، وتوظيفه في أدب الأطفال، أما عن تجربته في التعامل معه، فيقول : ((من الواضح أنيّ قد استفدت من كل ألوان التراث في كتاباتي للأطفال، ولعلّ أوضح مثال، كتاب حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة، وقد تناولت فيه السيرة النبوية من التراث الديني، وسقتها على ألسنة : فيل أبرهة، والبراق، وحمار حليمة، والناقة التي أقلت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، مستثمراً : كليله ودمنه من جانب، والأسد والغواص من جانب آخر، لكي أيسر قراءة السيرة لأطفالنا)) وبحس الكاتب الذي يشعر بالأمانة التي تطوق عنقه تجاه ما يكتبه للأطفال، يقول : ((أدركت بحسي أنني وريث لهذه الكنوز، وأنني أصبح سفيهاً إذا أنا لم استفد من هذا التراث الذي خلّفه الأجداد)).

وقد استفاد عبدالتواب من التراث الشعبي أيضاً، واقترب منه كثيراً، وكانت النتيجة عدّة أعمال للأطفال، من بينها : خيال الفزّاعة، قصة تلك الدمية الشعبية الرائعة التي تقف حارسة للحقول، ثم الفلوس والنفوس، والعقل زينة، وتضم عدداً من القصص الشعبية، أعاد صياغتها من جديد، وأيضاً قصة الزرزور، من الإمارات العربية المتحدة،وله أكثر من محاولة استفاد فيها من قصة الصياد والعفريت، ومنها : عفريت الزجاجة القزم، وهي قصة كوميدية ضاحكة، كما أنّه صاغها من قبل في اطار سياسي قبل الأخيرة بثلاثين عاماً.[١٤٦]

ويؤكد عبدالتواب يوسف على : ((أن التعامل مع التراث يحتاج إلى حس فني ودراسة علمية، ولا يمكن أن يترك نهباً لمن لم يقتربوا منه قرباً صحيحاً، ومن لم يتعاملوا معه في إجلال واحترام، تعاملاً يصل بهم إلى برّ الأمان))، ولا بدّ من محاولات التجريب المستمرة في صياغة التراث، وإعادة النظر فيما بين أيدينا منه حين نصوغه للأطفال، فلا بد من تفجيره واتهامه، بل ومواجهته، فذلك هو السبيل الحقيقي للوصول إلى ثمرة.[١٤٧]

---

145 يوسف، عبدالتواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٤٧،١٣٨.

146 يوسف، عبدالتواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، الفيصل، ص١٠٩، عدد ١٨٧.

147 يوسف، عبدالتواب، الطفل العربي والتراث الشعبي، ص١٤١،١١١.

والقضية المهمة في هذا الموضوع، هو أنّه لدينا أدباً عربياً عريقاً، لكن ليس كل هذا الأدب إسلامياً، إذ ماذا نقول مثلاً عن الخمريات، وما الرأي في ألف ليله وليله، وفي المقابل فهناك أعمال تراثية من الأدب الإسلامي، وليس بها عبارة واحدة عن الإسلام، مثل حيّ بن يقظان،[148] فيرى عبدالتواب هذا العمل من الأدب الإسلامي بكل المقاييس، وقد نسج الغرب على منوالها كثيراً، كـ : روبنسون كروزو لدانيل ديفو، وعائلة روبنسون السويسرية ليوهان فاس، والقلب الشجاع لأرمسترنج، وجزيرة الدلفين الزرقاء لأوسكوت اوديل، وكل منهم فاز على عمله بجائزة، وهي قصة الإنسان الذي يعيش وحده في الجزيرة، وكان الهدف منها هو الوصول إلى معرفة الله من خلال العقل الإنساني، وقد صاغها كامل كيلاني للأطفال مبسّطاً إياها لا أكثر، كما كتبها صلاح عبدالصبور على ضوء نظرية التطوّر، كما تناولتها آمال جمعه بدراسة فنية، مقارنة بين ابن طفيل ودانيل ديفو، وحي بن يقظان وروبنسو كروزوا لكشف تفوّقْ نصّنا العربي الإسلامي.[149]

فالتمكن من التراث الإسلامي، يكون بعد غربلته، واستخلاص الصحيح المفيد من عيونه، وما يجنونه من الفكر الذي صدر عن روح الإسلام، وغاياته، لا عن الخرافات أو الانحرافات، أو السقطات الوافدة، أو الاعراض والأمراض التي ألمت بروح الأمّة، وفكرها على مرّ العصور. ويتحقق التمكن باستخلاص المختارات وتحليلها لنتمكن من الوصول إلى فهم آداء أجدادنا ونفوسهم وكيف أنّهم حوّلوا تلك الأراء إلى مناهج قويمة قادرة، تنعكس في الافعال والسلوك، مكنتهم من حل ما واجههم من قضايا وصعوبات في الحياة، وفتحوا بها للحضارة والإعمار البشري على عصورهم آفاقاً جديدة، ومجالات واسعة.[150]

وأحب أن أختم هذا المبحث بقول لـ د: الهاشمي :

((نستطيع إذا شئنا أن نزوّد أدبنا من ينابيع أصالتنا ووجودنا، بوصفنا أمة ذات تراث عريق، وذات أهداف رفيعة، وأنّه ليس ما يلزمنا برأي دون آخر مما يطرح في العالم من آراء في الفن والأدب إلاّ ما يرقى بأمتنا، ويوسع من عوالمنا

---

[148] انظر يوسف، عبدالتواب، " حي بن يقظان والأدب الإسلامي "، الأدب الإسلامي، ص٧، عدد ١٥، ربيع الأول، ١٤١٨هـ.
[149] يوسف، عبد التواب، " نحو أدب إسلامي للأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٣.
[150] إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص١٧٢.

ويصوغ وجداننا الإنساني، بما يحقق شخصيتنا الحضارية، ففي ابتعاثها حل لأزمة التعبير في أدبنا بإحلال الأصالة والتميز مكان التغريب)).[151]

وهذا ما يعمل لأجله عبدالتواب يوسف في قصصه للأطفال.

[151] الهاشمي، محمد عادل، في الأدب الإسلامي، ص٥٩، بيروت، ١٩٨٧م.

الزرزور[152]

وهي من مجموعة قصص : من كل بلد عربي قصة، وتضم عشر قصص، وهذه القصة من الإمارات العربية المتحدة، وهي من الحكايات التي استقاها عبدالتواب من الحكايات الشعبية العربية التراثية، وقد وجدها أيضاً في كتاب بالإنجليزية، جمع الأدب الشعبي العربي في المغرب قبل أكثر من مائة عام، كما أنّه وجدها أيضا في كتاب قصص الموصل الشعبية في العراق، وقد تناولها مع بعض التغيير الذي يرى أنه لصالح العمل.

والقصة تبدأ بـ ((الوقت ربيع ..

((الزرزور)) عصفور، يطير هنا وهناك بين الأشجار، وقد اكتست بالخضرة والزهرة والثمرة .. وكان الزرزور سعيداً بالجو، يُغنيّ، ويغرد، ويزرزر، والطيور والحيوانات التي تعيش في هذه الحديقة تسمعه فرحة، طَربة بصوته العذب .. وكانوا يحبونه كثيراً لحكايةٍ قديمة رويت عنه .. إنّه عندما غضب الله سبحانه وتعالى على آدم، بعد أن أكل من الشجرة المحرمة، أخرجه من الجنة وهبط به إلى الأرض. وحزن الزرزور لذلك حُزناً شديداً، فقد كان صديقاً لآدم وحواء، أسِف لأنهما خالفا ما أمر الله به، وما كان ينتظرُ لهما هذا المصير .. وبلغ به الأسى أنه امتنع عن تناول الطعام والشراب .. عافت نفسه كل شيء .. لم يقدر على أن يأكل على الإطلاق .. ورضيت عنه السماء، لمشاركته أخاه الإنسان في محنته، وتابَت عليه، وباركته ومنحته صوتاً جميلاً عذباً .. ونزل إلى الأرض، ليعيش .. يُخطيء ويصيب .. ويتعلم من الخطأ ألا يكررّه ..)).

كانت هذه مقدمة القصة وفي البداية أشرت إلى أن عبدالتواب قد وجد هذه القصة في كتاب بالإنجليزية، ويظهر لنا من النص السابق التأثر بطابع غير متعارف عليه في الكتابات الإسلامية، ويُستخدم في ثقافات أخرى متأثرة بديانا غير الإسلام مثل المسيحية، يظهر لنا ذلك في قوله : ((ورضيت عنه السماء، لمشاركته أخاه الإنسان في محنته وتابت عليه وباركته ومنحته صوتاً جميلاً عذباً)) ويعُد لدينا غير

---

[152] يوسف، عبد التواب، الزرزور، القاهرة ، ١٩٩١م.

مقبول من الناحية الإسلامية. ولو كان التغيير في هذه النقطة لكان أفضل. لكي تكون قصة تناسب أطفال العرب المسلمين. كأن يُقال ((رضي الله عنه، وباركه ومنحه)).

ثم يأتي المقطع الثاني : ((وكان الزرزور في بداية حياته كثير العطاء .. كلّ ما عنده يعطيه .. يعطيه في سخاء وكرم، لا ينتظر عليه ثواباً، ولا يريد له مقابلاً .. كان يسعد حين يجد عنده ما يعطيه .. ولكن مع مرور الأيام، اكتشف أنه كثيراً ما يعطي أشياء يحتاج إليها فيما بعد، ولم يكف عن العطاء، غير أنّه بدأ يحاول أن يسترد ما أعطى، وإذا به تتمكن منه عادة سخيفة، ويصبح غير قادر على أن يتخلص منها، بل تلازمه مثل ظلِّه ..)).

وتبدأ قصة الزرزور بطبعه الذي اختلف من العطاء السخي، إلى محاولته لاسترداد ما أعطى ومجملها ((إن شوكة دخلت في رجل الزرزور وذهب للمرأة التي تخبز، فأخرجت الشوكة من قدمه، وأعطتها إياه ولكنه ردّها إليها، فألقتها في الفرن لتحرق)) وإذا بالزرزور يعود ليطلب الشوكة .. وتترك الخبز في حراسته لتأتي له بواحدة بدلها، فيحمل الخبز ويطير به .. ويجد راعياً يأكل التمر ويشرب اللبن، ويعرض عليه الخبز ليشاركه في الطعام، ويقبل الراعي على الخبز فيلتهمه، فيصيح الزرور ويطالبه به، فيترك الغنم في حراسته ويذهب ليأتي له بخبز بديل، وإذا بالعصفور يربط القطيع ويطير به، ويجد حفل زواج فينزل ليشهده ولا يجد لديهم لحماً، ويتبرع بالماشية فيذبحونها فيطالبهم بها الزرزور، ولذلك يمضي العريس ليأتي ببديل لها، وتبكي العروس لذهاب الرجل الذي كان يعطيها اسمه، وهنا يعرض عليها الزرزور الزواج وأن يعطيها اسمه، وهذا التغيير كما يقول عبدالتواب أنه من عنده إذ جعل المرأة التي كانت تخبز هي الفتاة العروس، التي تعيد الشوكة إلى قدم الزرزور وهي تقول له :

– أتريد أن تعطيني اسمك ثم تطلب استرداده، هذه هي الشوكة التي طلبت أن تستعيدها !

وتوخزه بالشوكة ومن يومها نلمح الزرزور يعرج في مشيته !

ويعلقّ عبدالتواب على تغييره وتبديله في القصة : لقد تجاسرت على تغيير وتبديل لأجعل من القصة حكاية شعبية أضيفها إلى فيض الحكايات الشعبية))[١٥٣].

---

[153] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٤٢.

ومن الواضح في القصة تأثرها بثقافة غير إسلامية مثال ذلك: جمله رضيت عنه السماء، وعبارة أخرى : قول العروس للزرزور ((كيف لا أبكي وقد فقدت عريسي الذي كنت سأحمل اسمه، فقال الزرزور : خذي اسمي، قالت : لا يا زرزور، لن آخذ منك شيئاً .. كفى ما أخذته في الماضي))[154] فليس من المتعارف عليه عند المسلمين أن تأخذ المرأة اسم الرجل إذا اقترنت به بل هي مشرّفة ومعروفة باسم عائلتها، شرفها بذلك الإسلام.وأيضاجملة يخطيء ويصيب هي من الثوابت الكهنوتية المسيحية. وهذه القصة الوحيده من المجموعة، المتأثرة بثقافة مختلفة، وقد يكون السبب لذلك_ *كما أوضح المؤلف*،أنه وجدها في كتاب إنجليزي ضم الأدب الشعبي العربي في المغرب.

والقصة في مجملها تحمل في طياتها، قيماً نبيلة تحبب إليها، وهي تتمثل في شخصية الزرور قبل أن يطرأ عليه التغير إلى السيء من الأخلاق. فقد كان كريماً سخياً معطاء صديقاً ودوداً للطيور والحيوانات. فقد صوّر للأطفال شخصية مقبولة محبوبة، ثم استطاع أن يصوّر التغيير السيء الذي طرأ على الزرور وأن ينفّرهم منه بعدما تغير للأسوأ،وقد وضح لهم *تأكيد*/لهذا التنفير_العاقبةأو النتيجةللأفعال السيئة لذلك الزرزور،وهي الوخز ويعني الألم وهوإحساس يخشاه الأطفال *والكبار*_وبالتالي العرج في مشيته جراء ذلك الوخز .

154 مقولة خذي اسمي ،قدتكون مستعارة من التراث الفرعوني ،فأخذ الاسم من الإنسان تعني اكتساب القوة منه ،كقصة(إيزيس وأدزوريس ورع) .

شجرة الريحان[155]

وهي قصة من مجموعة، من كل بلد عربي قصة، وقصتنا من بلد سوريا، وتبدأ القصة مباشرة : ((رفرفت في سماء دمشق، حمامات زاجلة بيضاء، قادمة من الغرب، فاستقبلها الناس في استبشار وفرح، وفي لهفة وشوق، وانتظروا هبوطها بفروع صبر، حطت إحداها على نافذة في قصر السلطان الأموي، وعندما سارع الحراس إليها طارت وحلقت قرب المكان من جديد، وظلّت تحوم حتى قام إليها السلطان بنفسه، عند ذلك هبطت بين يديه، كأنّها تعرفه، وتدرك أن الرسالة التي تحملها موجهة إليه .. وسمحت له بأن يحملها عنها، وفضّ السلطان الرسالة، وراح يقرأ بسرعة سطورها، بينما وقفت الحمامة شامخة الرأس، تلتقط أنفاسها بعد الرحلة الطويلة التي قطعتها .. لقد غادرت دمشق منذ شهور، مرافقة للقوات العربية الباسلة التي مضت تحمل رسالة النور والمعرفة والإيمان إلى شمال إفريقيا، ثم عبرت معها البحر الأبيض إلى أوربا، وهناك شاهدت معارك طارق بن زياد، وهاهي تعود، كساعي بريد أمين، يحمل إلى دمشق أخبار هذه المعارك في الرسالة التي قرأها السلطان وأعلن ما فيها للناس. إنه النصر، والفتح المبين !)).

ثم تسرد القصة كيف استقبل الناس هذه الأخبار الساره وما أعدوا لهذا اليوم.

ثم يأتي الحدث المهم في القصة حيث تحكي الحكاية أنه : ((وفي صباح اليوم التالي، جلس السلطان في بهو القصر الكبير، وتفاصيل النصر الكبير ترد في الرسائل التي حملتها بقية الحمامات البيضاء، وكان وجه السلطان مشرقاً، فرحاً. وحانت منه إلتفاته إلى واحد من أعمدة البهو الفسيح، وأشار بأصبعه إلى أعلاه، فتطلع الجميع إلى حيث يشير .. كانت هناك حمامة، بنَتْ عشها فوق إحدى الزخارف الرخامية الجميلة .. ابتسم الضيوف المهنئون .. كان بعضهم من بغداد والبعض من القاهرة، وآخرون من مكة وصنعاء وأطرق الحُراس، وغضبوا على هؤلاء الذين ينظّفون البهو الكبير، وأسرعوا لكي يزيلوا العش من مكانه، ولكن السلطان رفع يده، يوقفهم وقال لهم في هدوء وبساطة :

---

[155] يوسف، عبدالتواب، شجرة الريحان، دار مصر للطباعة، مكان الطبع : بدون، تاريخه : بدون.

- إذا كان هذا الحمام قد وجد لدينا الحماية والأمان، فهل نرفض أن نعطيه إياهما ؟ كيف نضايقه وننقل عُشّه، وقد استطاب هذا المكان بيتاً ومأوى ؟ فليبقَ هذا العش في مكانه، وكفى أن الحمام الزاجل حمل إلينا من الميدان أخبار انتصاراتنا.

ترك الحرّاس عش الحمام حيث هو، وكانت الحمامة وزوجها يرفرفان أحياناً في أرجاء البهو فيراهما الضيوف، وعندما يبتسمون، كان السلطان يروي حكاية العُش، وكيف أنّه لا بد وأن يحمي من يستجير به، لأن هذا من أخلاق العرب الأصيله .. بل كثيراً ما كان السلطان يقدِّم إلى الحمامتين الطعام والشراب ويرقبهما في حنان وحب)). سينتشي الطفل لسماع هذا المقطع من القصة، وبالصورة الجغرافية التي رسمها المؤلف للطفل، وبالوحدة العربية الإسلامية التي تضم جميع أرجاء البلاد الإسلامية، ومع كل ذلك كان الحاكم يحنو ويشعر بالمسؤولية تجاه الطير أيضاً. الذي يعترف بجميله عليه. هذه الصورة العظيمة المشرفة التي تجمع النصر ونشر الإسلام وبين الرقة والرفق بالحيوان، تؤثر حتماً على تصوّر الطفل لتاريخه الذي يحاول الكثيرون تشويهه.

وتمضي أحداث القصة بوجود الحمامتين في القصر، وكيف أنه ذات يوم أحسَّ السلطان بحركة الحمامتين الغريبة، فوجد حيّة كبيرة تزحف تجاه العش وبه صغار الحمام، وقبل أن يفيق الحراس، أمسك السلطان بالقوس واطلق سهماً تجاه الحيه فرشقها به وقال : ((لا بد أن نحمي من يستنجد بنا، تلك هي أخلاقنا نحن العرب)).

ورحل الحمام من قصر السلطان، بعد أن كبر الصغار وأحس السلطان بالحزن لذهابهم، وفي ذات يوم ((رأى السلطان زوجاً من الحمام يرفرف عند نافذته ينقر زجاجها، كأنما هو يطرق باباً يريدهم أن يفتحوه، قام السلطان إلى النافذة، وفتحها، فهبطت الحمامتان عند حافتها، وتركتا للسلطان حفنة قليلة من حبوب، التقطها وراح يفحصها في اهتمام دون أن يعرف عن أمرها شيئاً، ولكنه حملها إلى الداخل، واستدعى بستاني القصر، فربما كان أقدر الناس على معرفة أمر هذه الحبوب، لكثرة ما زرع في الحديقة الغناء الواسعة، فحص البستاني هذه الحبوب، وأعلن أنه لم يرها من قبل، وأنه لا يعرف عنها شيئاً، بل إن أهل دمشق جميعاً لم يسبق لهم أن شاهدوها أو زرعوها)).

وتوالت أحداث زراعة هذه البذور ورعايتها وكانت الحمامتان ترفرفان عليها، وكبرت الأشجار وكانت ترسل رائحة عقبه، بل يمتد عطرها الفوّاح إلى مسافات بعيده لقد كانت شجرة الريحان..

((وكان أهل دمشق عندما تهب نسمات المساء، وتحرك نبات الريحان وتحمل رائحته، يذكرون بالخير والتقدير الحمامتين الطيبتين، اللتين عاشتا في بهو السلطان، واللتين أهدتا إليه بذور أشجار الريحان، ويسألون أنفسهم : من أين أتى الحمام بهـذه البذور ؟ لا أحد يدري، البعض يقول إنها من روائح الجنة، والبعض يرى أنّها رائحة الخير الذي صنعه السلطان حين استضاف الحمامتين، وحماهما من الثعبان لكن أحداً لا يستطيع أن يعرف تماماً مصدر هذه البذور، كل ما هناك أنّهم حين يشمون هـذه الرائحة، يذكرون الحمام الذي اعترف بالجميل، يذكرون إخوة لهذا الحمـام كـانوا ينقلون الأخبار والرسائل في أمانة وفدائية من الصين والهند وإيران في الشرق، ومن الأندلس والمغرب وتونس ومصر في الغرب، إلى دمشق الأموية الفيحاء المعطّـرة برائحة أشجار الريحان .. والأمانة .. والإيمان)) وكانت هذه نهاية القصّـة والتـي ستغرس في نفوس الأطفال حب عمل الخير، لأنه خير، حتى ولو كان من أجل حيوان أو طير، وفي القصة رمزاً إلى إجارة الجائر وحمايته بدون مقابل وهي من عـادات العرب والتي أقرّ بها الإسلام، وأيضاً إلى أن من عمل صالحاً فله جزاء الحسنى إما في الدنيا أو في الآخرة.

نلحظ في هذه القصة شجرة الريحان، كيف أننا نشعر أنها من تراثنا بالفعـل، من الصور الموجودة والقيم التي تتخللها أو الفترة التاريخية، فـي حـين أن قصـة الزرزور قبلها وإن أضاف إليها عبدالتواب وغيرّ فيها من باب النفع، إلأ أننا نشـعر بأنها أجنبية عنا قليلا، وقصة شجرة الريحان هي لطفل سنه قد يكون أكبر من الـذي ستناسبه قصة الزرزور وهي مليئة بمفردات يستفيد الطفل منها، وبوجودها في القصة يعرف كيف يستخدمها، والقصة هنا تذكرنا بقصص التراث الأدبي العربـي، ولكـن بُسّطت ليقرأها الأطفال ويستوعبونها.

والأولى أقرب إلى قصص التراث الشعبي الذي يتناقله الناس فيما بينهم وبين أبنائهم ليعلموهم القيم والأخلاق الحميدة بطريقة غير مباشرة، فالجامع بين قصـص التراث – على الأرجح –سواء أكانت شعبية أم من معالم الكتب العربية التراثيـة أم

سير شعبية هي أنّها قصص تحمس على انتهاج طرق الخيــر والتحلـــي بـــالأخلاق الفاضلة، بالإضافة إلى أنّها تشبع الأطفال بعنصر الخيال.

يقول في ذلك عبدالتواب يوسف : ((السير والحكايات الشعبية وسائل للتعامل مع العالم كما هو .. مواجهة للحقيقة وتكيفاً مع الواقع، لا الهروب منها ومنه، بل إنّها الخيال البنّاء الذي يشترك فيه الكبير والصغير، ويمارسان تجربته البالغة الخصوصية إذا كانا يريدان أن يعيشا على الأرض، إن ميزة السير والحكايات الشعبية أنّها تدخل إلى عالم النفس، إنّها تتعامل مع الداخل، وليس مع العالم الخارجي، وتكشف الأفكار والخواطر، والخيالات .. وليس ذلك بالنسبة للأفراد وحدهم، بل بالنسبة للجماعـــات كذلك .. وهي تعين على تنظيم نشاطاتها وترجمة قيمها، وتسجيل تاريخها وعاداتها، والطريقة التي تستخدم في رواية هذه السير والحكايات لها تأثير كبير على نجاحهـــا وتحقيق أهدافها والكشف عن معانيها .. ومع الأطفال الصغار لها أهمية أكبر، إذ هي تعينهم على مواجهة مشاكل نموهم العاطفي، بـــل وحـــل هـــذه المشـــاكل تمهيـــداً لاستقلاليتهم، واعتمادهم على أنفسهم .. والأطفال يحتاجون إلى الأســـرة والمجتمـــع للأمان بالإطمئنان، والحكايات الشعبية والسير تيسر منحهم الإحساس بهذا الأمـــان، لأنها تبعدهم عن المشاكل بمسافات طويلة، ولا تجعلهم غارقين فيها، وتنتهـــي تلـــك المشاكل دوماً إلى خاتمة سعيدة، وذلك يمنحهم الأمل في المستقبل والحياة)).[١٥٦]

[156] يويف، عبدالتواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص٤٠.

سلطان العلم[157]

وهي أيضاً من مجموعة، من كل بلد عربي قصة، وهي من بلد العراق، وحكايتها، تبدأ مباشرةً بوصف لمدينة بغداد في عهد هارون الرشيد : ((بغداد الجميلة، في عهد هارون الرشيد، كانت حديقة كبيرة، تنام على ضفاف دجلة النهر الذي تُغنّي مياهه وهي تمضي لتلتقي بمياه الفرات في وحدة، وينطلقان معاً تجاه خليج العرب .. والحديقة الكبيرة التي اسماها بغداد، هي أولى مدن الدنيا في ذلك الحين، وهي عاصمة بلاد المسلمين، وتجتمع فيها الدنيا مع الدين، حياة الدنيا هنا متعة وبهجة .. دورٌ أنيقة، وحدائق غناء، وحوانيت تمتليء بحرير دمشق، وسجاد طهران، وأسواق عامرة بكل نفيس من كل بلاد الله، والدين له مساجده، من أعلى المآذن ينادي للصلاة خمس مرات، وفي كل مرة تمتليء الجوامع بالمؤمنين الراكعين الساجدين الذاكرين الله، وفضله على الناس و ......)).

فالنص السابق كأنه يذكرنا بكتب الرّحالة، في وصف المدن وناسها وكيف كانت حالها.بل هو لوحة فنيةمعبرة ،تطبع جمالها في ذهن الطفل المتلقي ،وبطريقة سلسة بسيطة،حتى يستوعبهاويعتاد على تذوق معاني الجمال فيما يقرأ.

ثم تأتي الحكاية وبطلها هارون الرشيد، ويقدم المؤلف للحكاية بمقدمة عنه، فيقول : ((ومن وراء كل هذا هارون الرشيد، أشهر خلفاء بني العبّاس، عَرفه العالم في حياته، ومن بعدِها، فقد عاش حياته بالطول والعرض، صلّى فأحسن الصلاة، ورعى الفقراء في سخاء وكرم، واهتم بالعلم كل الاهتمام. ثم .. ضحك ما شاء له الضحك، وأكل وشرب وتمتع بقدر ما استطاع .. وأصبح في التاريخ حكاية. بل إن آلاف الحكايات تنسب إليه بسبب شهرته التي وصلت أوربا مبكراً .. وكم ضحكت أوربا على شرلمان الملك يوم تلقى هدية من هارون الرشيد عبارة عن ساعة، وعندما دقّت انطلق شرلمان هارباً خائفاً منها، ولم يطمئن إليها إلاّ بعد أن حملها إليه رسُلُ الخليفة العرب)).

والقصة بإجمال، وقعت بين أبناء هارون الرشيد الأمين والمأمون، وبين معلمهم، فقد كان هذا المعلم يفد إلى القصر، وفي هذا الوقت يكون القصر هادئاً كل

[157] يوسف ، عبد التواب ، سلطان العلم ، القاهرة ١٩٩١م.

الهدوء بأمر من الخليفة، حتى يتسنى للمعلم أن يربى الولدين ويعلّمهما، وكان هارون الرشيد يحترم العلم والعلماء ويجلّهم ويقدرهم، حتى أنه بنى المكتبات والمدارس، وحتى أنه طرد جارية من قصرة لأنها لم تحسن الحديث مع معلم ولديه.

دخل المعلم إلى جناح الدرس واستقبلاه الأمين والمأمون، وكانا يستمعان له ويصغيان، ليس في أمور الدين فقط، وإنما كان يعلمهما الحساب والجبر والهندسة والفلك والطب ويعلمهما تاريخ الأمصار وجغرافية البلدان.

وفي بعض الأحيان كان هارون الرشيد يتسلل إليهم في هدوء ليراهم، وأحياناً يستأذن من المعلم ليجلس معهم، وفي مرة من المرات ((ذهب هارون الرشيد ومعه أبو نواس، إلى جناح الدراسة، وفي هدوء وصلا ولم يدخلا، وكان صوت المعلم واضحاً، وكان يعنّف الأمين والمأمون لأنهما لم يحسنا الإصغاء، ولم يفهما درس اليوم جيداً، لذا فقد انذرهما بعقوبة شديدة إذا تكرر ذلك منهما، وهمس أبو نواس في أذن الرشيد :

- هذا المعلم يقسو على الأميرين .. إنه ينسى أنّهما من أبناء هارون الرشيد،
- هارون الرشيد : اسكت لا ترفع صوتك، اتركه .. هذا شأنه.
- ولكن سوف ..
- قلت لك لا تتدخل فيما لا يعنيك.

وأعاد المعلم الشرح، وعهد إلى تلميذيه باستذكار، ما قاله، وحذّرهما من الإهمال، وبدأ المعلم يستعد لكي يغادر المكان، وفي هذه اللحظة بالذات، حدث شيء أذهل هارون الرشيد وأدهش أبا نواس .. لقد ترك الأمين والمأمون مكانيهما مسرعين، وفي لهفة شديدة : وقد ظن الخليفة أن ولديه قد ضاقا بالمعلم وبساعة الدرس، فما أن انتهت حتى انطلقا مسرعين، وكان هذا ما خطر ببال أبي نواس، لكن الأمين والمأمون توقفا فجأة عند المكان الذي ترك فيه المعلم نعليه، وحاول كل من الأميرين، أن يحمل هذين النعلين، وخلال اندفاعهما هذا سقطا على الأرض معاً، ولم يفز أحدهما بالنعلين بل حصل كل منهما على نعل واحد، وظل يمسكها والمعلم يخطو على مهل حافي القدمين على السجادة.

وغضب أبو نواس غضباً شديداً، وهتف يرجو هارون الرشيد أن ينقذ ولديه من هذه العبودية، وأن يحميهما من معلمهما، فهما ابنا الخليفة، وأحدهما مرشح للخلافة من بعده .. وأمره الخليفة بأن يصمت ويسكت.

كان واضحاً أن الخليفة قد رأى ولديه يتسابقان على حذاء المعلم، ورأى المعلمُ الخليفة ورغب في أن يشرح الأمر له، ويقول له إنه ما كان يُحبّ هذا ولا يرغب فيه، ولكن الأميرين يصرّان في كل مرة على هذا الأمر، على الرغم من أنّه قد نهاهما عنه، فابتسم هارون الرشيد، ومدّ يده اليمنى يحتضن بها الأمين، واليسرى يحتضن بها المأمون، وضمهما إلى صدره بقوة، وحب، وقال :

– الحمد لله الذي أحياني لكي أرى هذا المشهد .. ابنا الخليفة يتنافسان في وضع الحِذاء في قدم معلّمهما .. الحمد لله .. أنتما ولدان باران، وقبّل الخليفة ولديه، ثم ضم المعلم إلى صدره، وهو يقول :– لولا أنك تستحق لما فعلا ذلك ..

ومضى الخليفة ويده في يد المعلم، ومن خلفهما الأمين والمأمون، وأبو نواس)).

واضح في هذه القصة التأثر بكتب التراث العربية، والتي تورد الحكايات والوقائع التي قد تكون حقيقية.

وأيضاً يظهر لنا سمو المعنى في هذه القصة، من عنوانها : سلطان العلم، وكيف أن الخلفاء يحترمونه ويقدرونه، ويوقرون رجاله، وهذا ما أراد أن يبيّنه عبدالتواب للأطفال من خلال هذه القصة، وأن يحببهم في العلم والثقافة، فالثقافة – كما يرى عبدالتواب يوسف، كالغذاء الجيد، تجمع ما بين الآداب والفنون من جانب والعلم والمعرفة من جانب آخر، ويظل شرط المتعة قائماً باستمرار وإصرار.[158]

فالصورة التي رسمها عبدالتواب لبغداد ونهريها والمستوى الراقي من الحضارة التي وصلت إليه؛ نتيجة إلى ما توصل إليه العلماء من العلم والمعرفة والبحث الدؤوب مع تمسكهم بدينهم الذي كان يأمرهم ويحببهم إلى العلم وطلبه والبحث عنه.

هذه الصورة المشرقة ستزوّد الطفل بثقة في نفسه وبجذور حاضره، وهو ذلك الماضي المجيد وأن عليه مواصلة الطريق، مع التمسك بالإسلام وشريعته ومنهجه.

((ولعل البعض يستنكر أن نبحث عن أصول هذا الأدب في مثل هذه المصادر : كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم – السيرة وكتب التاريخ والكتب التراثية، ويقول : إن ما فيها من نصوص بعيد عن الأطفال وأدبهم، وهو تشريع وأحكام وتوجيهات ومواعظ وأحداث وروايات. وإن هذا كله بعيد عن هذا الأدب. مع أنّ هناك الكثير من الآيات الكريمة، والسور الصغيرة، التي تناسب سن

---

[158] يوسف، عبدالتواب، " فصول عن ثقافة الطفل " مجلة الطفولة العربية "، ص٨٨، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.

الطفولة، وتعد نموذجاً ورائداً وموجهاً يستمد منه هذا الأدب : تطوّراته، ويتخذ منـــه الأديب نبراساً يهتدي بنوره، ليكون أدب الطفل المسلم الذي نريد، ذا سمات واضحة، ومميزة، يراعي اهتمامات الأطفال، ويناسب مداركهم، ويؤدي إلى إعـــدادهم لحيـــاة إسلامية شاملة. وما دام الأدباء يفتشون في زوايا الحياة، وفي الأساطير وغيرها، عما يرونه مناسباً لأدب الأطفال، فمن الأفضل أن يبحثوا في هذا التراث الحي الذي يضع الحياة والمجتمعات ويربي الأجيال على بصيرة))[١٥٩].

[159] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص٥٢.

الفصل الثاني
دراسة تحليلية لنماذج من قصصه

أ) الفكرة.

ب) الشخصيات :

١- بشرية.

٢- غير بشرية.

ج) اللغة ومستوياتها.

د) الاسقاطات الرمزية وآثارها الإيجابية والسلبية.

تمهيد:

إن تحليل أدب الأطفال من الوجهة الإسلامية، هو قائم على أساس ما يحمله العمل الأدبي الموجه إلى الطفل من رموز وقيم وإيحاءات وأحداث ومبادئ، تدعو لها الفلسفة الإسلامية[1].. وليس من الضروري أن تكون القصة من التاريخ الإسلامي أو تراثه، حتى تعد قصة إسلامية، ولكن المهم هو أن تحمل القيم والإيحاءات والرموز الإسلامية، من خلال الأحداث أو الحوار أو المبادئ التي تدعو إليها القصة، كبعض المعاني الإنسانية النبيلة، والمبادئ الرفيعة، رغم أن عنوانها قد لا يوحي بذلك[2]. فإذا ما تحققت فيها هذه المعاني الإنسانية النبيلة، والمبادئ الرفيعة التي دعى إليها الاسلام، كانت بذلك من أدب الأطفال الإسلامي، الموجه إلى أطفال المسلمين، ويحمل رسالة الإسلام العالمية إلى أطفال العالم أجمع، وينقي ما في أدب الأطفال من كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه وأهدافه، كما يزيل الخرافات والأساطير التي تقوم على القوة الخارقة التي لا وجود لها، كما يقوم هذا الأدب بتوضيح ما أحله الله ليعرفه الأطفال، والتأكيد على ما حرمه الله عزّ وجل، ليعرف الأطفال جوانب وأضرار المحرمات ليتجنبوها، كما يقدم تصويراً عاماً لحياة المسلم الحقه وأخلاقه وصفاته وعاداته وتقاليده الإسلامية الرائعة، فهو – أي أدب الأطفال الإسلامي – : ((تقديم أدب الأطفال لأطفال المسلمين خصوصاً، وأطفال العالم بصفة عامة، بصورة إسلامية تجسد حياة المسلمين وشعائرهم وعاداتهم وأوامر ربهم ونواهيه، وبطولات رجال المسلمين الأوائل، وسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكل القيم والأخلاق الإنسانية العامة التي تحبذ الفضيلة، وتقضي على الرذيلة، وبذلك فأدب الأطفال الإسلامي، هو أدب الأطفال بمعناه العام والخاص، ولكن بشكل ومضمون إسلامي يجسد الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين)) [3].

ويؤكد اسماعيل عبد الفتاح على ((أن هذا الإتجاه في التحليل، ظاهرة صحية في عالم اليوم، لأن مضمون ما يقدم لطفل اليوم في العالم كله، ينبع من الفلسفات التي ينبثق عنها المجتمع صاحب أدب الطفل. ولابد من اختيار ما يناسب الطفل من الأدب العالمي الموجه إلى الطفل، وما يتوافق مع آمال المجتمع

---

[1] عبد الفتاح، اسماعيل، أدب الأطفال، ص٩٢.
[2] الكيلاني، نجيب، "عبد التواب يوسف وصديقي الحقيقي"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٥٦.
[3] عبد الفتاح، اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص١٠٧-١٠٨.

وتطلعاته، ونحن في مجتمع إسلامي، فلابد أن تحكمه المعايير الإسلامية بلا شطط ولا جنوح، لأن سمة الإسلام هي الوسيطة)) [٤].

وإذا ما نظرنا إلى الأسئلة المثارة في تحليل أدب الأطفال الإسلامي، فنجدها تأتي على النحو التالي:

- هل لغة العمل هي لغة القرآن.. اللغة العربية السليمة، وهل توجد ألفاظ دخيله.
- هل تتضمن القصة القيم والفضائل التي يحث عليها الإسلام.
- هل يحتوي مضمونها على تعاليم تناقض ما في الإسلام من قيم وفضائل.
- هل تحث القصة على سلوكيات جيده، كالشجاعة والإقدام، وعلى صفات حميده كالأمانة والانتماء والإلتزام؟
- هل تستمد القصة من التاريخ الإسلامي، أو الانساني العام؟
- هل يتضمن الأدب الموجهه إلى الطفل سيرة شخصية أسهمت في تعزيز الإسلام؟
- هل يتحدث الأدب عن شعب من الشعوب بصورة لا تشوه شكل الإسلام أو المسلمين؟ وعاداتهم وتقاليدهم.
- هل يناقض مضمون أدب الطفل المحرمات والحدود الإسلامية؟ أم يتعارض مع ما أحله الله للناس كافة؟
- هل يؤكد مضمون الأدب الموجه إلى الطفل السمات الروحية في نفس الطفل أم يتعارض مع ذلك بتأكيد القيم المادية؟
- هل تدعو القصة إلى التفكير في ملكوت الله وفي مخلوقاته، وكيف خلقها الله؟
- حقوق المسلم وواجباته في ظل المبادئ الإسلامية.

كل تلك الأسئلة مقومات للتحليل الإسلامي لأدب الأطفال [٥].

والعمل القصصي عموماً لابد أن تتوافر فيه عناصر بذاتها، وهي الفكرة : والشخصيات ووقوع الحادثه، ثم الاسلوب، وكل العناصر السابقة، ليست سوى أدوات تكشف لنا بها القصة عن طريقة المؤلف في النظر إلى الحياة، وفهمه لها،

---

[4] عبد الفتاح، اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص١٠٩.

[5] عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص١٠٨.

وموقفه العام منها[6]. وهذه العناصر التي يجمع عليها أكثر الدارسين لأدب الأطفال، إستناداً إلى فن القصة العام، وعناصره التي يعرفها الدارسون، مع الإشـــارة إلـــى عناصر أخرى تدخل ضمن ما سبق أو تضاف إليه[7].

فقصص الأطفال لا تختلف في بنائها الفني عن قصص الكبار، لكن قصص الأطفال، يراعي فيها مؤلفها أن تكون سهلة واضحة مفهومة، لتتناسب مع مستوى إدراك الأطفال وخبراتهم، وأن تكون متصلة بحياتهم وأحلامهم، لتعينهم على فهـــم الحياة من حولهم والتفاعل مع مجتمعاتهم[8]. مثال ذلك، إن العقدة أو الحبكـــة، مـــن ضرورات القصة بوجه عام. لكن الطفل لا يناسبه إلآ العقدة الواحـــدة المبسّـــطه، دون تشعبات، وهناك أيضاً اختلافات تتعلق بالشخصية والحدث والسرد، وبالتعبير المباشر وغير المباشر، وبالألفاظ والصور البيانية والبلاغية[9].

---

6 إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ط٧، ص١٨٤، القاهرة، ١٩٧٨م.

7 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢١٦.

8 سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٨٨.

9 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٥٨.

أ) الفكرة

القصّة تحدث لتقول شيئاً، لتقرر فكرة، فهي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للقصة. والموضوع الذي تبنى عليه القصة لا يكون دائماً إيجابياً في أثـــره، فمع أنّه يجب أن يقرر بطريقة غير مباشرة أو مباشرة، حقيقـــة عـــن الحيـــاة، أو السلوك الإنساني، فإنّه غير محتاج لأن يحل مشكلة، وكما يقـــول كاتـــب القصـــة القصيرة الروسي تشيكوف: ((يكفي الفنان أن يصوّر مشكلته تصويراً صحيحاً)). فالقصة صورة للحياة، فننتظر منها أن تكون دائماً صادقة حسية مقنعـــة، كالحيـــاة الواقعية. لكن القصة تمتاز عن الحياة بأن لها صورة فنية خاصة، فالكاتـــب يقـــدم إلينا قصة حين يقدم إلينا فكرة[10].

لكن الفكرة في قصة الأطفال،تختلف، فالقدرات العقلية والوجدانية والنفسية عند الطفل، لا تجعله قادراً على استنباط الحلول، واتخاذ المواقف الواضـــحة[11].. فهي لا تخرج عن الحيز التربوي مهما تكن مكانتها عالية في سُـــلّم الفـــن. إذ أن المتعة والترفيه ضروريان للطفل، ولكنّهما وسيلة القصة لأداء وظيفتها التربويـــة. وإن أكدّ الدارسون والباحثون على أهمية المتعة والترفيه في تنمية شخصية الطفل، فإنه من المهم أيضاً في قصة الطفل الجانب التربوي الذي تؤديه فكرة القصة فـــي مغزاها، أو القيمة الواردة فيها.

وقد تحمل حوادث القصّة فكرة معيّنة، كهجرة الســـنونو فـــي الصـــيف أو الشتاء، أو تحلل أشكال الحيوانات وطبائعها، وقد تؤدي الحوادث إلى مغزى معين أو قيمة محددة، كالحرية والدفاع عن الوطن أو العمل أو الصحة والتعاون، ومـــا إلى ذلك. فوظيفة القصة لا تتحقق دون فكرة، ولا يكون تحققها سليماً مؤثراً فـــي الطفل إذا كان طرحها باسلوب مباشر[12].

وهي في قصة الطفل لها شروط:-

- أن يكون اختيار الفكرة والموضوع مثيراً لاهتمام الطفل، ومتعلقاً بعالمه النفسي والعقلي، والوجداني.
- أن يتلاءم الموضوع مع المرحلة التي يمر بها الطفل، من حيث القـــدرة على الاستيعاب، والانسجام مع متطلبات هذه المرحلة.

---

10 إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه،ط٧، ص١٩٦.
11 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٧٢.
12 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص١٣٨.

- عدم تشتيت ذهن الطفل بالإكثار من الأفكار الفرعية، والتركيز على المحور الرئيسي.
- التخفيف من المواقف المؤلمة كالتفجع والتحسر والتشاؤم والتخويف[١٣].

(إن الفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للقصة، كما أن الفكرة تشكل مصدراً من مصادر الاعجاب ونحن نقرأ القصة، ولا تستطيع أية قصة أن تتحدد ملامحها وكيانها المميز المؤثر إلآ باستكمال عنصر الفكرة..) .. إلاّ أنه في الجانب الآخر، هناك من تغريه الفكرة بروعتها، فيهيم بها، ويتغافل عن الشكل الفني، أو يُسخر ذلك الشكل بطريقة تعسفية لخدمة الفكرة، والبعض الآخر، يتعشق الشكل الفني ولا يولي الفكرة ما تحتاجه من اهتمام، وكلا الفريقين على طرفي نقيض، لكنهما لا يستطيعان بلوغ المثل الأعلى الذي ننشده في فن الأدب، وفي قصص الأطفال بالذات).

إن التوازن الفني بين الشكل والموضوع(الفكرة) هو المعادلة الدقيقة، الحساسة لكاتب القصة، فالشكل الفني أو الإطار هو الوعاء، والفكرة أو الموضوع، هو الشئ الذي يحتويه هذا الوعاء ....والأدب الإسلامي عامة_ يحفل بالمضمون والفكرة،والأساس لدى الأديب الإسلامي هو إيصال معان وقيم معينة، بالوسيلة الفنية البارعة،فالشكل هو الوسيلةوالفكرة إيصال الرسالةوالغايةإيجاد الفرد المسلم[١٤].

ويؤكد بريغش على أن الفكرة في الأدب الإسلامي للأطفال ((يمكن أن تدور حول موضوعات كثيرة مادام الهدف واضحاً عند الكاتب، فقد تكون من الموضوعات المأخوذة من كتاب الله عزّ وجل، أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الموضوعات المستمدة من السيرة النبوية، أو التاريخ الإسلامي، أو من الموضوعات الخاصة بالقضايا الإجتماعية والسلوكية، كالتعاون والأثرة، والأخوة، والإخلاص وحب العمل ... وقد تدور حول تصرفات الإنسان أو الحيوان أو النبات، أو حول موضوع علمي، أو قصة اختراع، أو حول بلدة من البلدان))[١٥]

وقد قام د/ حسن شحاته بدراسة على الأطفال، حول الفكرة في القصة، ومما توصل إليه كما يقول:

---

13 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٢٧١.

14 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط٤، ص٧١. انظر ،اسماعيل ،عز الدين ،الأدب وفنونه ،ط٧،ص١٩٦_١٩٨.

15 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال ، ص٢١٧.

((يُلاحظ أن الفكرة الجيدة، عنصر أساسي، لقصة يقبل الأطفال على الإستماع إليها، وأنّها تشكل غاية ينتهى إليها الطفل من الاستماع إلى قصة، ولذلك يجب العناية بالأفكار التي تتضمّنها هذه القصص التي تحكى للأطفال، لأن تضمن القصة لفكرة غامضة أو سطحية أو ساذجة، أمور لا تساعد على تحقيق القصة المسموعة لأهدافها)) [١٦].

الفكرة في قصص عبد التواب الإسلامي للأطفال

ما الهدف الذي يطلبه عبد التواب يوسف من الكتابة الأدبية عموماً، وقصص الأطفال خصوصاً، ويحاول أن يصل إليه، ويناشد غيره به. فعندما يقول: ((قلوبنا في أعمالنا الأدبية ليست مطمئنة، لأنّ أبطالها لا يذكرون الله، ولا يعملون بموجب شريعته الغراء.. وآمل ألآ يتصوّر بعضهم أني أريد أعمالاً أدبية وعظيمة، ولكنّي أريد أعمالاً يفوح عطر الدين من بين سطورها، ويعرف أبطالها الله، بديلاً عن الأصنام الجديدة : كُتّاب أدب الغرب، والمرأة والدولار، نريد أعمالاً شامخة، تؤكد أنّه لا طريق غير طريق الله، وقرآنه، ونبيه)).

هذا بالنسبة للأدب عامة، أما فيما يخصّ الأطفال فيقول: ((نحن نستهدف فيما نكتب، أن نضع أقدام الناشئة على طريق الإيمان بالله ورسوله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر..)) [١٧]فهدف عبد التواب من الكتابة للأطفال واضح من مقولاته السابقة ،إنه يريدأن يربط الأطفال بدينهم وبربهم وبحياة المسلمين، وبالتالي فإن أفكار القصص ستأتي لتخدم هذا الهدف، وبطرق مختلفة تساعد على إنشاء الأطفال والأجيال تنشئة سوية.وكما يقول فقد((يكون لدينا عمل أدبي اسلامي متكامل دون عبارة واحدة عن الإسلام ،إنه الروح التي تسري في كل أرجاء العمل،فتجعله كائنا حيا)) [١٨] ويوضح بكلامه التالي: ((أن فكرة أي كتاب للأطفال يجب أن تكون متميّزة، بمعنى أننا لم نعد بحاجة إلى حواديت وحكايات توضع تحت عنوان عام ولا صلة لها ببعضها، ولا خيط واحد، ينتظمها ولا يربطها معاً غير اسم الذي نقلها وكتبها.... فكاتب الأطفال في عصرنا يجب أن تكون له

---

[16] شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، ص١٦٤.
[17] يوسف، عبد التواب، " الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب"، الأدب الإسلامي، ص٦، العدد١٧، المجلد الخامس.
[18] يوسف،عبد التواب،''نحو أدب إسلامي للأطفال''فصول في أدب الطفل المسلم،ص٢٣.

فلسفتة ومنهجه وهدفه الذي يسعى إليه، فلايمكن أن يكون مجرّد تلقـين للمعرفـة والموعظة)).[١٩]

وهو قبل أن يبدأ بالكتابة – عن شخصية – فإنه يضع الهدف أولاً قبـل أن يتناول الشخصية بالكتابة، فماذا يستطيع أن يقدم للطفل عن رفض الإسلام للتفرقة العنصرية إذاً يحكى لهم قصة بلال، فالطفل قد سمع عن هذه الشخصـية، لكنـه يقدمها له ليس بشكل تاريخي فحسب، بل بشكل عصري يربطها بما يجـري فـي العالم من تقدم وعلم وحضارة، وأيضاً تفرقة عنصرية.[٢٠]

ويؤكد بالنص التالي على ذلك فيقـول: ((والمؤلـف قـد تواتيـه الفكـرة أول،اويقرأمن أجلها ،ثم ينحى كل ما حصل عليه من معلومات ويدعها تختمر في داخله،بعدها يمسك القلم ويكتب ما وقر في نفسه، بالشكل الأدبـي والفنـي الـذي يراه..._ويوضح أكثر فيقول: _ حين اكتب سيرة بطل أرى مهمتي ليست فـي أن أرويها من ألفها إلى يائها ،بلإنني أختارموقعا أو موقفا،أرويه بطريقتـي الخاصـة وبفهمي له ووجهة نظري فيه))[٢١]

وهكذا هي الفكرة في قصص عبدالتواب، مستمدة من المصادر الإسلامية، ويتناولها بشكل عصري ومميز، لتكون أكثر واقعية، ومن ثم أكثر تـأثيراً علـى الطفل.

---

19 يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص٩٩، دمشق، ٢٠٠٢م.

20 يوسف، عبدالتواب، " القصص التاريخي الإسلامي للأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠٢.

21 من جواب عبد التواب يوسف ردا لبعض أسئلتي،ص٣١٢من البحث.

العدل أساس الملك[٢٢]

وهي قصة من مجموعة : قصص دينية عصرية، والمجموعة عبارة عن خمس كتب، وكل كتاب يحوي ثلاث قصص مختلفة، فهي خمس عشرة قصة.

والقصة تبدأ بالنص التالي :

((هذه القصة ربما يكون قد مرّ على كثيرين منا جانب منها معروف، ومنسوب إلى ملوك وسلاطين وخلفاء.

أراد واحد منهم أن يبني قصراً له، وإذا بكوخ امرأة عجوز يعترض البناء، وترفض العجوز أن تبيعه، ويترك الحاكم الكوخ على ما هو عليه، ليظلَّ رمزاً لعدله، ورفضه أن يُتعدى على ممتلكات الآخرين.

قال الخليفة للمهندس الذي يبني قصره :

– عوّضوا هذه السيدة عن كوخها وابنو لها آخر بديلاً.

رد المهندس : لقد رفضت أن تتركه.

– ماذا ؟

– هي تريد أن تكون جارةً لمولاي.

ابتسم الخليفة في رضا، وقال : أيٌّ جيرة غريبة هذه ؟

قال المهندس : لقد أتممنا بناء كل شيء، ولا بدّ من قرار بشأن هذا الكوخ.

قال الخليفة محتداً وهو يغادر : اهدموه ستضطر إلى قبول ما نعرضه عليها.

وفي صباح اليوم التالي كان الخليفة يتمشى مع قاضي القضاة، وكانت السيدة العجوز قد لجأت إليه شاكيةً الخليفة، والرجل في صقها، لكن هل يستطيع القاضي أن ينقذ حكماً على الخليفة ؟

وأثناء سيرهما وجدا غِرارةً ملقاة تحت شجرة، وإذا بالقاضي يقول للخليفة :

– أنا بحاجة إلى ملء هذه الغرارة ببعض من تراب حديقة مولاي.

قال الخليفة : لا بأس.

اسرع القاضي يملأ الغرارة من تراب الحديقة، والخليفة ينظر إليه في دهشة وذهول، وما إن أتم ذلك حتى قال له القاضي :

– هل تساعدني يا سيدي على حمله ؟

قال الخليفة : حباً وكرامة.

---

[22] يوسف ، عبد التواب، العدل أساس الملك ، القاهرة ، ١٩٩١م.

وحاول الخليفة أن يرفع الغرارة عن الأرض لمساعدة القاضي فلم يستطع، وضحكا قليلاً، وانتهز القاضي هذه الفرصة ليقول :

إذا كنت يا مولاي غير قادر على أن تحمل غرارة واحدة من تراب هذه الأرض، فما بالك بما سيحدث يوم القيامة حين تحتاج إلى أن تحمل كل تراب بيت العجوز ؟

ذهل الخليفة للعبارة التي قالها قاضي القضاة .. إنه لم يفكر إلاّ في نفسه وقصره، فهو والعجوز متساويين أمام ربّ العالمين ؟ !

انتفض الخليفة حينما فكّر في ذلك، وكان لا بد له من أن يعيد النظر في أمر هذا الكوخ.

والحكايات الكثيرة التي قرأناها عن الكوخ تقول، إن الخليفة قد أبقى عليه. ولكن حكايتنا لها نهاية أخرى جميلة ورائعة.

تقول حكايتنا القديمة الجديدة : إن الخليفة أهدى القصر بأرضه، ومبانيه، وأثاثه للسيدة العجوز، لعلّها تتسامح معه، وتغفر له التفكير في عدوانه على الكوخ الذي تملكه.

لقد أحببت هذه القصة على هذه الصورة الجديدة، وإن كانوا قد جعلوا من الخليفة في البداية رجلاً ظالماً قاسياً وديكتاتوراً لا معقب لحكمه، لكن القاضي لقنه درس عمره وجعله يبقي الكوخ على ما هو عليه، بل دفعه لأن يتبرع بالقصر كله للعجوز تعويضاً لها وتكفيراً عن ذنبه)).[٢٣]

فالفكرة في هذه القصة واضحة وهي ظاهرة من عنوان القصة العدل وكيفية تأسيس الملك أو الحكم عليه، وهي القيمة الأساسية التي تركز عليها القصة، وإن كان هناك أكثر من قيمة فيها.

وهي مناسبة لطفل ثمان وتسع سنين، يستطيع أن يستنتج معاني القيم التي بها، وهي قيم نابعة من الثقافة الإسلامية، العدل، نصرة المظلوم، التوبة، الخوف من الله ، الشجاعة لدى المرأة العجوز في عدم رضوخها لإرادة الخليفة في هدم منزلها، الحكمة في أسلوب القاضي حينما أراد أن ينصح الخليفة، وعدم مناقشة الخليفة فيما هو متحمل مسؤليته في القضاء، وهذه كلّها قيم وإيحاءات إسلامية تدور الأحداث بها.

إلاّ أن النهاية، أرى أنها قد تضيع المتعة على الطفل القاريء أو السامع، حينما نوقفه لنعلمه النهاية التي وضعناها، فلو كانت مذكورة دون وجود الفاصل

---

[23] يوسف، عبد التواب، العدل أساس الملك،ص٢٠.

بينها وبين أحداث القصة قبلها، اعتقد أنه أفضل لكي لا نضع فاصلا يحد من انطلاق الطفل عبر مخيّلته.

وطفل الثمان والتسع قد لا يستوعب تماماً، المعنى في المقولة (تقول حكايتنا القديمة الجديدة). في بداية الإضافة التي أضافها عبدالتواب إلى النهاية، إلاّ أنه قد يفهم المراد من خلال سرد الحكاية ونهايته المقترحة.

وقد يرى آخرون أنه على العكس في وجود أكثر من خاتمة للقصة تترك للطفل ،فإن ذلك يخصب من عملية التخيّل لدى الطفل ،أي تخيله لأحداثٍ أكثر من خاتمة،وأن ذلك قد يكون ممتعا ومفيدا للطفل، لكن لطفل الثمانية أو التسعة أعوام كما أرى – أنه من الأفضل أن يشارله إلى الخطوط التي ينطلق منها لنترك مخيلته_الغير محدودة_ تنطلق عبرها.

محمد خير البشر صلى الله عليه وسلم

وهي مجموعة تضم تحتها خمسة عشر كتاباً، وكل قصة هي عن صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم. وكلّ المجموعة تخدم فكرة أراد أن يثبتها من خلال هذه السلسلة المترابطة، وهي أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم اتصف بما وصفه القرآن : ((وإنك لعلى خلقٍ عظيم))[٢٤] صدق الله العظيم، ونستطيع أن نلحظ ذلك من مجرّد النظر إلى عناوين القصص، وهي على النحو التالي :

عظمة محمد، مولد محمد، محمد المهاجر العظيم، محمد الزاهد، محمد الأب الحنون، محمد الحليم البار، محمد من المولد إلى الرسالة، محمد وأعظم رحلة في التاريخ، محمد الرسول الباسم، محمد قاهر الأمبروطوريات الثلاث، محمد عين الله تحرسه، محمد راعي الطفولة، هجرة محمد لماذا ؟ محمد الكريم العطوف.

فلو نظرنا إلى، محمد راعي الطفولة على سبيل المثال، فالمؤلف هنا يوضح لنا فكرة، وهو كما يقول : قبل أن يبدأ الكتابة فإنه يضع الهدف أولاً. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم، فما هي الأخلاق العظيمة والكريمة والنبيلة التي تحلى بها صلى الله عليه وسلم، إن منها : رحمته ومحبته للأطفال. فالمؤلف يقدم للكتاب بمقدمة يوضح ذلك، فيقول : ((كان الرسول محمد عليه الصلاة والسلام – وما زال، وسيظلّ رحمة أهداها الله سبحانه وتعالى إلى الناس أجمعين .. وكان أكثر حباً للأطفال، للصغار، أحباب الله .. والحكايات التي قالُوها عنه في حُبّه لهم كثيرة))[٢٥] ومن ثم يسرد للأطفال عدّة مواقف من حياته صلى الله عليه وسلم مع الأطفال، كملاعبته لحفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صغيران، ولا يضيق بهما حتى عندما كانا يعبثان معه خلال صلاته، فلا ينهرهما بل ما إن ينهي صلاته حتى يمضي في اللعب معهما.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا ما سمع صوت أي صغير لمن يصلون معه، فإنه يقصر من صلاته لكي يلتفت للصغير ويهتم به، ويعمل على كفكفة دموعه، وكان أيضاً صلى الله عليه وسلم يحترم الصغار، فكان يسلم على الصبيان يحييهم حباً لهم واحتراماً وتقديراً، أليس هذا آخر ما توصل إليه علماء النفس والتربية

---

[24] سورة القلم آية ٤.

[25] يوسف، عبد التواب، محمد راعي الطفولة، ص٢ القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

لتعزيز الثقة لدى الطفل[٢٦] ؟ فكان الأطفال أول من استقبله صلى الله عليه وسلم قرب وصوله للمدينة وهم ينشدون طلع البدر علينا.

ويختم هذه المواقف بخاتمة تشبه المقدمة لتوكد الفكرة التي أراد أن يعززها، فيقول : ((هذه بعض حكايات رسولنا العظيم مع أطفال عصره .. أحبّهم .. احترمهم .. حيّاهم .. أركبهم معه دابته)) لم يطل الصلاة من أجل بكائهم .. شاركهم لعبهم. علمهم الصلاة أبناء سبع .. ربّاهم على الإيمان والتقوى .. إنه عليه الصلاة والسلام – كما قلت لكم، كان ومازال وسيظل رحمة مهداة للبشر : صغاراً وكباراً)).[٢٧]

ماذا سيجني عبدالتواب يوسف من الأطفال، من خلال هذه المجموعة ؟ سيتعرف الأطفال على نبيّهم أكثر فيتقربون إليه ويحبونه ويجعلونه قدوتهم في أخلاقهم ومعاملاتهم، وإذا ما كان ذلك على نطاق واسع فتخيل الجيل والنشء الذي سيربى على خلال نبيه صلى الله عليه وسلم، وتلك هي الفلسفة والهدف الذي يسعى إليه كاتبنا، وليس قصصا لمجرد التلقين والوعظ فقط.[٢٨]

26 العناني، حنان عبدالحميد، تربية الطفل في الإسلام، ص١١٤، عمان، ٢٠٠١م.
27 يوسف، عبدالتواب، محمد راعي الطفولة، ص١٢.
28 يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص٩٩.

سلسلة هيا نقرأ

وإذا ما نظرنا إلى سلسلة أخرى كسلسلة : هيا نقرأ، فإننا سنجد الكاتب يريد التقريب بين الكتاب على شرط المفيد منه، الطفل، أن يحبب إليه عادة القراءة، أن يجعله يشعر بفوائدها، وبالكتاب نفسه، وما يضمه من نفائس قيمة، أن يكون كما في إحدى قصص المجموعة، دودة كتب. وعناوين القصص تدلّ على ذلك، والتي هي كما يلي :

١) الكتاب إنسان[٢٩]، وهو كما قد سبق وأن تناولت هذا الكتاب، وهو الذي يشعر بالحزن وقد يبكي إذا ما تركه أصدقاؤه، ويفرح ويشعر بالسعادة عندما تقلب صفحاته.

٢) قاريء الصور[٣٠] : وفيها طفل يتحث عن شغفه بالقراءة منذ الصغر، حتى أنه يصف نفسه عندما يُسأل عما يعمل أوقات الفراغ بأنه : قاريء كتب، وحتى أن اصدقائه يطلقون عليه : دودة كتب، فيجيب فرحاً بهذا اللقب، لأنه يدل على العلم وليس على أنه كحشرة، كما هو ظاهر الجملة، وكيف أنه كان له كتاب واحد، وازدادت حتى أصبحت لديه مكتبة وكبرت كما كبرت الشجرة التي كان يلاحظها.

٣) شجرة الكتب[٣١] : وهي تقريبا تسلسل لما قبلها، في كيفية الاهتمام بالمكتبة، وأن ترتيبها وتنظيمها ليس مجرد مظهر خارجي، وانما بوضع الكتب مع بعضها بحسب موضوعاتها، وقد أقام لها عملية ((تقليم)) كما تقلم الشجرة. وكانت هذه المكتبة هي سر تفوقه في دراسته.

وهكذا في بقية السلسلة وهي : الكتاب غالٍ، أنا أقرأ فأنا موجود، الفراغ العريض، كنوز الكتب، مذكرات تلميذ، مهرجان بدون مهرج، طارد الطيور، الفأر القارض للشعر، عش الحروف، يقرأ وهو يمشي، دودة الكتب، الوزير الصغير.

فموضوع القراءة لدى عبدالتواب، هو موضوع يؤثره إلى نفسه، أي الطفل والقراءة فيقول : ((يهمني أن أشير إلى نحو حملة قومية ووطنية لغرس عادة القراءة عند الأطفال، ومن أجل أن تؤتي شجرة القراءة ثمارها، وتتضمن الكثير

---

29 يوسف ، عبد التواب ، الكتاب إنسان ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

30 يوسف، عبد التواب ، قارئ الصور ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

31 يوسف ، عبد التواب، شجرة الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

من سبل تحبيب الأطفال في القراءة))[٣٢] وقد عمل خلال هذه السلسلة على خدمة هذه الفكرة. وهي أن يصبح الأطفال قراء، محبين مغرمين عاشقين للكتاب، على مدى العمر، ولتصبح القراءة بالنسبة لهم كالغذاء والماء والهواء، والسبيل إلى ذلك : أن نبدأ مبكرين معهم، فهي المدخل للعلم من أوسع أبوابه.[٣٣]

ولقد كانت أول كلمة من الكتاب الكريم : ((إقرأ)).

وقصص الأنبياء لعبدالتواب يوسف، لم تكن للسرد التاريخي، كيف أرسل الله الرسل إلى قومهم وما الذي حدث، وإنما كانت تخدم فكرة إن الحق والخير هما اللذان ينتصران، وأن الله مع عباده المؤمنين، يؤيدهم بنصر منه دائماً ماداموا على حق، ويدعون إلى الحق.

وسلسلة حياة الخليل إبراهيم عليه السلام، نجدها كما يقول عبدالتواب : ذات فكرة متميّزة، مترابطة ومنتظمة تحت خيط المواقف المختلفة، والامتحانات التي مرّ بها الخليل إبراهيم عليه السلام في حياته، ولكن بطريقة مميزة، وهي إبراز الشخصيات غير البشرية التي مرّ بها من حيوانات أو جماد، فتحكي هي قصّتها مع إبراهيم عليه السلام، كشاهدة على عصره، وعلى تأييد الله ونصرته له. ومن تلك القصص : كوكب الأرض، سفينة الفضاء، الصنم الكبير، البعوضة الرهيبة، الطيور الأربعة، بئر زمزم، كبش الفداء، العجل السمين، الكعبة الشريفة، بئر سبع.

هكذا هي الفكرة في قصص عبد التواب يوسف، مستوحاة من المصادر والقيم الإسلامية، تجول في خاطره ، فكيف يقدمها للأطفال؟ يقرأ من أجلها ،ويجتمع في داخله ما قرأه عنها، ليكتب بعد ذلك ما وقر في نفسه، بالشكل الأدبي والفني الذي يراه.[٣٤]

---

32 يوسف، عبد التواب، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، ص١٢٧، دمشق، ٢٠٠٢.

33 يوسف، عبدالتواب، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، ص١٢٨.

34 من نص الرسالة التي حصلت عليها من عبدالتواب يوسف.

ب) الشخصيات

أ - بشرية.
ب - غير بشرية.

الشخصيات

أ) الشخصيات البشرية

إن الأشخاص يشغلون جزءاً كبيراً من حياتنا، إذا نحن قدّرنا ألوان التفاعل التي تتم بيننا وبينهم، والتي تثير كثيراً من المشاعر، وألوان من العطف، وتولد الفكرة إثر الفكرة، والقصة معرض لأشخاص جدد، يقابلهم القارئ ليتعرف عليهم، ويتفهم دورهم ويحدد موقفهم، وطبيعي أنّه من الصعب أن نجد بين أنفسنا و شخصية من الشخصيات التي لم نعرفها، ولم نفهمها نوعاً من التعاطف، ومن هنا كانت أهمية الشخصية في القصة، وقبل أن يجعل الكاتب قارئه يتعاطف وجدانياً مع الشخصية، يجب أن تكون هذه الشخصية حيّة. فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك، وأن يسمعها وهي تتكلم[٣٥]، كذلك الشخصيات في قصص الأطفال، فهي تلعب دوراً هاماً، باعتبارها نموذجاً يحتذى، أو لكونها مثلاً يثير الرفض و التقزز، فاهتمام الطفل بالشخصية القصصية، نابع من أنّه يبحث دوماً عن أشياء يقتدي بها، يرى فيها نفسه، ويحقق من خلالها رغباته و طموحاته، ولابد للشخصية القصصية، من صفات تلبّي رغبات الطفل- حسب حاجات عمره- وإلاّ فإنّها تخفق في التأثيرعليه، ولهذا السبب تحتاج قصص الطفل إلى الإهتمام بشخصية من الشخصيات بحيث ترفعها إلى مرتبة البطل، وتبقي الشخصيات الأخرى دائرة في فلكه، فالبطل ، شئ رئيسي في قصة الطفل- وإن كانت الشخصيات الثانويه تشاركه، وكل قصة تخلو من البطولة الحقيقية، تجعل الطفل يُصاب بخيبة أمل كبيرة، ذلك أن البطل يجسد آمال الطفل ورغباته، فإذا كانت الشخصيات متساوية في أهميتها، خلت القصة من بؤرة شعور مركزية، يقع الطفل فيها، ويتمركز حولها، ويقارن بين الآخرين بالاستناد إليها. والبطل الإنسان لا يعني الرجل وحسب، وإنما يعني البطل الطفل، والبطل المرأة، والبطل العجوز، وإن كان الطفل الذكر يميل إلى الأبطال الذكور في هذه المرحلة، كما تميل الأنثى إلى البطلات، تبعاً لنمو الاهتمامات، والفوارق بين الذكر والأنثى[٣٦]. فشخصية البطل في قصص الأطفال، محور أساسي، يتوقف عليه اتجاه الأحداث، ونوعية الحل، بل إنه يتوقف

---

[35] اسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه،ص١٩١.
[36] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي،ص١٤٢.

على وضوح شخصية البطل وجاذبيتها، نجاح القصة وتوحّد الطفل مع البطل، ومعايشته[٣٧].

فرسم الشخصية، أمر حيوي بالنسبة للطفل، ولذلك يجب أن تُعالج بيقظة وحذر، وإلاّ وصلنا إلى نتيجة تخالف المطلوب من أدب القصة، فقد يعجب الطفل بشخصية قاطع طريق، أو زعيم عصابة، أو لص محترف، وخاصة عندما نضفي على هؤلاء صفات القوة والذكاء والمهارة، وتحقيق الانتصار ضد الكثره من المتصدين، ومن الضروري أن يحرص الكاتب على توضيح النتائج الطيبة السارة بالنسبة للشخصية الخيرة، والآثار والعواقب الوخيمة بالنسبة للشخصيات الشريرة، على أن يتم ذلك بأسلوب أو بآخر، دون إضرار بالقيم الفنية، أو الجمالية التي أتفق عليها بالنسبة لفن القصة[٣٨].

أمّا جانب الشكل الفنّي لشخصيات قصص الأطفال فقد سار في اتجاهين: (Flat character) و (Round character)، وقد أختلف في وضع ترجمة لتسمية كلّ من النوعين، فمنهم من يترجمها بالشخصية المسطحه أو الشخصية المستديرة، ترجمة حرفية، وهى كذلك عند كمال عياد جاد، ونجدُ عَزالدين اسماعيل[٣٩] يسميها: الشخصية الجاهزة، أوالشخصية النامية،وهناك من يجعلها منفتحة ومنغلقة،والتقسيم استناداً إلى الخصائص الكامنة في كل شخصية، فالشخصية المسطحة أو الجاهزة: هي الشخصية ذات البعد الواحد، التي نجد لتصرفاتها في القصة طابعا واحدا، وعندما تظهر في القصة تكون مكتملة، لاينتابها تغير بالنمو في مختلف مراحل العرض القصصي. أما الشخصية المستديرة أو النامية، فهي شخصية ذات أبعاد متعددة، تنمو مع القصة، تظهر لنا المواقف المختلفة جوانب جديدة منها، لم تكن واضحة عندما تعرفنا إلى هذه الشخصية لأول مرة[٤٠]. وقد ظهرت كلتا الشخصيتين في قصص الأطفال- كما أكّد ذلك د/ حسن شحاته بدراسة تحليلية، أقامها حول الشكل الفني لشخصيات قصص الأطفال، وقد ظهرت في هذه الدراسة الشخصيات الأساسية والثانوية على حد سواء، حيث شاركت الشخصيات الثانوية في صنع الأحداث[٤١].

أمّا الفيصل، فإنّها ترى أن شخصية البطل في قصص الأطفال، ثابته الأفكار والعواطف والإتجاهات والمواقف، وما حولها متغيّر ومما لايعرف الثبات،

---

[37] شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، ص١٧١.
[38] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٦٥-٦٦.
[39] اسماعيل ، عز الدين ،الأدب وفنونه ،ط٧، ص١٩٣.
[40] نجيب، أحمد، أدب الأطفال، ص٨٠، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
[41] شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، ص١٧٢.

ذلك لأنّه في حقل قصص الأطفال. لا تُعالج الشخصية لنخـرج منهـا بـدلالات إجتماعية معيّنه- كما هي الحال في قصص الكبار، إنما تُطرح الشخصية لتتفاعل مع حوادث معيّنة دون أن تغيرَها الحوادث، أو تدفعها إلى النمو، فهـي شخصـية مسطّحة، أما الشخصيات الثانوية،فهي تؤدي عملاً ثم تنصرف من ساحة القصـة، أو تبقى فيها، لكنّها لا تتفاعل مع الحوادث تفاعلاً يجعلها تطفو على سطح القصة، إلاّ إنّها ضرورية لها[٤٢]، ويرى محمود شاكر سعيد أنه قد تكـون القصـة حـول شخصية واحدة. كما قد تتعدد فيها الشخصيات[٤٣].

فإذا ما انتقلنا بالحديث عن الشكل الفني للشخصيات إلى المميـزات التـي ينبغي توافرها في شخصيات قصص الأطفال، فسنجد أنّ رسم الشخصيات بدقـة، ميزة من مميزات الكاتب الموهوب، فهي يجب أن تكون مناسبة لأدوارها، بحيـث تقنع القارئ بأنّها حقيقية مع نفسها أو تماثل الحقيقية[٤٤] وأن تتميز هذه الشخصيات بخصائص تجعلها مناسبة لهم وفق مرحلة النمو التي يكونون فيها، ومن أهـم مـا يجب أن يراعى في هذ الشأن:

الوضوح – التميز – والتشويق.

فالوضوح: في رسم الشخصيات بعنايـة مـع التركيـز علـى الجوانـب المحسوسة الملموسة المرئية. بحيث تبدو الشخصية مجسمة بشكلها ولونها، وسائر خصائصها المادية في مخيلة الطفل. كأنّما يراها أمامه.

والتميز: بألا تتقارب الشخصيات فـي اسـمائها أو صـفاتها، أو بعـض خصائصها، مما يؤدي إلى تداخلها في مخيلة الطفل، فيخلط بينها.

والتشويق: بأن يكون اختيار الشخصيات التي تستهوي الأطفال[٤٥]. ويضيف إلى ذلك محمود شاكر: بأن تكون مقنعة ومتناسقة مـع نفسـها، أي بعيـدة عـن التناقض. وأن تكون حيوية متفاعلة مع الأحداث، ويحسن أن يصوّر الكاتـب فـي الشخصية الأبعاد الثلاثة التالية: البعد الجسمي، البعد الاجتماعي، والبعد النفسي[٤٦].

وتثير شخصيات القصة بعض التساؤلات، حول وضوح وترابط الأحـداث في قصة الأطفال، مثل : هل الشخصيات تم رسمها بوضوح وباقناع كاف حتـى يمكن تصديقها ؟ وهل الشخصيات تقدم نفسها للطفل بشكل يسمح له بتقمصـها ؟ وهل يبعث المؤلف الحياة في الشخصية وهي في مختلف مراحل تطوّرها ؟ وهـل

42 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص١٤٢.
43 سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٩٤.
44 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٨٣.
45 نجيب، أحمد، أدب الأطفال، ص٨١.
46 سعيد، محمود شاكر،أساسيات في أدب الأطفال، ص٩٤.

تطوّرها يسير بشكل طبيعي منسق وواقعي بالنسبة إلى الجنس البشـــري ؟ وهـــل تستطيع الشخصية أن تتدخل في أعماق القاريء حتّى تغير من شخصيته.[47]

وأخيراً فإن الطفل يتعرف من خلال العمل الفني، على نماذج جديـــده مـــن الشخصيات، نماذج تعيش بيننا ولكنه لم يكن يفهمها، أو يتعمقها، ثم يحصل الطفل على الخبرة والثقافة التي تثري فكره وخياله[48].

الشخصيات البشرية في قصص عبد التواب يوسف للأطفال:-

لعبد التواب يوسف رأي عن الشخصية في العمل الأدبي عمومـــاً فيقـــول: يخلد الأدب الذي يعالج الإنسان، وليس المتغيرات من حوله، ومن هنا تأتي أهميـــة الشخصيات في الأعمال الأدبية، ولذلك تتردد أسماء هذه الشخصيات اكثـــر ممـــا تتردد أسماء مبتكريها))[49].

هذا عن شخصيات الأدب عامة، أما في مجال أدب الأطفال فإنّه يقول :

((الواقع أن القضية هنا قضية تناول، وأحداث حياة الشخصية لا تعنيني إلآ بالقدر الذي استهدفه من رواية من حياته، أضع الهدف قبل أن أتناول الشخصية بالكتابة))[50]. ويوضح هذ الرأي الفيصل، إذ يقول: ((إننـــا فـــي حقـــل قصـــص الأطفال-لا نعالج الشخصيات لنخرج منها بدلالات اجتماعية معينة، كما هي الحال في قصص الكبار، وإنما نطرح الشخصية، لتتفاعل مع حـــوادث معينـــة، دون أن تغيرها الحوادث أو تدفعها إلى النمو))[51].

ويتحدث عبد التواب عن أهمية شخصيات السير، وتأثر الطفل بها، فيقول: ((سوف يظل الصغير مقبلاً على اللعب الإيهامي في كل عصر، وعلى الإنفعـــال بشخصية البطل في كل عمل فني يمس وجدانه. وسوف يعجب به عبر أي تاريخ، رغم أنّه في عصر الأقمار الصناعية والإلكترونية، والكمبيوتر، وذلـــك لأن هـــذ البطل قادر على أن ينتصر في مغامراته ومخاطراته، ويتصف بالشجاعة والاقدام والصبر، ويدافع عن الحق الإنساني، في ثقه بالنفس. فهـــذه الصـــفات الإنســـانية الحميدة هي التي تجعل من أبطال السير أبطالاً في كل العصور))[52].

---

47 عبدالفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٤٦.

48 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٦٥.

49 يوسف، عبد التواب، "حول أدب الأطفال في الخليج العربي"، ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية، ص٣٥، البحرين، ربيع الأول، ١٩٨٥.

50 يوسف، عبد التواب، "القصص التاريخي الإسلامي للأطفال"، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠٢.

51 الفيصل، سمر روحي، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٤١.

52 يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص٤٥.

فشخصية البطل مؤثّرة على الطفل، ويرى علماء النفس حاجة الأطفال إليها، نظراً لتشبع الأطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد.

والشخصية في قصص عبد التواب، قد تكون حقيقية، وقد تكون خيالية، فمثالاً : قصص الأنبياء، وقصص السيرة النبوية، وسير الصحابة، والعلماء المسلمين، كلها قصص لشخصيات معروفة واقعية، لكن تناول الأحداث في هذه القصص جديد أو مبتكر، وخير مثال لذلك سلسلة العلماء المسلمين، اللقاء الفريد، والتي كانت شخصية البطل فيها، عالم من علماء المسلمين، يلتقي بعالم قرين له من علماء الغرب، وتجري أحداث اللقاء بينهما في إطار مبتكر، يشد انتباه الطفل.
فمثلاً : قصة، المعزّ لدين الله الفاطمي يقابل ووترمان في القلم الحبر، في هذه القصة أكثر من شخصية : قلم الحبر،الذي أخترعه المعز لدين الله، ثم ووترمان وأيضاً شخصية المؤلف نفسه الراوي للقصة،حيث يتدخل بالتعليق أو الإضاءةممايفيد الأطفال ويوضح لهم ماتعثرعليهم فهمه، والأبطال لديه في قصصه، في الغالب من نوع الشخصيات المسطحة أو الجاهزة، كما في سلسلة أطفال أبطال وعن هذه السلسلة يقول عبد التواب: ((وقد فضّلت هذا من منطلق أن الإيمان يملأ القلوب شجاعة.((واخترت أن تكون القدوة من نفس اللون من المتلقين، من الأطفال انفسهم، أطفال قدوة، أطفال خلّد التاريخ بطولاتهم العظيمه))[٥٣].

فكما يقول أن الشجاعة صفة تتجمع فيها قيم عدة.. فهي بمعناها العام مجمع أخلاقيات، وكانت القدوه سبيلا إلى الحديث عن الشجاعة. فلدينا من الأطفال الأبطال : أسامة بن زيد، عبد الله بن الزبير، رافع وسمرة، زيد بن ثابت، زين العابدين، محمد بن القاسم، البراء بن عازب، زياد، الغلام التغلبي.
ولدينا من شخصيات فرسان الاسلام خمسة عشر بطلا: عمر بن الخطاب، عمرو ابن العاص، سعد بن أبي وقاص، حمزه بن عبد المطلب، صلاح الدين الأيوبي، المثني بن حارثه، طارق بن زياد، خالد بن الوليد،أسرة شهداء الاسلام، عقبة بن نافع، خولة بنت الأزور، بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، أبو عبيدة بن الجراح، الزبير بن العوام، طلحة بن عبد الله.

فهذه القصص كلّها ليست سيَرا لهذه الشخصيات، وإنما قد تحكي جزء من حياته أو حادثة حدثت، أراد المؤلف إبراز قيمة أو هدفاً من خلال روايتها.

[53] يوسف، عبد التواب، "القصص التاريخي الإسلامي للأطفال"، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠٨- ١٠٩.

وأحداث الشخصيات، قد يرويها المؤلف وقد تكون تحكى بطريقة المحاورة بين الشخصيات في القصة، وقد تكون هناك شخصيات في القصص خيالية كما في سلسلة اللقاء الفريد، أما في سلسلتي أطفال أبطال وفرسان الإسلام، فهي كلّها حقيقة مذكورة في كتب التاريخ المعروفة. وهناك أيضاً الحيوانات والجمادات أيضاً تشغل حيزاً كبيراً في قصص عبد التواب الدينيه ستأتي فيما بعد.

قصة عمر بن الخطّاب[٥٤]

وهي من مجموعة فرسان الإسلام، وهذه السلسلة تقدم - كما في عنوانها - الفرسان والأبطال المسلمين وكثيراً ما تسترعي هذه العبارات انتباه الأطفال في سن الثامنه وما بعدها ويتحمسون لها. ويحاولون تقليدها. ويبدأ المؤلف قبل القصة بعبارة اشتهرت بها الشخصية، أو عبارة تلخص المعنى المراد منها، ثم بمقدمه قصيرة للدخول إليها.
فالقصة التي بين أيدينا كان في صدارتها قبل المقدمة، مربع يضم الجملة: عمر بين الاسلام والعروبة، ثم المقدمة القصيرة: ((قبل أن يعرف العالم غاريبالدي الايطالي، وقبل أن يجئ إلى الدنيا بسمارك الألماني، من الذين نادوا بالقومية ودعوا إلى الوحدة الوطنيه، قبل ذلك بأكثر من ألف سنة وقعت هذه الحادثه)).
ثم يبدأ بتفاصيل القصة مباشرة، الحادثه التي يريد أن يذكرها، ليحقق الهدف الذي قد وضعه من قبل- كما يقول-[٥٥] وتبدأ القصة بالتالي :
((حمل الرجل سيفه، وقد اختفى بياض وجهه تحت حمرة الغضب، وتطاير الشرر من عينيه، وهو يمضي مسرعاً في شوارع مكة، يدق الأرض بقدميه في قوة وعنف.
كان هذا الرجل طويلاً مهيباً أصلع الرأس، لحيته الكثيفة حمراء بلون الحناء،وشاربه طويل مفتول.. استوقفه رجل في الطريق وسأله: - إلى أين يا عمر؟ فقال عمر: أريد أن أقتل محمداً، هذا الذي فرّق قريشاً، وعاب دينها، وسب آلهتها، وسفه أحلامها، وفرّق روابطها وشتت شملها، فهجر الولد أباه، وقاتل الأخ أخاه، وعصيت المرأة زوجها. والله إني أريد أن أنتقم منه وأروي ظمئي بدمه..
قال الرجل وقد أزعجه هذا الذي ينويه عمر، وأدهشه حماسه الشديد لوحدة قومه:

---

[54] يوسف ، عبد التواب ، عمر بن الخطاب ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٣م.
[55] يوسف، عبد التواب، "القصص التاريخي الإسلامي للأطفال" ، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٠٢.

أما تخاف على نفسك؟ أتظنهم يتركونك تمشي على الأرض لو أنك قتلت محمـداً؟ أفضل لك أن تهتم ببيتك وأهل بيتك يا عمر.

فزع عمر وسأل في لهفة وقلق شديدين: - أي أهل بيتي؟ أجاب الرجل:

- شقيقتك فاطمة بنت الخطاب وزوجها، ابن عمك سعيد بن زيد! فقد...

لم ينتظر عمر ليستمع إلى بقية العبارة، وانطلق نحو بيت شقيقته وقد اشتعل ثورةً وغضبا.

وعند الباب سمع ترتيلا حلواً يتصاعد، من الداخل فأبطأ الخطْوَ، ودقّ البـاب بعنف، أدرك معه الجميع أنّه عمر.. وأسرع خباب- الذي أرسله سـيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم لكي يُعلّم فاطمة وزوجها قواعد الإسلام- يجرى ليختفي خوفاً من عمر، ولجأ إلى السرير، يختبئ تحته وهو يرتعد، وكادت فاطمة تضحك لهـذا الذي فعله خباب لولا أنّ شقيقها اقتحم البيت، يلوح عليه الغضب الشـديد فخنقـت ضحكتها، وأخذت الصحيفة التي كان يقرأ منها خباب.. وارتفـع صـوت عمـر كالرعد يسأل:

ما هذا الصوت الذي سمعته عندكم؟ وما هذه الصحيفة التـي تخفينهـا؟ هـل صحيح أنكما خرجتما عن دينكما واتبعتما دين محمد؟ فتح سعيد فمه يريد أن يتكلم، فضربه عمر بمقبض سيفه ضربة ألقت به إلى الأرض، وداسه بقدمـه، فقامـت فاطمة لتدافع عن زوجها فصفعها عمر بقوة فسقطت، وشج رأسها وسال دمهـا.. لكنّها سرعان ما استعادت نفسها ووقفت على قدميها وقالت: - نعم لقـد أسـلمنا، فافعل ما شئت.. وتقدمت نحوه، تُعرّض صدرها لسيفه، لعلّهـا تكـون أول مـن يستشهد فداءً للإسلام.. وخجل عمر، ونزلت يده عن سيفه، ونكس رأسه، وقد رأى أنه أراق دم شقيقته التي يحبها، وسكت قليلا قبل أن يقول لها:

- هاتِ هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤن فيها؟ قالت وهي تبعدها عنه: لا إني أخاف عليها منك، وأخاف أن تمسّها بسوء.. أقسم عمر أنّه سوف يعيدها إليها سليمة بعد أن يقرأ ما فيها، فإذا بها تقول:

- إنّ هذا قرآن كريم، كلام رب العالمين، ولا يمسه إلاّ المطهرون، قـم وطهـرّ نفسك وأنا أعطيها لك.

كان عمر في شوق إلى معرفة هذه الكلمات التـي فـي الصـحيفة، فقـام واغتسل، وتناول الصحيفة لكي يقرأها، وكان من القلائل بين قريش الذين يعرفون القراءة والكتابة في ذلك الحين.. وبدأ يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم .طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً ممن خلق الأرض و السـموات العلى. الرحمن على العرش استوى) أعاد عمر قراءة هذه الآيات.. مـرّة ومـرّةً

وأنفاسه تتلاحق وقلبه يخفق، لحلاوة الكلمات، وجمال معانيها، واهتــزّ لهــا مــن أعماقه وأعاد الصحيفة إلى أخته وهو يقول، دلّوني على مكان محمد، لأذهب إليه.

وما أن سمع خباب كلمات عمر، حتّى خرج من تحت السرير حيث كــان يختبئ وهتف: الله أكبر.. إني أرجو أن يكون الله قد استجاب إلى دعوة النّبي، فإنّه دعا ربّه قائلاً: اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك، عمرو بن هشام (أبو جهل) أو عُمر بن الخطّاب.

تهلل وجه فاطمة، ولم تعد تعبأ بالدم الذي سال عليه. وفرح زوجها ســعيد فرحا كبيراً، وطلب إلى خباب أن يُرافق عمر بن الخطاب إلى دار الأرقم حيــث كان رسول الله، ومعه عمّه حمزة وبعض الصحابة.. وعندما طرق عمــر بــابهم أمسك كل منهم بسيفه، وأذنوا له بالدخول واستقبله الرسول صلى الله عليه وســلم في منتصف الطريق، وأخذ بملابسه بعنف وقوة، وجذبه ليجلسه أمامــه، وســأله الرسول، صلى الله عليه وسلم:

ما الذي أتى بك؟ وماذا تريد؟

اهتز عمر، وخفض رأسه، في خشوع: أتيت يا رسول الله لكي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله..

هتف المسلمون: الله اكبر.. الله اكبر.

وخرج عمر إلى الإذاعة، ليعلن للدنيا كلّها خبر إسلامه.. بالطبع لــم تكــن هناك إذاعة لاسلكية، فإن ماركوني جاء بعد ذلك بسنوات طويلة، ولكن إذاعــتهم هذه كانت عبارة عن أشخاص يمشون هنا وهناك بالأخبار، ينشرونها بين الناس.. وقد سأل عمر عن أقدر الأشخاص إذاعة للأنباء، وعرف أنّه جميل بــن معمــر فذهب إليه، وأمسك بتلابيبه واعلن أنّه أسلم.. وإن هي إلاّ ساعات قلائــل وعــم الخبر الجزيرة العربية كلّها..

واهتزت مكة يوم خرج عليه الصلاة والسلام لأول مرة ليصــلّي علانيــة، وكان على يمينه حمزة وعلى يساره عمر، وقريش تنظر في غيظ وحقد.

لقد كان عمر قبل هذا اليوم حربا ًعلى المسلمين لأنّه يرى خروجهم علــى دين آبائهم وقومهم هدماً للتجمع العربي، وكان نظام مكة أحبّ إليه من هذا الــدين الجديد الذي يُفرّق بين الأخ وأخيه.. وهاهو اليوم يُسلِمْ لأنّه يشــعر أنّهــم كــانوا متفرقين، والدِّين سوف يوحّدهم ويزيد من رابطتهم القومية.. وتوحَّد العرب، فــي

جزيرتهم. ومدّوا ظلّهم فيما بعد إلى أقطار، سكنها قوم هم منهم ولهــم.. وهَــؤلاء القوم هم الذين قيل عنهم(كنتم خير أمة أخرجت للناس).[56]

إن شخصية البطل واضحة في القصة،متميّزة. يستطيع الطفل أن يرى فيها من الصفات، القوّة، الشجاعة، الولاء للقبيلة، ومحبة الوطن، والخشوع رغــم القــوّة والشدة، فهذه هي الصفات التي اتصف بها عمر بن الخطاب قبل الإسلام، وبعــده زاده الايمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، شدّه علـــى الكـــافرين ورحمـــة للمؤمنين، حتى أن الشيطان يسلك طريقاً غير التي يسلكها عمر بن الخطاب مـــن شدة بطشه. فقد هذّب الإسلام هذه القوّة والحب للوطن والقبيلة والأهل،وحولها إلى دفاع عن الإسلام والمسلمين وديارهم. ويحب الصغير أن يسمع هذه الصفات التي يتصف بها البطل ويقلّدها، فهو لديه قدرة على التخيل فالتجسيد.[57]

وهناك الشخصيات الثانوية والتي وجودها مهم وضروري في القصة، إذا لو لم تكن موجودة لما تميزت شخصية البطل، فلدينا أخته فاطمة، وزوجها ســعيد بــن زيد، وخباب الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إليهما، لــيعلمهم قــوانين الإسلام، وبعد إسلامه ذهب إلى الرسول الكريم وكان موقف اللقاء الــذي يظهــر الخشوع من بين القوة والشدة، والتأهب من المسلمين في المقابــل. ثــم تكبيــرهم بإعلانه مسلماً أمامه، وهناك شخصية الإذاعة جميل بن معمر، أقدر الأشـــخاص على إذاعة الأنباء.

فالشخصيات في القصة منوّعة، كل شخصية حسب دورها، وأهميتها في القصّة ليس معنى ذلك ان هناك شخصية مهمة وأخرى ليست كذلك، إنما الــدور الــذي تؤديه في هذه القصة التي تخدم حادثة أو موقف لشخصية من شخصيات فرســان الإسلام. والشخصية هنا لدينا هي من النوع الجاهز أو المسطحة- رغــم التغيــر الذي صار لهم والتحوّل من الشرك إلى الإسلام، إلا أن الصفات والمميزات التي اتصفت بها الشخصية هي نفسها قبل وبعد الإسلام، فــالقوة والشــجاعه والــذود والدفاع عن الوطن في السابق والغيرة على العشيرة، وبعد الإسلام أصبح الــدفاع عن الإسلام والمسلمين والغيرَة عليهم مع قوة وشجاعة المسلمين تحقيقـــاً لقولـــه (أشداء على الكفار رحماء بينهم)[58] .

---

[56] ال عمران آية ١١٠.

[57] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص٤٥.

[58] سورة الفتح آية ٢٩.

ب) الشخصيات غير البشرية

الشخصيات من العناصر الرئيسية في القصة، فهي قد تكون رجلاً أو طفلاً أو شيخاً أو امرأة أو فتاة، كما قد تكون أيضاً شخصية غير بشرية كحيوان أو جماد.

وقد ورد ذكر قصص الحيوان في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، ففي القرآن هناك قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النمل، وايضاً مع الهدهد، وقصة سيدنا إبراهيم مع الطيور الأربع. وقصة ذي النون، وقصة البقرة، وغيره من القصص التي ترد فيها شخصيات الحيوانات، والتي لها دور أساسي أو ثانوي في القصة، وأيضاً في الحديث الشريف يأتي ذكر الحيوانات في القصص، كقصة المرأة التي دخلت النار بسبب هرّة، والرجل الذي دخل الجنّة بسبب كلب، وقصة الغزالة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصة القرد وصاحبه الذي يغش اللبن بالماء. وكثير من قصص الحيوان.

وفي كتب التراث العربي نجد الكثير من قصص الحيوان المؤلفة والمترجمة وأبرزها في هذا المجال كليلة ودمنة، وأيضاً حظيت قصص الحيوان في ألف ليلة وليلة بنصيب وافر. ورواية النمر والثعلب لسهل بن هارون، ورواية الأسد والغوّاص، لمؤلف مجهول، ورواية الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، وغيرها.

وفي ذلك يقول النجار : ((فقصص الحيوان، والحكايات التي تروى على لسانه، عالمية بطبعها، إنسانية بمضمونها، معروفة بشخوصها، لا زمكانية بأحداثها. بالإضافة إلى وظيفتها التربويه التعليمية، التي تستهدف النقد الإجتماعي والأخلاقي، وتأكيد القيم والمثل العليا، كما تؤدي إلى الحفاظ على رصد الخبرة العملية، ونقل التجربة الإنسانية للأجيال على المستويين الفردي والجمعي.......

ومن الجدير بالذكر أن ابن المقفع قد أضاف أن الجهال- أي الصغار- إحدى الفئات التي ينبغي عليها أن تستفيد من كتاب كليلة ودمنة، فهو من هذه الناحية مناسب لأدب الأطفال، الأمر الذي أكده الجاحظ بعد ذلك، في القرن الثالث، حين ذكر أن الصبيان في عصره كانوا يقرأون كليلة ودمنة، بجانب القرآن الكريم، وهو أيضاً ما شهد به ابن عمر اليمني، في القرن الرابع، حين تحدث عن كلف أهل عصره بكتاب كليلة ودمنة، ومواظبتهم على قراءته، والاحتيال لأبنائهم على حفظه

ودرسه. بما موّهوا من الصور، وأجروه مجرى السمر، ليلهو به فتيانهم، ويتقبله صبيانهم))[59].

فذكر الحيوانات واستنطاقها في قصص الأطفال قد عرُف في الماضي، وهو ما يطلق عليه بالأنسنة – وهي ((عملية خلع صفات الإنسان على الحيوانات والجمادات. وقد شاعت الأنسنة شيوعاً كبيراً في أدب الأطفال في النصف الأول من القرن العشرين، حتّى أن المرء لا يكاد يجد شيئاً يعدلها فيه،ففي غالبية القصص يتحدث الحيوان ويتألم ويفرح، ويقيم مع بني جنسه علاقات لا تختلف عن علاقات الإنسان بالإنسان، وقد اعتقد الدارسون أن مفهوم الأنسنة وردنا من الغرب من خلال الترجمة التي قام بها عثمان جلال وأحمد شوقي وكمال كيلاني. وقد يكون ذلك صحيحاً في حدود النصوص التي ترجمها هؤلاء الرواد عن لافونتين وغيره، إلاّ أن الواقع التراثي العربي يشير إلى أن الأنسة قديمة عند العرب قبل كليلة ودمنة بقرون، عرفوها من خلال الحكايات والأساطير، ومازالوا يتناقلونها بينهم كابراً عن كابر. إضافة إلى أن هناك من ينص على أن كتاب كليلة ودمنة الذي ينطلق من مفهوم الأنسة أثّر في لافونتين بعد أن قرأه بالفرنسية))[60].

فالشخصيات في قصص الأطفال ليست مقصورة على الإنسان، بل الحيوانات والجماد ايضاً. فمن الممكن أن يكون بطل القصة حيوان من الحيوانات التي يألفها الطفل ويأنس بذكرها، فكيف بها وهي تتحدث، خاصة عند طفل المرحلة المبكرة والتي تليها، أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يميل إلى أن يكون البطل إنساناً مع إقباله أيضاً على قصص الحيوان، فقد اهتم بها الكبار أيضاً وعلى مدى التاريخ.

فالأطفال على علاقة وطيدة بالحيوانات، لذلك تلقى قصصهم لديهم ترحيباً منذ البداية، وعندما يتقدم الأطفال في العمر يقبلون على القصص الواقعي عن الحيوانات، بعد أن يُنفِضوا أيديهم من قصص الحيوانات المتكلمه، إلاّ أن أغلبهم يفتنون بحكاياتها على مدى العمر.

وقصص الحيوانات،إما أن تكون فيها متكلمة، تتخذ شخصية الإنسان وكل ميزاته(الأنسة) – كما في السابق– وهذا النوع من القصص ليس علمياً على الاطلاق، وان كانت له صفة العالمية. أو أن تكون الحيوانات على حالها ولا تخرج عن صفاتها– علمياً– هي فقط تنطق وتتكلم، وهذا اللون صعب في تناوله، إذ ليس أيسر من أنسة الحيوانات وإضفاء صفات البشر عليه. وثالثاً، قصص

---

[59] النجار، محمد رجب، التراث القصصي في الأدب العربي، ص١٥٨.
[60] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص١٣٢.

الحيوانات كحيوانات بشكل موضوعي في عالمها الخاص، كما يراهـا مراقبهـا تواجه مشاكلها، وهي هنا تكون حيوانات أليفه في الغالب ولا تفكر،وكل ما يصدر عنها أصواتها الطبيعية.[٦١]

الشخصيات غير البشرية في قصص عبد التواب يوسف :-

فالشخصية في قصة الأطفال قد تكون انساناً، وقد تكون حيواناً او طائراً أو زهرة أو جماد والمهم فيها أن تحفل بالمغزى وتهدف للعبرة، وتبرز الحكمة.[٦٢]

عرف عبد التواب العلاقة الوطيدة بين الأطفال و الحيوانات،فألف قصصـاً بطلها الحيوان أو الجماد، فالحيوانات تتحدث هي نفسها عـن نفسـها، أو تسـرد الوقائع والحوادث في التسلسل التاريخي. فألّف حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة، وهذه القصص العشرين التي تُرْوَى في حياة النبي الكريم لا يرويها المؤلف نقلاً عن المؤرخين أو على لسان المحدثين أو معاصري الرسـول مـن صحابته ورواة الحديث، وإنّما يرويها على لسان الحيوانات والأشجار والأحجـار التي عاصرت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت شاهد عيان على عَصْره.

فالحجر الأسود مثلاً يروي قصة النزاع بين قريش، وواقعة التحكيم، والناقة تروى رحلته العظيمة إلى المدينة، والنخلة تتحدث عن برّه وعطفه بالبشـر إلـى آخر أحاديث الحيوانات والأشياء عن ذلك الإنسان العظيم، الذي تلقى وحي السماء لكي يبلغه إلى أهل الأرض.[٦٣] فهو يقصُّ علينا قصة الرسول صلى الله عليه وسلم على ألسنة الحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية من جبال وآبار.

وإذا كان هذا المنهج قديماً في تقريب المعرفة إلى الكبار والصغار، نـراه في كليلة ودمنة المنسوب إلى بيدبا الفيلسوف الهندي. كما عرضه ابـن المقنـع. ونراه في الغرب عند هانز أندرسون إلاّ أن كتابة السيرة النبوية بهـذا الاسـلوب السهل الممتع فتح جديد في تقريبها إلى أبنائنا الصغار[٦٤].

وفي بداية صفحات هذه القصص العشرين، هناك عبارة : نحـن شـاهدنا أحداث هذه القصص وشاركنا فيها، وتتوالى عنـاوين القصـة ورواة أحـداثها، كالتالي: فيل أبرهة، حمارة حليمة السعدية، حجر أسود، ليلة القدر، عنقود عنـب الطائف، جمل ابي جهل، البراق، الاسراء والمعراج، ثعبان في الغار، حمامه على

---

[61] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص٨٩.

[62] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص٦٧.

[63] المقالح، عبد العزيز، عبد التواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤١.

[64] كامل، عبد العزيز،" عبد التواب يوسف وكتابه السيرة النبوية للأطفال"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٢٢.

باب الغار، حصان سراقة بن مالك، معزة أم معبد، ناقة الهجرة، بئر بدر، جبل أحد، صخرة الخندق،شاه مسمومة، جذع نخلة، شجرة الحديبية، دينار من ستة، راية الإسلام، فهي عشرون قصة، نجح فيها عبد التواب في تشويق الأطفال واجتذابهم إليها. ويقول عن هذه القصص العشرين : ((حياة محمد في عشرين قصة، كتاب اعتز به كل الاعتزاز، وحبّي له يتجاوز حبي لبقية كتبي، منجماً في فترات طويلة، استغرقت كتابته سنوات.. كنت أقدم قصصه خلال الميكرفون في قلق، كانت الاستجابة للقصص فوق ما قدرت وتصوّرت. كلّما قدمنا منها واحدة لقيت الاستحسان، وطلب الأطفال استعادتها، كانت البداية حين اجريت على لسان فيل أبرهة، أحداث عام الفيل، عام مولد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، واستمرت فكرة رواية أحداث السيرة العطرة على ألسنة من شهدها من الطيور والحيوانات والأشياء، بمعنى أن أحداث الهجرة مثلاً رويت على لسان ثعبان كان أمام باب الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة، ثم على لسان حمامة الغار والعنكبوت الذي نسج خيوطه على مدخله، ويروى حصان سراقه بن مالك بقية قصة الهجرة من مكة إلى المدينة، وتلقفت الناقة التي حملت الرسول صلى الله عليه وسلم الخيط لتكمل وصوله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر إلى يثرب، وهكذا يتابع الطفل أحداث الهجرة في قصص منفصلة، متصلة مثيرة وممتعة معاً ، ثم يعلل سر استنطاقه الحيوانات في قصصه، فيقول : إن الآداب الإنسانية مليئة بقصص الحيوان.. ولكنّها هنا موظفة بشكل جديد.. إننا نعلم مدى حب الطفل تحت سن عشر سنوات للحيوانات، وقصصها، وأردت أن استثمر هذا الحب، وأفيد منه، خاصة والكثير من الحيوانات الواردة في الكتاب مما يحبه الصغير: الفيل، الحمامة، الحصان،..،الخ))[٦٥]

((ويتساءل الأطفال: هل تتكلم هذه الحيوانات؟ هل تنطق هذه الجمادات؟ لقد طرحوا مثل هذه الأسئلة، خاصة إذا كانت أعمارهم تزيد عن العاشرة.. حيث يصلون إلى مرحلة تميل إلى الواقع، ويدركون معها أن الحيوانات والأشياء لا تنطق ولا تتكلم، غير أن بعضهم رغم علمه بذلك لا يضيق بما نقدمه،ويتقبله كما نتقبله نحن الكبار، ويستمتعون به كثيراً،لأنه يخاطب فيهم طفولتهم، بكل براءتها وتصديقها لكل شئ، حتى ولو كان يخالف ظواهر الحياة والطبيعة. ونحن أيضاً لدينا الرد على مثل هذه التساؤلات حين تُطرح، فنحن نقول لهم أن الساعة لا

---

[65] يوسف ،عبد التواب ،''السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال'' أدب الطفل المسلم ،ص٢٢٥.

تنطق لكنها تقول لنا الوقت حين نتطلع إليها، وكذلك الكتاب- رغم أنه جماد- فإنه يقول لنا الكثير من خلال سطوره)) [٦٦].

وهناك من الأحاديث الشريفة قصص كتبها عبد التـــواب للأطفـــال، كـــان الحيوان من أهم شخصياتها. كقصة القرد – وهو من أحب الحيوانات للأطفـــال- هذ القرد اشتراه بائع لبن يغشه بالماء، وقد كسب الرجل مالاً كثيراً ، أودعه فـــي صرة صغيرة كان يخرجها بين حين وآخر ليعد دنانيرها ويعيدها لجيبـــه وركـــب الرجل وقرده مركباً، وذات حين أخرج الرجل صرة المال، اختطفها القرد، وصعد بها فوق سارية المركب.. وفتحها والرجل يصرخ ويولول.. وراح القـــرد يلقـــي بدينار من الصرة للرجل، وبدينار للماء، حتى أتى عليها.. أي رد القرد للماء ثمنه بالدنانير، وأعطى للرجل ثمن اللبن[٦٧].

وأيضاً في سلسلة حياة الخليل ابراهيم عليـــه الســـلام، تأخـــذ الحيوانـــات والجمادات دور البطولة أو الراوي في القصة الذي يسرد الأحداث، فلدينا في هذه السلسلة: كوكب الأرض، سفينة الفضاء، الصنم الكبير، البعوضة الرهيبة، الطيور الأربعة، بئر زمزم، كبش الفداء، العجل السمين، الكعبة الشريفة، بئر سبع.

[66] يوسف، عبد التواب،" السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئه" فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٢٨ .

[67] يوسف، عبد التواب، " غرس العقيدة في نفوس الأطفال" فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٦.

قصة الطيور الأربعة[68]

هذه القصة من سلسلة حياة الخليل ابراهيم عليه السلام، وتبدأ كل قصه من هذه القصص بآيات من القرآن الكريم، تخص الشخصية التي يُكتب عنها في حياة الخليل ابراهيم عليه السلام في سلسلة الأحداث التي جرت له في حياته- والشخصيات من طيور أو حشرات أو حيوانات أو جماد.

ففي بداية القصة آيات من القرآن وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرْهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جُزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم)[69]. صدق الله العظيم

ثم تبدأ الحكاية بما يلي :

((نحن طيور أربعة، طاووس.. وغراب وديك ونسر، طاووس مغرور، معجب بنفسه وبذيله المروحي وألوانه البديعة، وغراب أسود ينعق ويطير ويحجل، وديك سعيد بتاجه الأحمر، ويتصوّر نفسه به ملكاً للطيور، فيسير مختالاً، ونسر يحلّق عالياً ويختار قمم الجبال مكانا لعيشه، ويحسُ أنه سيد الطيور بلا منازع. ربما سألتم أنفسكم: ماذا يجمع الطاووس الجميل بالغراب الأسود؟ وكيف التقى الديك الوديع هو والنسر الجارح؟ هكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن نجتمع ونلتقي في أروع قصة وأعجب حكاية في تاريخ الطيور والحيوانات والبشر.. حكاية تفوق الصور والرسوم المتحركة التي شاهدنها على الشاشات البيضاء، وتذهلكم سرعتها، وتدهشكم أحداثها: الفأر ينشطر قسمين ثم يعود سليماً والقط تنفصل قدمه وترجع مكانها، وأشياء من هذا القبيل.. وأنتم تضحكون لها، وتعرفون أنّها مجرد صور تتوالى، وتحكى قصصاً خيالياً أسطورياً.. ولكن حكايتنا نحن واقعية حدثت فعلاً، برغم أنّها فوق التصوّر، وتفوق الخيال.

كُنا- النسر والغراب- نطير هنا وهناك في سماء مدينة بابل في أرض العراق، وكان الطاووس والديك يسيران في بطءٍ وخيلاء وغرور.. كان ذلك حين بعث الله رسوله إبراهيم عليه السلام ليهدى قومه إلى عبادة الله، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ، وقد شاهدنا- نمرود- ملك بابل- يستدعي إليه

---

[68] يوسف ، عبد التواب ، الطيور الأربعة ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٦م .

[69] سورة البقرة آية ٢٦٠ .

سيدنا إبراهيم. ليناقشه في أمر الدين الذي أتى به، ولكي يقنعه بضرورة تركه، وقد سأله:

- من ربك يا إبراهيم.. وما هي قدرته؟
- ربي الذي يحي ويميت.

قال نمرود: أنا أحي وأميت!

استعاذ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالله، ونظر في دهشة إلى نمرود، كأنما يريد أن يسأله إن كان جاداً في قوله أو هو يهزل، وإذا بالملك يكرر عبارته ويؤكدها. قائلاً: إذا كنتم لا تصدقونني فإنني سوف أثبت لكم ذلك حالاً.

أمر الملك نمرود بأن يأتوا باثنين من أهل بابل قد صدر حكمه عليهما بالإعدام، وعندما وقفا أمامه أمسك بسيفه وضرب به أحدهما فقتله، وقال:

- انظر إني أميت!

ارتجف الواقفون، وانزعجوا، وتطلّعوا إلى الطاغية نمرود في رعب يريدون أن يعرفوا ماذا ينوي بعد أن أقدم على هذا التصرف العنيف من أجل أن يثبت قدرته على ظلم الناس وسلبهم حياتهم.. نظر نمرود إلى الرجل الثاني، وقال له وهو يلعب بسيفه في يده:

- أنت محكوم عليك بالإعدام فأنت في حكم الأموات.. ولكنني قادر على إنقاذك.. إذهب إني أعفو عنك وبذلك أحييك؟

والتفت إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقال في فرح وسذاجة:

- إنني بذلك أميت وأحي.

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبهت الذي كفر، ولكنه أراد أن يخفي عجزه، فسأل سيدنا إبراهيم عليه السلام:

- هل رأيت- بنفسك- الله وهو يحي الموتى يا إبراهيم؟

أجاب سيدنا إبراهيم عليه السلام: إن الله يخلق من العدم،من لاشئ.. ألا يستطيع بعد ذلك أن يحي مخلوقاته بعد أن يميتها؟

سأله نمرود: هل رأيته وهو يفعل ذلك؟

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: لم أره.. ولكن.. إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب. فبهت الذي كفر.

وعندما ذهب سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى بيته تذكر حديثه مع الملك نمرود وسؤاله:

- هل رأيت الله وهو يُحي الميت يا إبراهيم؟

وتذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام، مشهداً قديماً رأى فيه حوتاً على ساحل البحر، وقد فارق الحياة.. وعندما تأتي حيتان البحر تأكل منه، وعندما تنحسر عنه المياه تأكل منه السباع فأخذ يفكر في قدرته- سبحانه وتعالى- على أحياء هذا الحوت الذي تنهشه الحيتان والسباع وتأكله وتهضمه. ورفع بصره إلى السماء وتوجه إلى الله بالدعاء.

- ربّ أرني كيف تحي الموتى. سمعنا- نحن الطيور الأربعة- دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ودهشنا له. فقد كنا ندرك مدى إيمان سيدنا إبراهيم عليه السلام بالله، وهو لم يكن يشك قط في قدرته سبحانه وتعالى، وتكرر منه هذا الدعاء.. - ربّ أرني كيف تحي الموتى.

قال سبحانه وتعالى، أولم تؤمن؟ أجاب سيدنا إبراهيم عليه السلام: بلى ولكن ليطمئن قلبي.

أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام. أن يأخذ أربعة طيور.. وكنّا نحن الطيور الأربعة التي أخذها استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، وهكذا التقينا، ديك، ونسر، وطاووس، غراب، واجتمعنا بإرادة الله، الذي أمر رسوله.سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن يذبحنا، وينظفنا من الريش، ولسنا ندري لماذا لم نقلق ولم نخف من هذا الذي سيصنع بنا.. أذّ أوحى الله إلى رسوله سيدنا إبراهيم عليه السلام، أن يقطّع كلا منّا إلى أربعة أجزاء، وأن يخلطنا بعضنا ببعض: لحماً وعظماً ودماءً وريشاً. ولم يعد أحد منا يعرف أين هو، ولا أين أجزاؤه ولم نشعر بأنفسنا قط وسيدنا إبراهيم يحملنا إلى أماكن متفرقة.. أخذ جانباً وضعه على جبل في الشمال وجانبا ثانياً وضعه على جبل في الجنوب، وثالثاً على جبل في الغرب ورابعاً على جبل في الشرق، وقيل أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يوزعنا على أربعة جبال فحسب، بل على رؤس جبال سبعة.. وكان قد أمسك عليه السلام برؤسنا في يده لحكمه لا نعرفها، وفي إيمان عميق بقدرة الله وعظمته، دعانا سيدنا إبراهيم عليه السلام أن نأتي إليه، وكنّا مجرد أكوام من لحم وعظام ودم وريش.

وهنا بدأت الصور والرسوم المتحركة تجري في واقع الحياة بشكل لم يتكرر في تاريخ الطيور والحيوانات والبشر. عظمة من هذا الجبل تطير إلى الجبل الثاني وقطعه من النسر تنطلق من مكانها في الشرق إلى الغرب، وقطرات دم في الشمال تتجه إلى الجنوب، ومجموعة من الريش تمضي من هنا إلى هناك.. أرجو أن نحسن تصور الموقف.. سيدنا إبراهيم يقف في بطن الوادي بين الجبال الأربعة، ومن فوق قممها كنّا- نحن الطيور الأربعة- قطعاً صغيرة يختلط بعضها ببعض ولا يدري أحد منا أين بقيته ولا كيف صارت.. وإذا بهذه الأجزاء بقوة

علوية خارقة، تمضي وتطير في الهواء، وتستقر وتتجمع، ويلتصق بعضها ببعض، وتلتحم العظام وتجري قطرات الدماء في العروق، والريش ينتظم كما كان من حول أجسامنا وفي أجنحتنا، ويستمر هذا المشهد المثير بضع لحظات، وعلى أثرها نجد أنفسنا- نحن الطيور الأربعة- يقف كل منّا فوق قمة جبل، ولكن بلارؤس فقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام- كما قلت لكم- يحتفظ بها في يده.. وانتفض كل منا في مكانه يستعيد نفسه، وانطلقنا نمضي بلاروس، ساعين إلى سيدنا إبراهيم، ووقفنا أمامه في استعطاف كأنّما نرجوه أن يعيد إلى كلّ منا رأسه. وما إن تركها حتّى اقترب كل رأس إلى طائره، ليلتصق به. وصرْنا نهزّ رؤسنا، ونرفرف بأجنحتنا ثم نسير ونقفز، ونطير لمسافات قصيره يستطيعها الديك والطاووس.. ثم انطلق الغراب والنسر يحلقان في السماء تتابعهما نظرات سيدنا إبراهيم عليه أفضل السلام، في حين كان الديك والطاووس يدبان على الأرض.

وقال سيدنا إبراهيم عليه السلام: سبحانك ربي! ما أقدرك! ما أعظمك! إنك عزيز حكيم)).

فإذا ما نظرنا إلى الشخصيات في هذه القصّة، فسنجد عبد التواب في قصص الأنبياء والسيرة النبوية، وقصص الصحابة، يلتزم بذكر الشخصيات الحاضرة في واقع الحادثه في العصر الماضي، ولا يختلق شخصيات من انسان وحيوان وجماد لم يكن لها دور في الحادثه. وإن كان اسلوب عرضه للحادثه مبتكر، فهو يروي القصه على لسان الحيوانات والجماد، فهنا الطيور الأربعة هي التي تحي لنا حكاية سيدنا إبراهيم والنمرود، وقصة الأربعة طيور نفسها. وبما أن هذه قصة من سلسله حياة الخليل إبراهيم عليه السلام فإذاً البطل الرئيسي للسلسلة هو سيدنا إبراهيم، ولكن لكل قصة منفصله أو حادثه بطلها الذي يروي القصة، فالطيور الأربعة هنا هي بطلة القصة، وهي من النوع الثاني كما صنّفه عبد التواب : وهي أن تكون الحيوانات على حالها ولا تخرج عن صفاتها العلميه، هي فقط تنطق وتتكلم، وهذا اللون أصعب من أنسنة الحيوان،[٧٠] وهي شخصيات من نوع الجاهزة أيضاً. وهي هنا تصوّر لنا الشخصية المستسلمة الخاضعة لأمر الله منذ بداية القصة والتي استخدمها سيدنا إبراهيم لإبراز عجائب قدرة الله في خلقه، فيريه أنه ليس أيسر من أن إحياء الموتى حيث يقول للشيء كن فيكون.

وعموماً، فإن شخصيات عبد التواب يوسف، يظهر عليها الطابع الاسلامي، حتّى وان كانت القصة لا تحكي عن الاسلام أو التاريخ الاسلامي، في غير هذه

---

[70] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص٨٩.

السلسلة وهي شخصيات واضحة، تثير اهتمام الطفل القارئ سواء كانت بشريه أم غير بشرية كحيوان أو جماد أو نبات.

وأما نمرود فقد استطاع أن يصوّره بالشكل المجسّد لملك جبّار عاتٍ، لا يؤمن بوجود الله، بل ويتعدى على ذلك، فيقول :أنه هو من يستطيع أن يتصرف بتصرفات الإله. والعياذ بالله، ويدل ذلك على سذاجته وضيق عقله، ويظهر ذلك من خلال المحاورة التي بينه وبين الخليل إبراهيم، حيث خذله وبهته بقوله إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

ج) لغة الأطفال ومستوياتها.

تمهيد :

اختلفت النظريات والدراسات العلمية حول اللغة، ومدى كونها فطرية أومكتسبة، وحول العوامل التي تؤدي إلى تطوّرها لدى الإنسان، ومن تأثيرات اجتماعية، بيئية، ونفسية إلى غيره من الدراسات اللغوية المختلفة.[٧١]

وقد حظيت لغة الأطفال بقدر من الاهتمام،[٧٢] فكما اهتم الباحثون بدراسة خصائص نمو الأطفال، كان ضمن ذلك اهتمامهم بدراسة النمو اللغوي لديهم كذلك. وقد قسموا هذا النمو إلى مراحل متتابعة،[٧٣] لكل مرحلة منها مظاهرها الخاصة، بها ولغتها المناسبة لها. ولكن قبل تحديد هذه المراحل، لا بد من ذكر ملاحظات، تؤخذ بعين الاعتبار، وهي كما ذكرتها العناني[٧٤]، وأبو معال[٧٤] :

أن :- هناك تقسيمات عديدة للنمو : منها تقسيم فرويد، وبوهلر، والتقسيم جاء على أساس المميزات الجسمية والغدرية ووظائف الأعضاء.

- تتداخل هذه المراحل تداخلاً زمنياً، فنهاية مرحلة الطفولة المتأخرة هي بداية مرحلة البلوغ، وتختلف هذه المراحل حسب الجنس والشعوب اختلافاً نسبياً.
- إن معظم الدراسات التي بين أيدينا، دراسات أجريت على مجتمعات أجنبية.
- كل مرحلة من المراحل المشار إليها، تضم في داخلها مراحل اخرى تفصيلية، تتدرج مع تقدم الطفل في تعلم اللغة، وهي مع كل هذا بحاجة إلى مزيد من الدراسات العميقة؛ لإيضاح المزيد من التفصيلات، ووضع قواميس لِلغة الأطفال في مختلف المراحل.

مراحل النمو اللغوي عند الأطفال :

والمراحل مقسمة في أغلب كتب أدب الأطفال، على النحو التالي :

---

71 انظر، وطفة، علي أسعد، " لغة الأطفال بين الفطرة والاكتساب "، مجلة الطفولة العربية، ص٩٨ العدد العاشر، مارس، ٢٠٠٢م.

72 كان الاهتمام من الجانب النظري أما على مستوى الثروة اللغوية لأطفالنا فقد ثوابه صعوبات ومشاكل انظر اشارات يوسف، عبدالتواب، " نحو معجم إسلامي عربي للأطفال " مجلة الأدب الإسلامي – المجلد الثامن عدد ٣١ – ١٤٢٢هـ ص ٣٢-٣٣ والكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام. ص١٤٠،١٤٥،١٤٦،١٤٧

73 انظر طعيمه، رشدي، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص٦١، القاهرة، ١٩٩٨م. و قطامي، يوسف، نمو الطفل المعرفي واللغوي، ص٣٥١، الأردن، ٢٠٠٠م.

74 العناني، حنان عبدالحميد، أدب الأطفال، ص٧٧.

75 أبو معال عبدالفتاح، أدب الأطفال، ص٢٦، ط٢، الأردن، ٢٠٠١م.

١- مرحلة من النحت الحسحركية وهي من الولادة حتى السنتين من العمر، والظاهر على اللغة في هذه المرحلة غيابها حتى الأشهر الأخيرة من المرحلة، فهي مرحلة أصوات قبل اللغة.
٢- مرحلة ما قبل العمليات - كما يسميها بياجيه - أو مرحلة ما قبل الكتابة، وهي ما بين السنتين أو الثلاث إلى السادسة، وفي هذه المرحلة يفهم اللغة عن طريق التعبير الصوتي الشفوي، ومن خلال الصور والرسوم، أمّا عن حديثه وألفاظه فإنه متمركز حول الذات، ومن المناسب لهذه المرحلة القصص المسجلة على اسطوانة.
٣- مرحلة العمليات المادية، أو مرحلة الكتابة المبكرة، وهي من السادسة إلى الثامنة، وهي مرحلة بداية الفهم اللفظي عند الطفل، والتي يبدأ فيها في تعلم القراءة والكتابة، ومقدرته على فهم اللغة المكتوبة محدودة في هذه المرحلة، ونستطيع فيها أن نضم إلى الرسوم والصور في كتبهم بعض الكلمات، وعبارات بسيطة في حدود ما يمكن أن يضمه قاموس الطفل في هذه السن من ألفاظ.
٤- مرحلة الكتابة الوسطية من الثامنة حتى العاشرة وحتى، وهي ضمن مرحلة العمليات المادية، وفيها يكون الطفل قد قطع شوطاً لا بأس به في طريق تعلم القراءة والكتابة، وهنا يمكن أن يتسع قاموس الطفل لكي نقدم له قصصاً شاملة موضحة بالرسم، تسهم فيها الكتابة بدور رئيسي، على أن تراعي العبارات أن تكون بسيطة سهلة.
٥- مرحلة الكتابة المتقدمة : من العاشرة وحتّى الثانية عشر : وفيها يكون الطفل تعلم اللغة بشكل أوسع من السابق، واتسع قاموسه اللغوي إلى درجة كبيرة، ويكون فيها الطفل في مرحلة العمليات المجرّدة، والتي تبدأ فيها اللغة تتحرر من سيطرة الحس، وتكون اللغة فيها قادرة على التعبير عما هو محتمل : وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تعلم القراءة، وعليها يتوقف حب الطفل للقراءة أو كرهه لها.
٦- مرحلة الكتابة الناضجة، وهي من سن الثانية عشر حتى الخامسة عشر، وتدخل تحت مرحلة العمليات الذهنية المجرّدة اللغوية، ويزداد فيها فهم الطفل للغة، وفق ما ترسمه من مستويات، وتصبح لديه القدرة على التذوّق

البلاغي، وقراءة القصص والروايات، وتنمو لديه القدرة على التواصل بالمعلومات الرمزية.[٧٦]

وتطوير مستوى اللغة لدى الأطفال، هو هدف من أهداف أدب الأطفال، فهو يرمي إلى زيادة الحصيلة اللغوية لديهم، وبالتالي تقويم السنتهم، وتدريب سلائقهم على الضبط اللغوي، وحسن الأداء المعبر عن المعنى الموافق للفكرة. ولكي يتحقق ذلك لا بد للكاتب من أن يستخدم أسلوبا يتلائم وسن الطفل وقدراته وقاموسه اللغوي، بالإضافة إلى كون ما كتبه له شيّقاً جذّاباً، يستجيب لحاجات الأطفال الوجدانية والفكرية[٧٧] ويجب أن تكون لدى كاتب أدب الأطفال قدرة لغوية يستطيع بها التفريق بين الألفاظ التجريدية والألفاظ الحسية[٧٨] بعد أن يكون لديه القدرة على استعمال اللغة تحدثاً وكتابة بوضوح ودقة كافيين، ليفهم المتلقي مقصده، وأيضاً القدرة على إنشاء المعاني الجديدة، وتوضيح المعاني الغامضة وإدراك العلاقات بين المعاني المختلفة وتنظيمها تنظيماً يؤدي إلى تحقيق أغراضها.[٧٩]

ذلك لأن ازدياد حصيلة الطفل من الثروة اللغوية؛ يتناسب طرديا مع تحصيله الثقافي والعلمي ومع خبرته ،وانماء الثروة اللغوية يعني ارتقاء مستوى الذوق الجمالي، واتساع دائرة استمتاعه وجدانيا وعقليا ،وليست اللفظة وحدها هي المراد، وإنّما هناك أساليب الصياغة، وصحة النطق، ومعرفة قواعد النحو، وبطريقة عفوية.[٨٠]

وليست المسألة في الكتابة لغة سهلة أو ضعيفة، بل العبرة بحيوية هذه اللغة[٨١] وحتّى تكون كذلك لا بد للكاتب من أن يعرف كل مرحلة، وما يتناسب معها، من مفردات وألفاظ وأسلوب في الخطاب وما يشوقه ويجذبه، فالطفل في البداية تناسبه الألفاظ التي تحمل الدلالات المحسوسة، ويصعب عليه فهم معنى الألفاظ ذات الدلالات التجريدية، فعلى الكاتب أن يقلل ما أمكن من استخدامها، والاتكاء أيضاً على التكرار، للتأكيد من فهم الطفل للمعنى المراد، وذلك أقرب إلى طبيعة الأطفال فهم لا يملون من التكرار، أما أطفال المرحلة المتأخرة من الثامنة وحتى الثانية عشر، فهم يفضلون اللغة التي توحي بالمغامرة، وارتياد المجهول،

---

76 قطامي، يوسف، نمو الطفل العربي واللغوي، ص٣٥٧، أبو معال، عبدالفتاح، أدب الأطفال، ص٢٣.

77 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص١٤٢.

78 اللويحق، حبيب بن معلا المطيري، " أدب الطفل العربي خيانة لحضارة الأمة " الأربعاء، صحيفة المدينة المنورة، عدد ١٤٥٤٦، ١٨ ذو الحجة، ١٤٢٣هـ.

79 نجيب، احمد، أدب الأطفال علم وفن، ص٤٥.

80 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٤٥-١٤٧.

81 إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ص٢٣٤.

فهم أطفال مرحلة البطولة والمغامرة، ويجذبهم العنوان الذي يشع فيـــه الحركـــة، فالوصف الجامد يقتل لديهم عنصر التشويق.[٨٢]

لغة أدب الطفل بين الفصحى واللّهجة العامية:

وهناك قضية هامة في الكتابة الموجهة للأطفال وهي قضية :

اللغة العامية واللغة العربية الفصحى، وقد اشتد الخـلاف بـين المهتمـين بشؤون الأطفال ورعايتهم، حول الأداةِ التي يُقدَّم بها أدب الأطفال، فمنهم من يرى أن تكون العامية للتعبير، ورواية القصة وإلقائها في المرحلة الأولى من الطفولـة فقط، مع اختيار ألفاظ قريبة من الفصحى، أو ذات أصل عربي سليم، كي يألفهـا الطفل ويتقرب إليها، و أن المهم هي الصور والخيالات والمعاني، ليس البحث عن الألفاظ.[٨٣]

وأختلف مع هذا الرأي – مع احترامي له – الذي يحبذ رواية القصة لطفل المرحلة الأولى بالعامية، وإن كانت الألفاظ قريبـة مـن الفصـحى .. لأنّ هـذه السنوات هي بداية الطفولة ويتلقى فيها الطفل كل ما يسمعه ويستسـيغه ويـردده، ويحاول تقليده وبالتالي يألفه، فهو يتعلم العامية لأننا تحدثنا لـه بهـا، فـي هـذه السنوات، فألفها واستأنس بها، ونفس الشيء إذا ما تحدثنا إليـه بالفصـحى منـذ البداية، فهو يفهم ويعي الدلالات التي ترمي إليها الألفاظ والرمـوز مـن خـلال التكرار في أي حالة سواء بالعامية أو بالفصحى، وعلى العكس من الرأي السابق، يجب علينا استغلال هذه الفترة بسماعه أكبر قدر من ألفاظ العربية الفصحى، لأن لسانه سيكون ألين في التلقين والتلقي، وبعد ذلك سيكون عليه من السـهل سـماع القصة بالعربية الفصحى، فقراءتها في المراحل المتقدمة من الطفولة، ومـن ثـم يجب على الكاتب الموازنة والبحث عن أفضل وانسب شكل لأنسب مضمون حتى يكون متكاملاً.

وهناك من يرى أنه من المهم الحرص على الفصحى في مخاطبة الأطفـال والكتابة لهم بطريقة ملائمة بعيدة عن الافتعال والصعب والمعقد من التراكيب، مع استخدام الألفاظ القديمة حتى لا يؤدي النفور منها الابتعاد عن التراث.[٨٤] [٨٥]

---

82 اللبدي، نزار وصفي، أدب الطفولة واقع وتطلعات، ص٤٤، العين، ٢٠٠١م.
83 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٣٤.
84 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص١٤٢.
85 انظر الغرباوي، حسن أحمد، خطة بناء قائمة المفردات الشائعة بين أطفال المرحلة الابتدائية، ص١٤.

وهناك من المهتمين بأمر اللغة العربية الفصحى والغيورين عليها من يقول : أنه من الصحيح ألاّ نلقي بتبعة النمو اللغوي للطفل على عاتق أدب الأطفال وحده، أو مواد ومناهج اللغة العربية فقط، وإنّما المفترض به كأمّة عربية، أن تكون جميع المواد : علمية وأدبية باللغة العربية الفصحى البسيطة السهلة على الأطفال.[٨٦]

ثمّ هناك قضية اللغة المستخدمة في القصّة المقدمة للطفل، وكما يقول د/ عزّ الدين إسماعيل : إن لغة القصة هي المظهر الحسي المباشر لها، ويجب أن تكون حيوية، وأن لا يتحدث الكاتب فيها بلسانه الشخصي، بل يتحدث على لسان الشخصيات المختلفة التي تصادف القاريء في القصة، وليست المسألة مجرد إجراء للحديث على ألسنتهم، بل لا بد من أن يصحب ذلك اعتبار للمستويات اللغوية والفكرية، فكل شخصية لها مستواها الفكري ولها ميزاتها الذي يحدد نشاطها الفكري والوجداني وبالتالي لها لغتها التي تميزها عن الشخصية الأخرى.

فمثلاً، لا نجعل شخصية بسيطة تنطق بالحكمة وتتحدث حديث الخبير المجرب. أو تتحدث حديث المثقف العالم، فكل شخصية لها طابعها المستقل. واللغة هي الفاصل الكبير في هذا التمايز الذي عن طريقها نتعرف على الشخصية ومستواها الفكري والوجداني.[٨٧] وهذه قضية هي ذات قيمة وأهمية في القصّة الموجة للكبار، وهي أصعب في تنفيذها على الأديب في كتاباته الموجّهة للأطفال. فمع كل ما سبق، لا بد أن يكون ملماً بالطفل ونفسيته وما يجذبه وما ينفره، واللغة المستخدمة المناسبة لكل مرحلة من مراحل الطفولة. وأيضاً هناك لغة الأسلوب المختلفة من قصة لأخرى، فقصَّة يتناسب موضوعها مع لغة الحوار، وأخرى مع السرد، وقد يستخدم اللغة التصويرية أو قد يدمج بينهم، ومع ذلك فإننا ما زلنا بحاجة إلى دراسات لمعرفة النمط اللغوي المناسب لكل مرحلة. وإن دلت التجارب على أن استخدام لغة الحوار يجذب اهتمام الأطفال أكثر من غيره.[٨٨]

مستوى اللغة التركيبي والتصويري

ونجد أيضاً جانب أخر، يؤخذ في اعتبار تحليل النص الأدبي الموجه إلى الطفل، وهو النظر إلى اللغة من حيث المستوى التركيبي، و اللغة من حيث المستوى التصويري في النص. فالنظر إلى اللغة من حيث المستوى التركيبي يعني : النظر إلى التمثيل اللغوي الدلالي للنص، ويتضمن نوع المصطلحات والألفاظ

---

86 الحلواني، بسيوني، " وسائل النهوض باللغة العربية " المجلة العربية، ص٩٨، عدد٩٤، ذو القعدة، ١٤٠٥هـ.
87 إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنون، ص٢٣٤.
88 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢٢٣.

المستخدمة التي تشكل بنية الحدث، وما توحي إليه، ليتفاعل معها الأشخاص، وهل هي ذات دلالات مادية أم معنوية، ودرجة وضوحها، وهل هي مناسبة لقاموس المرحلة العمرية الموجه إليها النص، والجمل قصيرة أم طويلة، وذلك كله بالشكل الذي يحقق النمو المعرفي مع متعة الوجدان، وثراء الفكر للطفل المتلقي.

أما مستوى اللغة التصويرية في النص : فينظر إليه من حيث فنية اللغة المناسبة للطفل، باختيار لغة ذات انسجام بين صورها التعبيرية وتراكيبها – لتنطق بها شخصيات متوافقة منطقياً وسلوكياً، لتكون الصورة ملائمة، ومحققه التفاعل بين الطفل المتلقي، وما يقدمه النص من أفكار، فتكون بذلك مفيدة لإثراء فكره، وتنمية ذوقه، وصقل مشاعره، محققة للأهداف المرجوّة.[٨٩]

89 أبو الرضا، سعد، " التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي "، مجلة الطفولة العربية، ص٨١، العدد العاشر، مارس، ٢٠٠٢م.

اللغة في قصص عبدالتواب يوسف

عن اللغة يقول عبدالتواب يوسف : ((لا بد من استخدام أبسط العبارات وأسهلها، مع ضرورة إضافة المفردات ومعاني الكلمات التي تستغلق على القراء الصغار، بجانب استعمال تراكيب بسيطة وسهلة، لا يصعب على الأطفال إدراكها، حتى تؤدي الهدف منها، إذ أن العبارات المعقدّة والكلمات الصعبة تصرف الأطفال عن القراءة مهما بذلنا من جهد لتشويقهم)).[٩٠]

وهو في هذا الحديث يعني بطفل التاسعة والعاشرة من عمره حين تُكتب له السيرة النبوية – مثلاً – والتي كثيراً ما تحفل بكلمات تخرج عن قاموس الطفل، ولا يمكنه فهمها واستيعابها فيقول ((والمعروف أن قاموس الطفل في مجال القراءة في هذا السن المبكرة قاموس متواضع الكلمات قليلها، وما من سبيل إلا التبسيط بقدر ما نستطيع........ وإيراد المرادفات التي تشرح بعض ما غمض...... وكُتاب الأطفال في السابق، لم يعيروا قضية اللغة اهتماماً كبيراً، بل كان الطفل في مفهومهم رجلاً صغيراً، فكانوا يضعون له كلمات بالغة الصعوبة، قد لا يستطيع الكبار إدراكها واستيعابها،..... والجيل الجديد من كُتاب الأطفال يهتم بهذه القضية، ويتمنى عبدالتواب يوسف لو أن قواميس ظهرت تضم الكلمات المعروفة للأطفال، في مراحل أعمارهم المختلفة ،إننا نعاني الكثير في هذا الموضوع، ولا سبيل أمامنا إلاّ اعتمادنا على تصوّراتنا الخاصة، وعلى التبسيط في اختيار الكلمات وفي كتابة العبارات، ومحاولة أن تكون التراكيب في صورة بالغة البساطة والسهولة، ولا ننسى أننا نكتب أدباً أي أننا في حاجة إلى الجملة المشرقة، والعبارة المشعة، والأسلوب الجذّاب الذي لا يتأتّى إلا بواسطة حصيلة لغوية كبيرة)).[٩١]

وهو في القصص التي يكتبها للأطفال، يستخدم الألفاظ المناسبة لنفس الموضوع، فلو كانت القصة من قصص القرآن الكريم فإنه يستخدم ألفاظا من ألفاظ القرآن الكريم، سهلة على المتلقين في فهمها واستيعابها، وكذلك في قصص الأحاديث الشريفة – كما يقول عن كتاب محمد صلى الله عليه وسلم ويتحدث عن حياته : ((الكلمات سهلة فعلاً .. يمكن للأطفال فهمها واستيعابها .. الكتاب يمهد للطفل سبيل قراءته الأحاديث النبوية فيما بعد .. والأحاديث سهلة العبارات

---

[90] يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٥٠.

[91] يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٢٩.

واضحة الكلمات، تحبب الطفل إلى قراءتها بدون مشقة))[٩٢] ويهتم عبدالتواب في قصصه بتشكيل الأحرف، حتى نسهل قراءتها على الأطفال بالطريقة السليمة،[٩٣] ويؤكد الحديدي أنّه : ((لا بد أن تكون الكلمات مناسبة للقصة، ومعنى ذلك أن تكون مناسبة لشخصياتها، ولأحداثها، وصورها، وخيالاتها، ومناسبة للوقت والمكان فيها ولجوّها العام)).[٩٤]

هذا عن اللغة في قصة عبدالتواب الدينية للأطفال، وعموماً فقد اهتم كثيراً باللغة العربية الفصحى، وتقريبها للأطفال والنشىء، فقد كانت له سلسلة لغتنا الجميلة، وهي عبارة عن قصص وتراجم متّصلة باللغة العربية، لتعريف الأطفال والناشئين بتاريخ لغتهم، والجهود التي بذلت قديماً على يد أجدادنا في سبيل الحفاظ عليها، وقد صدر من هذه السلسة مجموعة حكايات :

١- حكاية النحو. ٢- رائحة التفاح. ٣- عبقري العربية. ٤- القواعد المنظومة.
٥- الصحيفة الصفراء. ٦- صاحب المعجم. ٧- الأعجميان.
٨- الحروف الاجتماعية.[٩٥]

وأخيراً يؤكد عبدالتواب أن ((قضية اللغة، واحدة من القضايا والتي يجب أن يعطيها العاملون مع الأطفال اهتماماً بالغاً، فإن اللغة إذا كانت خارج قاموسهم أصبحت القضايا خارج مفاهيمهم)).[٩٦]

---

92 يوسف، عبدالتواب، " السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٢٣٤.
93 اللبيدي، نزار وصفي، أدب الطفولة واقع وتطلعات، ص٤٢.
94 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٤٣٤.
95 وقد صدرت عن الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
96 يوسف، عبدالتواب، " الكتابة الدينية للأطفال " فصول في أدب الطفل المسلم، ص٨٣.

المؤمن الصغير[97]

وهي قصة تحت عنوان الشهادة، من سلسلة، أركان الإسلام، وتبدأ الحكاية بمقدمة لها وهي : ((لم يكن يتوقع الراعي الصغير، العبد المملوك لسيّده. وهو يقود قطيع الغنم في ذلك الصباح الباكر المشرق الجميل، أن مفاجأة عمْره تنتظره .. وأن اختباراً قاسياً سيجري له، وأنَ امتحاناً صعباً سيعقد معه .. لم يتصوّر أن الرجل الذي أقبل عليه هو أمير المؤمنين، يساومه ليأخذ من القطيع واحدة من الأغنام .. ماذا يقول الرّاعي ؟ وكيف تجري أحداث هذه القصة الفريدة ؟ !)).

هكذا كانت المقدمة للقصة، فيها من التشويق ما يجعل الطفل يتشوق لسماع القصة كاملة، ليعرف ما هي هذه المفاجئة.

واللغة هنا هي من قاموس الثمانية أعوام فما فوق، ألفاظها مناسبة له، فهي سهلة في استيعاب معانيها، مع استخدام كلمات جديدة على الطفل حتَّى يتعرف على ألفاظ وكلمات جديدة أخرى، فتثرى لديه الحصيلة اللغوية، وتسعف الكلمات الجديدة مرادفتها أو معانيها، حتى لا تستغلق على القراء الصغار.

ويستخدم عبدالتواب في قصصه التراكيب البسيطة السهلة، وسنرى ذلك في النصوص التالية من قصة المؤمن الصغير : ((عندما أصبح عمر بن الخطّاب أميرا للمؤمنين شعر بأن المسؤلية صعبة وثقيلة، لأن عليه أن يسهر على مصالح الناس، ويهتم بشؤنهم .. وهو في نفس الوقت عليه أعباء نشر الإسلام في كل بلاد الدنيا، وتسيرا لجيوش ضد الفرس والروم .. ثمّ هو لا يريد من الدنيا شيئاً، بل يسعى إلى الحياة الآخرة، ويتعبد ويذكر الله كثيرا)).

فليس هنا أيّ من الكلمات الصعبة أو الغريبة، بالإضافة إلى توضيحه للمعاني بجمل اخرى، مثال أنه لا يريد من الدنيا شيئاً، كيف ؟ هو سعى للحياة الآخره، قد لا يستوعب المعنى بالكامل، يفسر : هو يتعبد ويذكر الله كثيرا.

وفي النص الذي قبله نجد كلمة العبد، فلكي لا يفهم معنى مختلفا أو خاطئا كانت (المملوك لسيّدة) موضحة لها، وأيضاً نجد المترادفات التي تؤكد الهدف المراد تحقيقه، ففي المقدمة أراد أن عبدالتواب أن ينبه الأولا ويشوقهم لسماع القصة، فكانت المترادفات التالية كفيلة بهذا التشويق : كمفاجأة تنتظره، اختباراً قاسياً سيجرى له، امتحاناً صعباً سيعقد معه. ففي هذا السن تثيره المواضيع التي

---

[97] يوسف ، عبد التواب ، المؤمن الصغير ، ط٣، ص٢، القاهرة ،١٩٩٦م.

بها طابع البطولات والمفاجآت. مع ميلهم إلى اللغة الجميلة التي لها طابعها الرفيع المستوى.[٩٨]

والقصة، جداً لطيفة وشيّقة ومناسبة لتنمية المعاني والقيم الإسلامية النبيلة لكن بما أننا في صدد اللغة فسنتطرق لها فقط من خلال انتقاء بعض من النصوص، من القصة مثل :

((خرج عمر بن الخطاب – وهو أمير المؤمنين من المدينة المنوّرة، وراح يسعى في الأرض، ومضى هنا وهناك ليرى حال المسلمين، بعيداً عن المدينة، العاصمة .. وقد يذهب في خروجه إلى أقصى الشام، بحثاً عن شاةٍ عَثرتْ، لكي يقيل عثرتها، ولكي يجبر ساقها إذا كُسِرت .. إنه مسؤول عنها يوم القيامة)).

وخلال جولة عمر لقي واحداً من العبيد يرعى الغنم .. فجاذبه عمر الحديث، والرجل لا يعرف أن محدّثه الزاهد، صاحب الثوب البسيط، هو أمير المؤمنين، وخليفة رسول ربِّ العالمين.

أراد عمر أن يمتحن هذا العبد الراعي الصغير بعد أن أنِسَ إليه الفَتَى، واطمأن..

قال له عمر وهو يشير إلى شاه سمينة :

- اعطني هذه الشاه..
- ماذا ؟، هتف بها الراعي في دهشة،

قال له عمر : لم لا ؟ !

- إني مؤتمن .. ولو كانت الغنم لي ما بخلت عليك بواحدة.
- قال عُمر : إنما هو البخل الشديد حين لا تعطيني ما أطلب.

ردّ الراعي : أنا يا سيِّدي مملوك لسيَّدي، وهو صاحب الغنم، ولا أملك التصرُّف فيها، ولا في نفسي.

فقال له عمر : لا تكن أبْلَه .. قل لصاحبك إن الذئب قد اختطفها عندما شردت وحيدة من بين القطيع .. وهو لا بد أن يُصدِّقك، لأن هذا أمر يحدث كثيراً.

- لا لا، يا سيدي .. هذا مستحيل .. لا أقبل .. وإذا صدّقني سيّدي، فأين الله الذي لا يخفى عليه شيئ، أين الرقيب، أين الحسيب ؟

---

[98] يوسف، عبد التواب، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، ص١٤٣.

مضى عمر عن الراعي الصغير، بدون أن يقول كلمة .. غير أنّه كان يرتجف من هذا الردِّ الذي يدل على إيمانٍ عميق بالله الذي يعرف كُلَّ صغيرة وكبيرة، وهو العليم القدير)).[99]

فالنص هنا محافظ على نفس مستوى اللغة المناسب لعمر الثمانية فما فوق، والألفاظ واضحة الدلالات، والتراكيب بسيطة، يسهل على الطفل إستيعابها وفهمها، وهنا لدينا لفظة (عثرت) فهي جديدة ولا مانع من أن تضاف كلمة جديدة في القصة لتنمي الحصيلة اللغوية لدى الطفل، بشرط أن يُفهم دلالتها من سياق الكلام، أو بمترادفات لها، وفي العبارة التالية : ((وقد يذهب إلى أقصى الشام بحثاً عن شاةٍ عثرت، لكي يقيل عثرتها، ولكي يجبر ساقها إذا كسرت)) فهنا قد لا يفهم الطفل المعنى المجازي، فهو يذهب ليتفقد أحوال الناس ومن عَمّت عليهم مسؤليتة حتى ولو كانت شاةٍ عثرت.

وهنا قد يكون تعبير جاذبه الحديث، شيء لطيف وجديد على الطفل من خلال الصورة التي سترسمها دلالة اللفظة، كيف تكون مجاذبة الحديث.

وتتوالى أحداث القصة، في كيف أن عمر عاد للمدينة وقابل سيد العبد المملوك، وعرض عليه أن يشتري منه الغلام والقطيع – إن رضي بذلك – وكان له ما أراد، وحينما عاد العبد بالقطيع إلى سيَده ورأى نفس الرجل، خاف وارتجف اكثر حينما علِم أنه أمير المؤمنين، وربّما حدّث الراعي نفسه : ليتني أعطيته ما طلب، وطلب منه أمير المؤمنين الجلوس بجواره، دُهش الغلام، ولم يستطع الحراك، وانفجر باكياً بدموع الفرح حينما علِم أن أمير المؤمنين عمر قد إشتراه وقد اعتقه لوجه الله ووهب له القطيع الذي اشتراه، فهو يملك حريّته ويملك الغنم.

فالقصة طريفة ونبيلة في معناها، وهي من تاريخنا الإسلامي الحقيقي، وبها من قيمنا الإسلامية النبيلة الكثير، ولذلك فإنّ اللغة نشعر بأنّها تناسب لغة التاريخ الإسلامي في عهد الصحابة، فالألفاظ تشير دلالاتها على ذلك ك : أمير المؤمنين – نشر الإسلام في كلِّ الدنيا – لا يريد من الدنيا شيئاً – يسعى للحياة الآخرة – يذكر الله – يتعبد – خليفة رب العالمين – أين الله الذي لا يخفى عليه شيء ؟ أين الرقيب ؟ أين الحسيب ؟، إيمان عميق بالله، الذي يعرف كل صغيرة وكبيرة.

---

99 يوسف، عبدالتواب، المؤمن الصغير، ص٤.

وجوهر القصة، الكلمة المؤمنة التي نقلت العبد إلى عالم الحرية وهي : إذا صدّقني سيّدي فأين الله الذي لا يخفى عليه شيء ؟ وأخيراً كلمة عمر للغلام : إنما الحمد والشكر لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فاللغة لغة المسلمين، مناسبة لطفل الثمانية من عمره فما فوق. وهي لغة سلسة في جملها وعباراتها واضحة، بسيطة التراكيب، تنمي لديه الحصيلة اللغوية وتذوّقه لمعاني الكلمات، وترقي من مستواه اللغوي إلى مستوى أرقى، وإذا ما كانت اللفظة في القصة جديدة، فإنّه غالباً ما تتبعها المترادفات التي توضح معناها دونما أن تخلّ بالشكل العام للقصة.

ولغة القصة المستخدمة هي لغة السرد يتخلله الحوار، وهو كما أسلفنا أسلوب محبب للأطفال.[١٠٠]

وأما عن مستوى اللغة التركيبي والتصويري للنص،[١٠١] فالمستوى التركيبي وهو : التمثيل اللغوي الدلالي للنص، وهل هو محققاً للنمو المعرفي؟ ومتعة الوجدان، وثراء الفكر، وتوظيف المصطلحات ونوعها؟ التي تشكل بنية الحدث، وتوحي بالجوّ المراد تصويره، ليتفاعل معه الأشخاص.

فالقصة هنا هي قصة عبد مملوك ضعيف لا يملك شيء ولا حتّى حرّيته، ومع ذلك، فهو مؤمن أمين على صغر سنه وعلى ضعف مكانته، فهو مع ذلك مراقبٌ لله، يخاف منه لأنّه مؤمن به، راج لرحمته، وأيضاً يتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))[١٠٢] فأراد المؤلف أن يرسم هذه الصورة النبيلة في ذهن الطفل القاريء والمستمع، ووظف لذلك ألفاظاً توحي إليه بهذه الصورة وتوحي إليها، ويستخدم هذه الألفاظ بدلالاتهاالمادية في أغلب النص وأيضاً قد يستخدم ألفاظاً ذات دلالات معنوية، تعمّق إيصال الصورة ومعناها ومغزاها إلى وجدان الطفل، لتستثير مشاعره وعواطفه وتؤثر عليه، فيستجيب لها ويستمتع بها، ويكون بذلك قد أدت القصة وظيفتها بشكل متكامل من إمتاع للوجدان بالألفاظ ودلالاتها ومعانيهاوالصورة العامة للقصة،كما تثري فكره بماتحقق له من نماء معرفي ، يرتقي بمستوى التفكير لديه والتعبير، وأيضاً بذلك يصبح أكثر تذوقاً للنص، وأقدرُ على نقد الجيد والرديء منها، من الناحية الشكلية أو من ناحية المضمون.

---

100 انظر، بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢٢٣.

101 أبو الرضا، سعد، التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي، مجلة الطفولة العربية، ص٨١، عدد (١٠)، مارس، ٢٠٠٢م.

102 صحيح البخاري، كتاب الأحكام، رقم الحديث ٦٦٠٤، موسوعة الحديث الشريف CD، الاصدار الأول، انتاج صخر، ٩١-٩٦.

فعبدالتواب يوسف عادةً في قصصه يحاول الارتقاء بمستوى الطفل من جوانب متعددة، فهو لا يرضى للطفل بالساذج من المعاني أو الألفاظ أو الأخيلة، فهو يخاطب طفلا، يريده أن يكون، طفلاً مسلماً معاصراً على مستوى عال من الثقافة والوعي بالماضي والحاضر، ويستطيع أن يخطط للمستقبل نتيجة الخبرات التي تلقاها من جراء تلك الثقافة حوله، وليس معنى ذلك أنه يخاطب الطفل من أعلى بما لا يستطيع أن يفهمه ويستوعبه، بل هو عن دراسة للطفل أستطاع بهذا المستوى أن يدخل إلى نفوس الأطفال ويجذبهم، كل مرحلة على حدة، وخصوصاً هذه المرحلة التي اهتم بها كثيراً، مرحلة المغامرة والبطولة[١٠٣] فالمفردات الموظفة في النص لخدمة ترسيخ الصورة في ذهن الطفل هي مفردات مرتبطة بواقع التاريخ الإسلامي وقيمه، كأن يقول : ((لم يكن يتوقع الراعي الصغير العبد المملوك لسيّده، وهو يقود قطيع الغنم في ذلك الصباح الباكر)).

فسيرسم الطفل بمخيلته الخصبة ذلك الصبي الصغير، وهو العبد المملوك لسيده، ويخدمه برعي غنمه، فهو مطيع ونشيط على الرغم من صغر سنه مع ذلك فهو أمين على مال سيده ويتصف بصفات نبيلة وراقية، فعندما طلب منه أمر المؤمنين أن يعطيه شاةً، ردّ عليه : ((إني مؤتمن .. ولو كانت الغنم لي ما بخلت عليك بواحدة)) فلم يرد بالرفض بفضاضة أو غلظة، وانما كان مهذباً في ردّه، وهو مؤمن بالله يخاف منه في السرّ والعلن، يظهر ذلك في النص التالي : ((لا أقبل .. وإذا صدّقني سيدي، فأين الله الذي لا يخفى عليه شيء ؟ أين الرقيب ؟ أين الحسيب ؟)) كانت ألفاظا غير متوقعة من هذا الغلام، وقد لا ينطق بها غلام العصر الحالي، وينكر أحدهم أنها لغة صبي أو غلام، ولكن هكذا كان الصبية في وقت كان الإيمان هو المرجع إلى كل عمل يعمله الصغير والكبير.

وهنا تكون المفاجأة لأمير المؤمنين الذي أراد أن يختبر الصبي وأمانته، فكان ردّ الاختبار أبلغ من غلام صغير، يستطيع الطفل القاريء أن يستوعب ويفهم النص وأيضاً أن يستوعب الدلالات المعنوية وإن لم تكن في ذهنه قد اكتملت كلياً، ولكن مع تكرار وضعه في مستوى أعلى بقليل فإنه سيرقى من مرحلة لأخرى في فهم الدلالات المرادة من الألفاظ، سواء مادية أم معنوية بحسب ما يتوافر لديه من خبرات وثقافة عامة، تُهيئه لذلك الرُّقي المعتمد على أساس متين.

فالألفاظ ومستوى اللغة مختلفان لدى الطرفين في الحوار، من شخص يريد اختبار رعيته، يشعر بالمسؤلية ويريد التأكد من السلامة في الظاهر العام وفي

---

[103] انظر، يوسف، عبد التواب، تنمية ثقافة الطفل، ص٨٥.

الباطن الخافي، يختبر الأمانة التي لا تظهر إلا بالإصطدام مع موقف قوي شـــديد. فيشير إلى الشاه السمينة ويقول : أعطني هذه الشاه)) لغة قوية شديدة، ((لم لا)) ((إنّما هو البخل الشديد حين لا تعطيني ما أطلـــب)) ((لا تكـــن أبْلـــه .. قـــل لصاحبك إن الذئب قد اختطفها عندما شردت وحيدة من بين القطيع)) ويَعلم الطفل القاريء أن ليس هذا الظاهر من الكلام هو ما أراده أمير المـــؤمنين عمـــر، لأن المقدّمة التي قدم بها المؤلف القصة تسعف القاريء إلى نفي الظاهر من الكـــلام، وإنما أراد أن يختبر الغلام ويمتحن أمانته. وأما عن مستوى لغة الغلام فهو الغلام الذي يشعره بالمسؤلية تجاه ما عليه من عمل عند سماعه للطلب، وفـــي قولـــه : ((إني مؤتمن))، ((أنا يا سيدي مملوك لسيدي وهو صـــاحب الغـــنم ولا أملـــك التصرف فيها، ولا في نفسي))، وأخيراً قوله المفاجيء: ((لا لا يا سيدي .. هذا مستحيل .. لا أقبل .. وإذا صدقني سيدي، فأين الله الذي لا يخفى عليه شيء ؟ أين الرقيب ؟ أين الحسيب ؟)) الفاظ مستمدة بالتأكيد من التصورّ الإســـلام لله، بأنـــه الرقيب الحسيب الذي لا يخفى عليه شيء. أما عن مســـتوى اللغـــة التصـــويري للنص، فإن الكاتب اختار لغة لكل شخصية من شخصيات القصـّه، متوافقة منطقيـــاً وسلوكياً معها ومتلائمة معها، في ظل التصورّ الإسلامي، لما لكل شـــخص مـــن مسؤلية في القصة، وذلك بإستخدام ألفاظ وعبارات ذات دلالات ماديه ومعنويـــة، منسجمة مع الصوره التي أراد أن يرسمها المؤلف لكل شخصية، وأيضاً الصورة العامة للقصة أن تكون مناسبة لمرحلة الطفل المتلقي ليتم التفاعـــل بينـــه وبينهـــا، فيَتحقق بذلك التفاعل الثراء لفكره بما سيكتسبه من تصورات، وأفكار وقيم جديـــدة ونبيلة، وأيضاً منمية لذوقه مصقلة لمشاعره، كبهجة الخليفة بسماع ردّ الغلام مـــع كل المحاولات في أن يتصرف بما ليس له، وسعادة الغلام بالمكافأة التي كافأه إياها أمير المؤمنين؛ جزاءً له لتصرفه الناجم عن إيمان عميق بالله وإحساسه بالمسؤولية تجاه الأمانة التي كُلّف بها. وذلك مما يحقق المتعة، وأيضاً إشباع لحاجات عاطفية لدى الطفل بما تُحققه القصة من بهجة ونشوة عند سماع نهاية الصراع في الحوار بنهاية مرضية وسعيدة.

الصحيفة الصفراء [104]

وهي قصة من مجموعة حكايات نحوية، من سلسلة لغتنا الجميلة، وبداية القصة كما في النص التالي : ((هذه القصة مستوحاة عن فكرة وردت في مقدمة كتاب كليلة ودمنة، الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية .. وقد قمنا بتطوير هذه الفكرة وتنميتها، والإضافة إليها، من أجل أن تصبح عملاً فنياً لغوياً متكاملاً وممتعاً .. وقد استعرنا اسم هنبقة الذي كان يضرب به المثل في الحماقة[105]، والعامة تسمِّي أمثاله همبكة.

ويقول ابن المقفع في المقدمة : ((القاريء أمام هذا الكتاب – كليلة ودمنة – مثل الرجل الذي أتى بجوز ولوز صحيح في قشره، لا يستطيع أن يأكله ويستفيد منه إلاّ إذا كسر القشرة واستخرج الثمرة. ويجب ألا يكون القاريء مع هذا الكتاب مثل صاحب الصحيفة الصفراء، ونحن أيضاً نرجو ذلك مع كتابنا هذا، بل ومع كل كتاب .. وكان من الضروري أن نحكي لكم حكاية هذه الصحيفة التي فيها من لونها الكثير)).

كانت هذه مقدمة القصة وواضح أنّها مستوحاة من كتب التراث الأدبي العربي، من كتاب كليلة ودمنة، وهي قصة ظريفة، وبداية القصة :

((يحكى أن رجلا – ليكن اسمه هنبقة – أراد أن يتعلم الفصاحة، وأن يحسن الكلام، ويجيد التعبير عن نفسه، وأن يتكلم لغة سليمة صحيحة، ولا يتعسر لسانه أو يتعثر. كان هنبقة حين يخرج إلى الناس ويلقاهم في الطريق أو السوق يستدرجونه للحديث، ويطرحون عليه السؤال بعد السؤال، من أجل أنّه يتكلم فيخطيء ويلحن، فيرفع المفعول به وينصب الفاعل، ويرفع اسم إن وينصب خبرها .. وينطق اسم كان بالفتح ويضم خبرها، الأمر الذي يجعلهم يضحكون عليه من أعماق قلوبهم، ويسخرون من طريقته في الحديث، ويصارحونه بذلك قائلين : يا هنبقة، إن سيبويه يتململ في قبره، بسبب ما تفعله بقواعد اللغة. حرام عليك هذا يا رجل. أنت تسيء إلى العرب، إذ تتكلم مثل الأعاجم.

ويحاول هنبقة أن يقنعهم أنّه يهتم بالفكر والرأي، ولا يقف عند قواعد اللغة .. ويداعبونه قائلين .. – حين تهدم القواعد ينهار البنيان كله، وعندما تخطيءُ هكذا تسبب لنفسك ولنا المشاكل والمتاعب.

---

[104] يوسف ، عبد التواب، الصحيفة الصفراء، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

[105] ومن أمثال العرب (أحمق من هبنقة) من الهاشمي، السيد ، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ج١، ط٢٢، ص٣٢٢، مصر ، ١٩٦٧م.

وحدث يوماً أن ضايقه فتىّ صغير، وجمع حوله الصبية وراحوا يداعبونه، وأطال في كلامه معهم، وفي كل مرة يخطيء وتتعالى ضحكاتُهمْ، فضاق هنبقة بالفتى وقرر أن يشكوه إلى أبيه، وذهب إليه ليقول له :

أنا قاتلُ ولدك.

فزع الأبُ فزعاً شديداً، مع أنّه يعلم أن ابنه بخير، وسارع يأتي بسيفه، وإذا به يلقى الفتى مع أصحابه يتنذرون بالرجل، فعاد إليه وقال له في هدوء :

- كدتُ أقتلك يا رجل لأنك لا تحسن الكلام !
- ماذا ؟ تقتلني ؟
- حين قلتَ : أنا قاتلُ ولدك، فإن ذلك يعني أنك قتلتهُ، وقد غادرتك من أجل أن أعود بسيفي لأنتقم منك وأقتلك !
- تقتلني.
- نعم كِدْتُ تدفع حياتك ثمناً لخطأ في ضمة !
- إذا ماذا كان يجب عليَّ أن أقول ؟
- إذا كنت تريد أن تهدد بقتله كان عليك أن تقول : أنا قاتلٌ ولدك.
- أمن أجل فارقٍ صغير كهذا يمكن أن أفقد حياتي ؟
- إنّه ليس بصغير، ويجب عليك أن تحسن الكلام والنطق الصحيح بلغة آبائك وأجدادك)).

فمن الواضح في النص السابق من القصة أن المؤلف تعمد أن يعطي كثيراً من الأمثلة اللغوية والنحوية، ليتعوّد الأطفال عليها من صغرهم، فتصبح من سليقة ألسنتهم. كما أن بها كنايات ظريفة، تسعد الطفل إذا ما تسلل إلى مغزاها، وتمتعه، فك رموزها.

والقصة تتابع أحداثها بأمور طريفة تحدث لهنبقة من جراءِ أخطائه اللغوية، وظنّه بنفسه أنّه على صواب :

وقد طلب من أحد علماء اللغة أن يكتب له علم اللغة العربية كلّه في صحيفة صفراء، ولم يرد أن يقرأ كتباً في النحو والاعراب وأن يدرسها، وكان ما توقع العالم في أنّه لن يستطيع أن يفك رموز تلك الصحيفة الصفراء. حتَّى كانت خاتمة الأحداث التي جرت له، حين قال لجمعِ أن اللّغويّون، ((هنا امتدت الأيدي إلى الأحذية، فهب هنبقة واقفاً، وأطلق ساقيه يسابق الريح وهو يقول :

- كيف أخطيءُ يا قوم والصحيفة الصفراءُ في بيتي)).

استخدم الكاتب في القصّة : لغة السرد، والحوار، فالسرد عندما يتحدث في المقدّمة عن هنبقة، أو يعلق عليه عقب حواره مع شخصيات القصة، وهي ليست كثيرة في القصة، فهم الناس العامة الذين يلقاهم في طريقة، ولا يتحدث كل منهم على حده بل يتحدثون بشكل جماعي، ووالد الغلام، والعالم.

وكل شخصية كانت لها مستوى من الثقافة والمكانة الاجتماعية وبالتالي اللغة المناسبة لها. فالشخصية الرئيسية هنبقة كانت الشخصية الظريفه التي تلحن في قوله، وهو جاهل بقواعد اللغة العربية، وبالتالي بالحديث بها، ومع ذلك فهو متملق، ومتشدق، ويريد أن يضع نفسه في مكان غير لائق به، فهو كما بصوّرة الكاتب : ((يحاول أن يقنعهم أنّه يهتم بالفكر والرأي، ولا يقف عند قواعد اللغة)) ومع تلك الصفحات صفة تكمل الصورة التي أراد أن يرسمها الكاتب للشخصية التي تضحك الأطفال بطباعها وسلوكها الغير مثالي. فهو يلحن وأيضاً هو متهوّر في ردة فعله، فعندما ضايقه الفتى وجمع حوله الصبية، ضاق به، وقرر أن يشكوه لوالده وقال له بكل ثقة : ((أنا قاتلُ ولدِك)) وأيضاً من الألفاظ التي استخدمها الكاتب في إظهار جهل هنبقة بقواعد اللغة مما يؤدي به إلى الوقوع في إشكالات مع الناس فهو يتحدث بأسلوب الجاهل الذي لا يريد أن يتعلم : ((أمن أجل فارق صغير كهذا يمكن أن أفقد حياتي ؟)) وقوله للعالم : ((أريد منك أن تكتب لي علم اللغة العربية كلّهُ على هذا الصحيفة)) وهو يكثر الاخطاء في حديثه مع الآخرين، واستطاع الكاتب أن يوظف الألفاظ والمعاني التي تصوّر هذه الشخصية وتجعلها مضحكة وفي نفس الوقت ينفرّ الأطفال من سلك هذه الطريقة وأن يتنبهوا للغتهم.

فيُنقص ضمة، ويختلف بذلك المعنى، (أنا قاتلُ ولدك) أو يفتح التاء بدلاً من أن يضمها : ((لقد كِدتُ أفقد حياتي بسبب ضمة غفلتَ عنها)) فردّ عليه العالم (لست أنا الذي غفلتُ، بل أنت يا هنبقة لذلك أراك غافلاً عن لغتك)).

وقد صوّر الكاتب في قصتّه أن عامة الناس لا يتقبلون هذا اللحن في الحديث معهم، فهم ينتقدون من يلحن، ويصححون الخطأ أيضاً، فيتحدثون كالناقد الضائق ذرعاً بمن أمامه : ((حين تهدِمُ القواعد، ينهار البنيان كله، وعندما تُخطيء هكذا تسبب لنفسك ولنا المشاكل والمتاعب)) ثمنٌ لا ثمناً بالرفع لا بالنصب، لأنّها مبتدأ مؤخر)) و ((سأكتبها لك لعل ذلك ينقذ اللغة من لسانك الأعجمي المعْوَج)) والجماعة من الناس حينما أراد أن يتحدث فيهم وبدأ باسمُ فصاح أحدهم باسم، الله الرحمن الرحيم : الباء في أول الكلمة تجرُّ الميم في كلمة اسم بالكسرة، وأنت تنطقها بالضمة)) وهكذا يحاول أن يرسم الكاتب صورة لهذا الرجل، ردّة فعل الناس حوله ولكل منهم أسلوبه ولغته في الحديث، فالناس حوله لا يلحنون

ويتحدثون بلغة الواثق من كلامه المنتقد للحن، والعالم هو أكثر علماً وأكثر ثقة في حديثه وردّة. فهناك توظيف للألفاظ والمصطلحات من قاموس اللغة العربية الفصحى، لكلٍ من شخصيات القصة، وما توحي إليه هذه الألفاظ بما يتناسب معها، في حوار قصير يحدث مع الشخصيات، وقد يطول إذا احتاج الأمر للتوضيح، وقد استطاع الكاتب أن يرسم الجو الذي اراد أن يتفاعل معه الأشخاص في القصة بالشكل الذي يبني الحديث، ثم الأطفال سيتفاعلون مع ذلك وإذا ما تمّ ذلك التفاعل فسيتحقق المراد من هذه القصة.

ومن ناحية المستوى التصويري للقصة فقد اختار كما قد سبق لغة ذات انسجام بين صورها التعبيرية وتراكيبها لتنطبق بها شخصيات متوافقة منطقياً وسلوكياً، ومن هنا تكون الصورة متلائمة، محققة التفاعل بين الطفل والنص، نتيجة لذلك الانسجام بين مستوى اللغة التركيبي، ومستوى اللغة التصويري للنص، يؤدي إلى المتعة الوجدانية وتنمية الذوق، وثراء الفكر، وأيضاً تحقق النمو المعرفي، بما قد استفاده من نص القصة إزاء الاهتمام بقواعد اللغة العربية، وذلك بطريق غير مباشر.

محمدٌ الكريمُ العطوف صلى الله عليه وسلم[106]

وهي قصة من سلسلة : محمد خير البشر صلى الله عليه وسلم. التي تضم خمس عشرة قصة عن الرسول الكريم، وهي عن حادثة وقعت بين عبدالله بن رواحة وصبية صغيرة كانت ترعى غنمه.

وفي البداية يقدم الكاتب بمقدمة عن الصحابي عبدالله بن رواحة، كترجمة له، حتى يتعرف الطفل القاريء على الشخصية التي في القصة ومكانتها، وكيف تعامل معه صلى الله عليه وسلم، ومع الصبية. ثم تبدأ القصة بـ :

((نادى عبدالله بن رواحة الصبية الصغيرة السمراء التي ترعى غمه، وقال لها :

- هل تستطيعين القيام بهذا العمل ؟
- نعم ..
- وفي مقدورك أن تحمي الغنم ؟
- طبعاً .. لك أن تطمئن يا سيدي ..
- ابتسم عبدالله، وصرفها وهو يقول : أرجو أن تهتمي بها وعودي بها سليمة ..
- أن شاء الله ..))

هكذا جرى الحوار بين عبدالله بن رواحة والصبية التي عنده، ومضت الصبية لترعى الغنم إلى خارج المدينة المنوّرة، وهي تترنم وتستمع بمنظر السماء والأرض الشاسعتين، وتهتم كثيراً بأمر الغنم، حتى تكون عند حسن ظن سيدها، فهي غير متخاذلة أو كسولة : وذهبت احدى الغنم إلى مكان بعيد، ولحقت بها الصبية، وما عادت حتى وجدت أن الذئب قد اختطف إحداهن، فرجعت بالقطيع إلى الديار وهي ترتجف خوفاً وقلقاً من سيدها. وما أن أعلمته بالأمر حتىّ استبد به الغبضب، وارتفع صوته، بل اشتد به الغضب وصفعها على وجهها وهربت من بين يديه عندما أراد أن يواصل ضربها.

هدأت ثائرة عبدالله بن رواحة، وبدأ يستعيد نفسه، ويفكر فيما فعله، وشعر بأنه لم يحسن التصرف فهرع إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكى له ما جرى ((ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عبدالله بن رواحة وقال :

---

[106] يوسف ، عبد التواب ، محمد الكريم العطوف ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- ضَرَبْت وجه مؤمنة ؟!

وينكس عبدالله وجهه في خجل، فيقول عليه الصلاة والسلام عبارة رائعة، موجزة، مُركّزة .. يقول : وما عسى الصبية أن تفعل بالذّئب ؟ وما عسى الصّبية أن بفعل بالذئب ؟

وكررها ثلاثاً.

ويلتفت عبدالله بن رواحة حوله باحثاً عن كلمة، أو مخرج، فلا يجد أمامه إلاّ أن يقول : إنّها .. إنّها حبشية .. لا .. عِلْم لها.

بعث الرسول عليه الصلاة والسلام يسأل بمن يأتي له بالصبية الرّاعية السمراء، فجاءت وما زالت آثارها الدموع في عينيها، والأسى يطلُّ من وجهها .. طيّب الصحابة خاطرها، وحاولوا التسرية عنها، ثم سألها الرسول صلى الله عليه وسلم :

- أين الله ؟ !

فقالت : سبحانه وتعالى في السماء !

خفض عبدالله بن رواحة رأسه، ونظر إلى الأرض، وعاد عليه الصلاة والسلام يسأل الصبية ..

- من أنا ؟

قالت : محمدٌ رسول الله، وخاتم الأنبياء، وسيّد المرسلين .. كان الردّ هادِئاً، عميقاً، يحمل في ثناياه الاحترام الكبير والتوقير والتقدير، وما استطاع عبدالله ابن رواحة أن يرفع رأسه، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

((إن خدمكم إخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم))[١٠٧]

رفع عبدالله بن رواحة رأسه لأول مرةٍ، وهو يقول :

- إني أعتقها لوجه الله .. إنّها منذ هذه اللحظة حُرّة .. تكفيراً عما حدث منّي نحوها !)).[١٠٨]

اعتمدت القصة في اسلوبها على لغة الحوار، بالإضافة إلى السرد المكمل للحوار، إما مكملاً للأحداث في القصة أو مُعلقاً على أحداث التي جرت في أثناء الحوار.

وهي قصة فيها ثلاث شخصيات رئيسية، وهي شخصية عبدالله بن رواحة، وجاريته الصبية، والرسول العطوف صلى الله عليه وسلم، وهناك شخصيات

---

[107] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي، رقم الحديث ٢٩، موسوعة الحديث الشريف (CD)، الإصدار الأول، شركة صخر، ٩١-٩٦.

[108] يوسف، عبدالتواب، محمد الكريم العطوف، ص٨.

ثانوية وهي الصحابة مجموعين، وكان وجودهم في لقطة أو صورة واحدة من الاحداث، وهي عندما أخذوا يروّحون عن الصبية.

وتمر شخصيات القصة في ثلاث مراحل من الأحداث، المرحلة الأولى الهادئة، والمرحلة الثانية المرحلة الثائرة، ثم الأخيرة وهي الحاسمة.

وتختلف المشاعر فيها للشخصيات من مرحلة لأخرى حسب الحدث الجاري وبذلك تختلف المفردات الموظّفة في بناء الأحداث في القصة من مرحلة لأخرى.

ففي المرحلة الهادئة، نجد الصحابي عبدالله بن رواحة، وهو يسند للصبية عمل القيام برعي أغنامه، وإن كان لديه بعض من الشك في قدرتها لصغر سنّها، ولكنها أرادت أن تثبت أنها راشدة وهي تقدر على ذلك، وهو حال جميع الأطفال فيما إذا سأله أحد عن قدرته بالقيام بعمل ماء، فهو يريد إظهار التحدي وإبراز قوّته للراشدين، أنني مثلكم أستطيع فعل ذلك.

وأكدت الصبية لعبدالله بن رواحة ذلك، وكانت المفردات الموظفة لهذا المقطع فيها شيء من التشكك في معناها : ((هل تستطيعين – وفي مقدورك أن تحمي الغنم – أرجو أن تهتمي بها وتعودي بها سليمة، والصبية تتحدث بلغة الصغير المؤكد لقدرته في انجاز هذا العمل المسند إليه : نعم – طبعاً لك أن تطمئن يا سيدي – وأخيراً هذه الشخصية هي مؤمنة بالله وتتأثر بالمفردات الإسلامية : إنشاء الله، فكل شيء هو بمشيئة الله، فهي تعمل جاهدة وستعود بالشياه سليمة، إن شاء الله، وانصرفت.

وتابع الكاتب تطوّر الأحداث في المرحلة الأولى ليدخل بها إلى الثانية، فيصوّر للطفل بشكل يثير من مخيلة الطفل الخصبة، وكأنه سيستعرض هذه الصور، كيف مضت الصبية وهي تقود الأغنام إلى خارج المدينة وهي تترنم بأناشيد وترمي ببصرها إلى بعد إلى الأفق وكلّها أمل بأن تنجح في اداء المهمة بنجاح، وقد أدت كلّ ما ينبغي عليها إزاء الأغنام.

ويأتي الذئب ليقلب أحداث القصة من هادئة حالمة، إلى صورة فيها من الخوف والقلق والحيرة والحزن، وكانت اللغة المصوّرة لهذا الحدث تستخدم المفردات التي تدلّ على هذه المعاني : الذئب اختطف واحدة، عادة باكية دامعة العينين، حيناً تلوم نفسها وحيناً ترى أن الأمر خارجاً عن إرادتها، كانت ترتجف خوفاً وقلقاً من سيدها.

كل ما سبق كانت ألفاظاً مستخدمة لتظهر الصورة التي أراد الكاتب أن يراها الطفل القاريء أو السامع، وهي بالتأكيد ستثير لديه الاحساس بهذه الأحداث.

وقالت لسيدها ما حدث في أسى، ويستبد الغضب بالرجل ويجسد الكاتب هذه الصورة في ذهن القاريء بتوظيفه لألفاظ تخدم هذا التجسيد، كـ : ارتفع الصوت كالرعد، التأنيب، اللوم، وأخيراً الضرب، وهي صورة تثير مشاعر الخوف لدى الطفل، إلى أن يصل إلى النهاية التي تعيده إلى سكونه.

ويذهب عبدالله بن رواحة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مسرعاً لأنه لم يحسن التصرف، يريد أن يخبره بما حدث، وصورة أن يقوم الصحابي إلى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ليخبره عما جرى وماذا يفعل حتى وإن كان قد أخطأ، تظهر للطفل مدى إيمان الصحابة بالله وبرسول صلى الله عليه وسلم وبأن حكمة وما يقوله هو الفيصل، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى.

وكانت الألفاظ ومعانيها الموظفة لاظهار، ردّة الفعل لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما علم بما حدث احمرّ وجهه وهو الهادي الحليم، فالمعنيان المتناقضان يظهران الصورة التي أراد أن يظهرها الكاتب عن طريق ذكر الحال في الأصل وهو صلى الله عليه وسلم : هادي حليم. ولكن ما سمعه جعل وجهه يحمر غضباً، ويضيق ضيقاً شديداً، سكت الصحابة جميعاً، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله ضربْتَ وجه مؤمنة، والمستوحى من هذه اللغة مع شدة غضب قائلها صلى الله عليه وسلم، أنه مع هذا الغضب كان عطوفاً ورحيماً، ويؤكد هذا المعنى المستوحى من المقولة، ما قاله صلى الله عليه وسلم بعد : ((وما عسى الصبية أن تفعل بالذئب ؟)) وكان استخدام الاستفهام لتأكيد الاستنكار لما حصل، والتكرار أيضاً يخدم هذا الاستنكار.

يرتبك الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة إثر هذا الاسلوب الراقي في التربية على ما به من شدة استنكار، يستطيع الطفل أن يجد هذا المعنى المراد من خلال الاستفهام والتكرار، ويخدم ايضاح هذه الصورة ما يأتي من ألفاظ مثل : يتلفت عبدالله بن رواحة حوله، يبحث عن كلمة أو مخرج ثم يقع إثر هذا الارتباك فيما لم يقصد أن يقوله، فيقول : إنّها حبشية لا علم لها.

قال ذلك أمام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء للعالمين بشيراً ونذيراً من أنس وجان، على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم، ما عسى الرسول المربي أن يفعل إزاء هذا الموقف الذي حدث أمامه، هل سيثور وينفعل ويتلفظ بألفاظ غير لائقة، لا بالطبع.

بعث لمن يأتي له بالصبية، وجاءت وما زالت آثار الدموع في عينيها، وقد حاول الصحابة أن يطيّبوا خاطرها.

سأل الرسول الصبية سؤالين تقريرين، ليؤكد للسامعين ولمن نعتها بأنها حبشية، بأن هذه الجارية الحبشية، الصغيرة حجماً وسناً، هي تؤمن بالله وبرسوله الكريم، ثم قال في وسط الصحابة :(إن خدمكم إخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم) وكان الموقف يعبر عن شدة العطف والكرم من الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الضعيفة وأن مثلها مثل أيهم يؤمن بالله وبرسوله الكريم العطوف صلى الله عليه وسلم.

ويأتي دور الصحابي والذي تربى في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتأكيد يكون لايمانهم بالله وبرسوله، أثراً على نفوسهم وأن كانت هناك أمور بسيطة تكدر صفو الإنسان.

يقول بعد أن رفع رأسه : ((إني اعتقتها لوجه الله، إنها منذ هذه اللحظة حرّة .. تكفيراً عما حدث مني نحوها)) وكانت كلّها عبارات توحي بالاعتراف بالخطأ وهو سمة من السمات الحميدة، ثم يؤكد أنّها حرّة، والألفاظ المستخدمة ألفاظ تنبع من قاموس المصطلحات الإسلامية اعتقها، لأنّه يعلم أن في العتق كفارة، وأجر كبير، وهو ما جاء به الإسلام، ثم لوجه الله، فهو يعتقها يريد بهذا وجه الله، وليس ارضاءاً لها أو مجاملة أو خوفاً من الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يعلم أنه العطوف الكريم، وقد تعلم هذا الكرم، وأن يكون لوجه الله تكفيراً عما حدث، وقد كان يجزءوه اعتذاراً أو أن يطيب خاطر الصبية بشيء يجلبه لها، ولكن ورع الصحابة ومخافتهم من الله أكبر، لذلك اعتق الصبيه لوجه الله تكفيراً عما حدث، ويَظهر من خلال الحوار والسرد في القصّة حيوية اللغة،[١٠٩] فلم يكن الكاتب يتحدث بلسانه الشخصي، بل يتحدث على لسان الشخصيات المختلفة، بل ومن حالٍ لها لآخر. وسرده المعقب للحوار المنمي لبناء الأحداث كان بلغة يوظف فيها مصلحات ومدلولات حسن الصورة التي يرى أن يظهرها في تصارع الأحداث ونمائها، وهذه الحيوية هي التي تجذب الطفل لمتابعة القصة من حدث لآخر، وتشوّقه إلى متابعة التسلسل إلى النهاية.

ويخدم ذلك مصطلحات ومفردات تتسم بالوضوح واليسر، وهي مفردات ذات مدلول مادي كما كان استخدام المفرادات ذات مدلول معنوي وأن لم يكن الغالب في قصص عبدالتواب، فالخوف والقلق والغضب – واستعادة النفس – والضيق، ردٌّ هاديءٌ وعميقٌ، يحمل في ثناياه الاحترام : هي ألفاظٌ ذات مدلول معنوي لا تسبب للطفل المتلقي عسراً في الفهم، بل هي تسهم في إنماء الحدث في وجدان

---

109 إسماعيل، عزّ الدين، الأدب وفنونه، ص٢٣٤.

الطفل المتلقي، فالدمج بين الجانب المادي و المعنوي من المصطلحات والألفاظ يؤدي إلى الاحتكاك والتفاعل، مما يشكل بنية للأحداث تحقق النمو المعرفي مع متعة الوجدان، وبالتالي إثراء الفكر[١١٠] واشباع الحاجات النفسية والعلمية والوجدانية، وإذاً بالتالي تتحقق أهداف سامية من قص القصص للأطفال ..

[110] أبو الرضا، " التناعم الإنساني المعرفي بين الطفل والتقدم التكنولوجي "، مجلة الطفولة العربية، ص٨١، عدد ١٠.

د) الاسقاطات الرمزية وآثارها الإيجابية والسلبية.

الإسقاطات الرمزية وآثارها الإيجابية والسلبية

قد أخذ الرمز مكاناً بارزاً بين الدراسات النقدية، التي سعى أصحابها إلى إيضاحه، فذهبوا إلى أن الرمز: معناه الايحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية، والرمز: هو الصلة بين الذات والأشياء، حيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح.

كما أنه يعني استشفاف الخاص من خلال الفردي. العام من خلال الخاص، أو الكوني من خلال العام، وفوق هذا كله استشفاف ما هو أبدي وخالد فيما هو دنيوي وموقوت.[111]

والرمز كما يقول يونج: ((وسيلة إدراك مالا يستطاع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شئ لا يوجد له أي معادل لفظي، هو بدل من شئ يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته)) .[112]

وقد ذاع استخدام الرمز– خصوصاً بالحيوان– في كثير من الآداب العالمية القديمة، وعرفته كل الشعوب، وراحت تتنازع ملكية إبداعه كل الحضارات والثقافات، وقد ذهب بعضهم إلى أنه فن يعود في نشأته إلى أصول سامية أو أصول فرعونيه، فقد استخدمه المصريون في أوراق البردى وعلى جدران المعابد– في النقد السياسي أو لغايات تربوية، وذهب بعضهم إلى أنه يوناني الأصل ثم استخدمه الرومان في كشف المظالم السياسية والاجتماعية، وأما التراث العربي فهو حافل بهذا النوع من الحكايات، شعراً ونثراً[113].

هذا اللون من القصص– الذي هو على لسان الطير والحيوان– أخذ يتجه اتجاهاً أخلاقياً، يهدف إلى اظهار غرض تعليمي أو وعظ وإرشاد، يهدف إلى تأكيد درس أخلاقي للبشر، أو يهدف النقد والهجاء لتصرفاتهم. وعادة ما تكون فيها الشخصيات من حيوانات أو نبات أو جماد، تحمل صفات الإنسان وتعمل مثله[114].

ويطلق على هذه العمليه مفهوم الانسنة، أي خلع صفة الإنسان على الحيوان أو

---

[111] العقدة، فتحية محمود فرج، " الدراسات الرمزية لأسلوب النص الشعري "، عالم الفكر، ص٥٠٧، عدد (١)، يوليو، ١٩٩٩م.

[112] ناصف، مصطفى، الصورة الأدبيه، ص١٥٣، بيروت، ١٩٨١م.

[113] النجّار، محمد رجب، التراث القصصي، ص١٠٥.

[114] أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال، ص٥١.

أشياء في الطبيعة، بغية تفسيرها وتعليل تصرفاتها وصورها الخارجية، وغـرس قيم محددة عن طريقها[115].

وليس فقط الرمز للإنسان عن طريق حيوان أو جماد أو إنسان آخر، وإنما نرمز للقيم المشتركة في الإنسانيه، المذكورة في نصوص الأدباء، كما يقول جـان بلامان نوبل: ((إنّها ليست حكراً لعصر أو للغة أو لفـرد ولا للكتابـة وحـدها. فمصدرها غير قابل للتحديد واكتشافها لا يمكن له أن ينُسب إلى أمه وحدها بشكل واضح، وبكلمة نقول إنّها تنتمي مع كل المتغيرات المحتملة إلى الرصيد الرمـزي للإنسانية، بصفتها عرضة للتوظيـف مـن جديـد، للكتابـة ثانيـة، للاسـتعمال مجددًا...... إن هناك ارتياحاً حين تبدل المشبه بالمشبه به...... فالخطاب فـائض أبدياً بالدلالة التي يلتزم بها، دلالة لا تبلغ نهايتها، لا تنجح إلاّ بطريقة تقريبيّة فـي الوجود اليومي، وبطريقة مقبولة في سياق التقنية المفرطة بالرموز، حين نتـدخل مع من يتكلم، أو مع من يسمع في وسط هذه المرسلة المزعومة. يُرْيك ذلك كـل تأثير للغة المكرّسة مبدئياً للتواصل، فإن أقل إستعارة تعمل على نفي المعنى مـن بقية الرهان، التي يصعب إيقافها: كيف يمكن لها ان تكون حيادية))[116].

الرمز في قصص الأطفال.

يعرف الطفل كيف يتعايش مع الرمز، فاللعب لديه هو نشاط رمزي، وهـو خلاّق للخيال، وعن طريق هذا اللعب الرمزي، يملأ الفراغ بين الحقيقه والـوهم. فمثلاً يتخيل الطفل الدمية وكأنّها كائن حي، مع أنه يدرك أنّها ليست كذلك ويعرف أنّها لعبه، لكنه يتخيلها حيّة ويناقشها. ويستطيع الطفل أن يضفي قِيَمَـةُ الخاصـة، على كل ما يكتشفه لكي يعيش في عالم مجهول، يتوافق توافقاً سحرياً معه، ويجعله مطابقاً لإرادته، حينئذاً يصبح المجرد محسوس[117].

فالرمز هو من المؤثرات الداخلية في القصة، والتي تجعل الطفل ينشد إليها ويقرؤها بشغف، تبعاً لسدّها فراغا عنده، ويجب أن يتسم المرء هنا بالحـذر لـئلا تلتبس المؤثرات الداخلية بالموضوع. وقد شاع استخدام الرمز في قصص الأطفال وخاصة عن طريق الحيوانات، ويرجع ذلك كما تقول الفيصل إلـى: ((ضـعف ارتباط الطفل بالواقع، إلاّ أن استعماله يتطلب حذراً وحرصاً من الكاتـب، لـئلا

---

115 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٥٤.

116 نويل، جان بلامان، التحليل النفسي والأدب، ص٦٦، ط٢، بيروت، ١٩٩٩م.

117 جعفر، عبد الرزاق، اسطوره الأطفال الشعراء، ص٢١- ٢٩، بيروت، ١٩٩٢م.

يتحول إلى عملية ترميزية، يقول الكاتب عن طريقها ما لم يستطع قوله في كتاباته الموجّهه للكبار))[118].

((وقد لاحظ متخصص في أدب الأطفال((أن الصغار يحبون الخرافات الحيوانية، لأنها بسيطة وسهلة التذكر، ولأنّها حقيقة للإنسانية، إذ أن الحيوانات في قصصهم تتحلى بصفات الإنسان، فهي تتكلم وتفكر وتعمل، كما أنّها تمثل حالات مختلفة من الطبيعه الإنسانيه، فالأسد يصوّر أخلاق الملوك، والحمار يصوّر الغباء والعناد، والثعلب مثل للمكر، والأغنام للسذاجة، الذئب للجشع والتوحش تجاه العُزّل من المقاومة، وعديمي الحيلة، وضحايا الأقوياء والماكرين والمخادعين هم السدّج الضعفاء))[119].

وإننا نسر بلقاء الحقائق التي نعرفها مره ثانية، في صيغة قصّة، فتقديم الدروس التهذيبيه بصورة مستمرّة يمكن أن يؤدي إلى ملل الأطفال.

وفي المقابل اعترض كثيرون بالنسبة لقصص الحيوان، لأنها قد تظهر للأطفال عادات من السلوك والمعاملة غير المرغوب فيها، أو قد تكون القصّة ذات تركيز على القيم المعاصرة، وتظهر النتيجة السلبية للإهمال أو لعصيان القوانين الطبيعية والأخلاقية[120].

وتقول العناني: ((إن قصص الأطفال ليست مقصورة فقط على البنيه الفنيه، بما تتضمنه من لغة وموضوعات وشخصيات، بل هي أيضاً شكل خارجي يؤثر على الطفل ويشدّه إلى القصة، ومؤثرات داخلية، التي تساعد على تطوّر العالم الروحي للطفل، وتنمي قدراته على التفكير والشعور، كما إن مفهوم الأنسنة- وهي اكثر المؤثرات الداخلية استخداماً في قصص الأطفال- وهو ليس جديداً على الأدب العربي، وذلك مثل: كليلة ودمنه[121] وبعض قصص الجاحظ، إلاّ إن بعض القصص العربية الحديثة، حولّت مفهوم الأنسنة إلى عملية ترميزيه يقول كتّابها للأطفال عن طريقها ما لم يستطيعو قوله في كتاباتهم الموجّهة للكبار، لذلك ينبغي على كاتب قصص الأطفال أن يقدم قصصاً بسيطة، ويبتعد عن الإغراق في الرمزية، أن ذلك يحتاج إلى التفكير المجرد الذي لا يقدر عليه الطفل، كما انه قد

118 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٥٣- ٥٤.

119 نقلاً عن الحديدي، في أدب الأطفال، ص٢٢٠ James Reeves, Fables Aesop,

120 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٢١٩- ٢٢١.

121 يرى محمد النجار في كتابه، التراث القصصي، ص١١١ إن كليلة ودمنه من إبداع الثقافة العربية الإسلامية، وليس مترجم، كما أن انتماؤه للقصص العربي القديم جعل العرب أنفسهم لا يحفلون بالدفاع عن عروبته، وقد قال الهاشمي ، السيد أحمد ، جواهر الأدب ، ج٢، ص١٦٥ ، أنه لا بأس بهذا القول .

يستخدم كاتبان مفهوم الأنسنة استخداماً مختلفاً، احدهما يناسب الطفل والآخـــر لا يناسبه)) [١٢٢].

ومن ذلك يظهر لنا أننا نستطيع استخدام الرمز في قصص الأطفال بشـــرط أن يتناسب مع قدراتهم الإدراكية.

عبد التواب يوسف والرمز:

يرى عبد التواب يوسف إننا نلجأ إلى الرمز في القصة لأسباب عدة، منها تضمينها لأحداث طريفة، وإضافة أبعاد جديدة لها، أو أشياء مبهرة للأطفال. ولابد من أن يسأل الكاتب نفسه أنه: هل من الضروري أن أرمز في القصة التي يريد أن يكتبها للأطفال وما جدوى ذلك. ويقول: ((إننا قد نلجأ لقصص الحيوان خوفاً من السلطان- كما فعل ابن المقفع- لكن ذلك لا يجدي كثيراً في مجال أدب الأطفال....)) فيناشد كتاب أدب الأطفال ((بأن يوضحوا أنفسهم، وأن يبتعدوا على قدر ما يستطيعون عن الغموض، والرمز، والاسقاط، وهذا بالطبع لا يعني التبسيط إلى درجة الضحالة، أو أن نخاطب الأطفال على أنّهم متخلفون، إذ يدركون بحسهم مدى احترام الكاتب لذكائهم وفطرتهم، وهم يرفضون بحدّة معاملتهم على أنّهم أغبياء وبلا خلفية. ويضيقون بإلحاحنا عليهم بالمغزى والهدف والأخلاقيات والتربويات. وقد عبّر عن ذلك صلاح جاهين في رسم كاريكاتيري جميل، للكبار، يلقي فيه طفل بكتاب قائلاً:

- اكتشفت أنّه كتاب تربوي!!)) [١٢٣].

فعبد التواب يوسف يرى أن تكون قصص الأطفال واضحة، وأنه قد نلجأ إلى الرمز إذا كان في ذلك فائدة، أو أنه سيقرب المعنى المراد ايصاله للأطفال بشكل أوضح وأيسر، ولكن إذا لم يكن مفيداً لهم أو بلا جدوى فلا داعي لاستخدامه.

---

[122] العناني، حنان عبد الحميد، أدب الأطفال، ص١١٤.

[123] يوسف، عبد التواب، " حول أدب الأطفال في الخليج العربي"، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية، ص٥١، البحرين، ٥ ديسمبر ١٩٨٥م.

حكماء العرب القدامى والرمز:

وقد استخدم الحكماء العرب القدامى الحيوان رمزاً للحكمة، وقد تنبهوا لشريحة الأطفال من بين الطبقات في المجتمع، وكان من المعتاد أن يقرأ الأطفال في كتب الكبار ويستوعبونها، وكانت لهم مربيّه ومسلية، يقول عبد التواب يوسف: ((وليس من باب الفخر أن ندلل على سبقنا للعالم في مجال الأدب عامه، وأدب الطفل خاصة،بل إن ذلك من قبيل الالتزام بالعلم والموضوعيه. وهذا السبق الذي نقدمه، وثيقه ودليلاً عليه....... وهاهي الوثيقة التي أشرت إليها:

جاء في كتاب الأسد والغوّاص الذي كتب في القرن الخامس الهجري، وأعاد الدكتور رضوان السيد طباعته ونشره، ما يلي ((إن الحكماء جعلوا الحكمة ضمن الأخبار، وعلى ألسنة الحيوانات، وفي أثناء الحكايات، لتخفف عن القلوب وتهش إليها الأسماع.. وزخرفوها بالصور المونقة. والأصباغ الرائعة، استجماماً لنفوس الحكماء عند الملل، وترويحاً لقلوب العلماء عند الضجر، لأن محمل الجد ثقيل، وطريقه شاق بعيد.. وكان ذلك مهماً كفعل الطبيب الرفيق، الذي يدفن الدواء في بعض ما تشوق النفس إليه من الغذاء، وخدعة لنفوس الصبيان والأحداث، ليميلو إلى استظراف الخرافات، لأن نفوسهم متطلعة إلى نوادر الأخبار، تثبت معها الحكمة في صدورهم، وتلج في قلوبهم، ويرسخ العلم في نفوسهم، كالصيّاد الذي يطرح الحبّ خدعة للطائر لا للعلف، بل لغرض آخر، غير مبدو منه، ولا بأس بالخديعة، إذا أدت إلى الصلاح والمنفعة – ثم يعلق عبد التواب على هذ النص– بقوله: هذه العبارات– التي كتبت في القرن العاشر الميلادي– تكشف لنا، أن أجدادنا العرب، قد نبهوا لأدب الأطفال وثقافتهم، إذ هي تشير إلى الحكمه والأخبار على ألسنة الحيوانات وفي أثناء الحكايات.. بل نبهوا إلى الرسوم والألوان، في هذا التاريخ السابق على الطباعة، فأشاروا إلى هذه الحكايات وزخرفوها بالصور المونقه، والأصباغ الرائعة، وذلك خدعة لنفوس الصبيان والأحداث، وقد تنبهوا لكل هذا قبل هانز أندرسون بنحو عشرة قرون.

من يقول إذاً بأنّه الرائد الأول لأدب الأطفال عالمياً؟ إننا نقر بفضله ونعترف بجميله، لكننا نقول أن جدودنا قد سبقوه إلى فن الكتابة للأطفال، وتقديم الأخبار والحكايات إليهم، من أجل أن تثبت معها الحكمه، ولكي يرسخ العلم في صدورهم.. أي أنّهم قدموا الحكايات من أجل التربية أولاً، والعلم والمعرفة ثانياً)).[١٢٤]

---

[124] يوسف، عبد التواب،" خريطة أدب الأطفال عالمياً وموقع الوطن العربي عليها"، ثقافة الطفل واقع وآفاق، ص٥١.

وفي النص إشارة إلى استخدام الرمز لتقريب الحكمه، التي قد تتضمن القيم والمبادئ الفاضله إلى النفوس، ومن بينها نفوس الأطفال، فيتقربوا إلى الحكم، ويتربوا على منوالها بطريقة غير مباشرة ومشوّقة.

وقد أراد عبد التواب يوسف أن يشير إلى سبق القدامى، إلى هذا النوع من الأدب للأطفال، وأورد النص كوثيقه دليلاً على هذا السبق.

والرمز في قصص الأطفال له شروط :

- أن لا يغرق الكاتب في الرمزية ويربك الطفل بهذا الاغراق، فلا يستطيع أن يدرك المغزى أو الهدف من عملية الترميز.
- ان تكون عملية الترميز هادفة ذات مغزى أخلاقي تربوي وليس أن يدس الكاتب من خلاله ما لم يستطع أن يكتبه للكبار – كما قد مّر في السابق–.
- ان يكون مستوى الرمز مناسبا لمستوى النمو الإدراكي لدى الطفل.
- ان تكون عملية الرمز طريفة ومشوقه تجذب الأطفال إليها وإلى مغزاها، بسهولة

والفائدة للرمز هنا أن لا يكون هناك أسلوب وعظ ونصح مباشر، مما ينفر الأطفال منه، كما يقول الحديدى: ((إن تقديم الدروس التهذيبية بصورة مستمرة، يمكن ان يؤدي إلى ملل الأطفال)).[١٢٥]

كما أن عملية الرمز المجدية، تشحذ وتخصب من عملية الخيال المنظّم لدى الطفل. وتنقل العمل أمامه من الرتابة والجمود إلى الحيوية والحركة. مما يؤدي إلى متعة الطفل بهذه الحيوية والحركة التي تلائم نموه الحركي أيضاً.

[125] الحديدي، على، في أدب الأطفال، ص٢٢١.

البنان [١٢٦]

وهي قصة من سلسلة: حكايات قرآنية معاصرة، وتبدأ القصة بالفعل الماضي:

((جاء مستر وليمز إلى مصر، واستقرّ بالقاهرة.. كان ذلك بعد أن احتل الإنجليز بلادنا، وراحوا يحاولون السيطرة على كل شئ.. وكان الأمن في المقدّمة.. لذلك جاؤوا بهذا الرجل الخبير ببصمات الأصابع، ولها دورها الكبير في تلك الظروف.. هم يريدون أن يعرفوا بصمات أصابع الوطنيين. في البداية كان مستر وليمز ضيّق الصدر بكل شئ حوله، وما كان شئ يرضيه، بل راح ينظر شذراً للناس والبيوت والشوارع، ولكل ما تقع عليه عينيه، وقام بأداء عمله في رتوب، وبشكل تكراري يدخل عليه الواحد منا ويحيه:

- سلامٌ عليكم.
- ضع بصمتك هنا.

ويقول له شخص آخر: صباح الخير.

- إصبع الإبهام في هذا المكان.

ولم يكن يرفع رأسه ليتطلع إلى القادمين، فهم لا يهمونه في قليل أو كثير.. قد يكونون من الوطنيين الذي يُزجُّون بهم في السجون، وربّما هم أُناس قضّوا مدّة العقوبة، ويُفرجون عنهم، وهو لا يحتفي بهم، ولا يرد تحيتهم.

وفي أدب شديد نبّهه مساعده المصري الذي اختاره له قال له:

- أراك لا تردّ تحيّة القادمين إليك؟
- بل أردها.
- كيف؟
- التحية الحقيقية ألا أعَطّله.
- هذا لا يكفي.
- وقتي لا يسمح بأكثر من هذا.
- دائماً هناك وقت لتقول: أهلاً وشكراً.

ويُنهي مستر وليمز الحديث، ويعكف على هوايته التي يعيش فيها منذ التحق بهذا العمل في قسم البصمات في وزارة الداخليه في إنجلترا. ومنذ جاء إلى

---

[126] يوسف، عبد التواب، البنان، دمشق، ١٩٩٩م.

مصر والقاهرة معه عدساته التي يفحص بها البصمات.. كان يريد مرّة أن يكشف عن بصمتين متشابهتين.. ولم يحدث ذلك قط)) [١٢٧].

يتابع هذا الخبير عمله محاولاً الكشف عن بصمتين متشابهتين ولكــن دون جدْوى. والمساعد المصري يراقبه، ويبتسم، وجاء رجل آخر ليضع بصماته وألقى التحيه ولم يردها الخبير، فتطلع الرجل إلى مستر وليمز هامساً: (وإذا حييُتّمَ بتحيه فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها)[١٢٨]، ((ولم يفهم الكلمات جيداً، وبعــد أن انصــرف الرجل، سأل مستر وليمز مساعده عن معنى ما قاله، فشرحه له، وقال لــه: إنّهــا آيات واردة في القرآن الكريم.

سأل: وأي شيء في هذا القرآن.

- فيه كل شئ.
- كل شيء؟ هل فيه شئ عن البصمات؟

– نعم. قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم(أيحسبُ الإنسان ألــن نجمــع عظامه، بلى قادرين على أن نسوّي بنانه) [١٢٩].

طلب مستر وليمز من مساعده أن يُفسّرَ له الآيتين، فأفــاض الشــاب فــي حديثه، فقد قرأ في الأزهر الشريف. عند ذلك سأله مستر وليمز أن يأتيه بــالقرآن الكريم)) [١٣٠].

وأخذ مستر وليمز يتعلم القراءة، من خلال الآيات الكريمه التي تتحدث عن البنان، وقد أذهل واندهش، عندما علم أن القرآن نزل من قبل ثلاثة عشر قرناً،ذلك الوقت ويسأل الخبير مساعدَه: أليس ذلك مذهلاً؟ إنني في دهشة كيــف لا يطيــر صوابك هذا الذي تقوله.. كان المساعد هادئاً وديعاً وهو سأله:

- هل تستكثر على خالق البنان أن يشير إليه؟

سكت مستر وليمز، مسحوراً بعبارة مساعده، ومن وقت لآخر ينظر الخبير إلى القرآن الكريم ويناقش ويسأل عن معاني بعض الكلمات وبعض الآيات، وأخذ لا يفتأ يردد الآيه: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) .

((وذات صباح قال مستر وليمز لمساعده: أنا سعيد بكتابكم هذا.

---

127 يوسف، عبد التواب، البنان، ص٦.

128 سورة النساء، آية ٨٦.

129 سورة القيامة، آية (٣،٤).

130 يوسف، عبد التواب، البنان، ص١٠.

- أنه ليس كتابنا وحدنا.. إنّه كتاب للعالمين.. لكل إنسان.. في كل زمان.. في كل مكان، بدأ مستر وليمز يتغيّر. إنّه يردّ على القادمين تحيتهم.. ما إن يسمعها حتى يبادر بالردّ بلطف ورقة:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

اندهش المساعد قليلاً، ولكنه لم يعقب ولم يعلق، وظلّ يراقب مستر وليمز، وإذا به يكتشف أنّه يبدأ عمله كل يوم بقوله:

- بسم الله الرحمن الرحيم(بلى قادرين على أن نسوّي بنانه) .

وذات يوم التفت إلى المساعد، وقال له: هذه الآيه الكريمة تؤكد شيئاً هاماً.

- ماذا تقصد؟
- هذا القرآن معجزة لا يقدر عليها بشر.
- نحن نؤمن بهذا.
- وأنا أيضاً.. خذ بيدي أرجوك.. فإنني أريد أن أنطق بالشهادتين.

وصحبه المساعد إلى الأزهر الشريف حيث قال بإيمان عميق:

((أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وسمّى نفسه بناناً)) .

نلاحظ من القصة تأثير البيئة الاجتماعيه التي عاشها عبد التواب يوسف وأثرت عليه وعلى كتاباته للأطفال، فقد عاش عبد التواب في بيئة محافظه وكان أبوه معلماً ومتديناً، بالإضافه إلى كونه رجلاً وطنياً قاوم الاحتلال، يقول عبد الفتاح أبو مدين عن والد عبد التواب، ((ويتم حفظ القرآن في ثلاث سنين، ويقرأ تاريخ بلاده، وجهاد زعمائها ضد المستعمر، ويتابع نضالها، ويشارك فيه.... ويتعرض للفصل والطرد، ولزوم قريته قسراً، ويمضي يجاهد ويعلمّ ويزرع حب الوطن في تلاميذه)).[١٣١] وطناً عربياً مسلماً.

وقد أثرت هذه البيئة على الكاتب، إننا نلمس ذلك من قوله: ((ولم يكن يرفع رأسه ليتطلع إلى القادمين، فهم لا يهمونه في قليل أو كثير.. قد يكونون من الوطنين الذين يزجون بهم في السجون، وربما أناس قضوا مدة العقوبه، ويفرجون عنهم وهو لا يحتفي لهم، ولا يرد تحيتهم))

توحي لنا هذه العبارة وتشير إلى وطنية المؤلف، واستيائه من الاستعمار الذي ظل فتره من الزمن مقيداً بلاده.

---

[131] يوسف، عبد التواب،فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٢.

وقد استغل المؤلف وقوع هذه الحقيقة، ليجعلها قصة للأطفال، يرمز بها إلى قوّة الحق، بكلّ بساطة، فالرجل الذي أتى إلى بلاده، وكان من ثقافة مختلفة وكـان ينظر إلى المجتمع الذي أتى له بعين الازدراء. ولم يكن يكترث بمن حوله مـن الناس، استطاع المؤلف أن يرسم صورة منقره للأطفال عن هذه الشخصية التي لم تكن لطيفة، فهو يظن كما هو الحال في الواقع أنّه الأفضل والأكثر علماً وفهمـاً، ومن حوله هم أناس بسطاء جداً سدّج، فقراء. لا يعلمون إلآ كيف أن يجلبوا لقمـة العيش. ويفاجأ بأن هذ الشخص البسيط جداً، هو أكثر منه علماً فيما هو متخصص به منذ سنوات، وذالك عن طريق القرآن الكريم، وكأننا بالآيه القرآنيـة: ((فمـن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)) [١٣٢].

وعبد التواب بهذه القصة يرمز للأطفال بعظمة القرآن الكـريم واعجـازه، الكتاب الذي أنزل على نبينا من قبل أربعة عشر قرناً، وأن العارف به حافظـاً أو قارئاً أو مثقفاً فيه هو ملماً بأمور كثيرة، وحتى آخر الاكتشافات العلمية أنه يـربط الطفل بالقرآن برابط وثيق.

والرمز هنا رمز بسيط غير مركب أو معقد، الشئ الذي يتناسب مع الطفل وقدرته فهو يستطيع أن يلتمس هذا المعنى المراد من خلال أحداث القصة.

ومستر وليمز والمساعد المصري، يرمزان في القصة إلى الحال السياسـي الذي كانت عليه البلاد خلال الاستعمار، المُستَعْمِر المتعجرف المتسلّط الذي يشعر بقوته الماديه، ويظن أنّه الأقوى دائماً، والمُستعْمَر: المغلوب على أمره كما في هذه القصة ورغم بساطته فهو قوي بدينه وبكتاب الله فهو سلاحه لأنـه كمـا يقـول المؤلف((كتاب للعالمين.. لكل إنسان.. في كل زمان.. فـي كـل مكـان)) [١٣٣]، فالقرآن الكريم رمزٌ للقوة، للحجة الدامغة، للمعجزات العلمية في كل وقت وفي كل مكان.

ويستشهد المؤلف بالآيات القرآنية في قصص هذه السلسلة حكايات قرآنيـة معاصرة، مما يقرب الطفل القارئ إلى فهمها واستذكارها من خلال أحداث قصـة وردت فيها الآية، فترسخ في ذهنه أكثر مما لو يقرآها دون أن يفهم معناها.

فالآية الكريمة في القصة(بلى قادرين على أن نسوي بنانه) يستطيع الطفل أن يفهم المراد منها والإعجاز العلمي المذكور فيها عن طريق القصة، اكثر مما لو شرحت له وفُسرت. وهو في هذا السن.

---

132 سورة البقرة، آية ٢٥٦.

133 يوسف، عبد التواب، البنان، ص١٣.

الصنم الكبير [١٣٤]

هذه القصة من سلسلة: حياة الخليل إبراهيم عليه السلام، وهي كبقية قصص المجموعة تتحدث عن حدث من أحداث الخليل إبراهيم عليه السلام. وتبدأ كل قصة بآيات من القرآن الكريم، عن هذه الحادثة التي سيحكيها عبد التواب يوسف بطريقة مشوّقة، فهو يستخدم الجمادات والحيوانات والطيور لتتحدث عن نفسها في ذات الحادثة، مع ذكر تسلسل الأحداث كما جاءت في القرآن الكريم، وفي قصص الأنبياء عليهم السلام. وتبدأ القصة بالآيات التاليه: بسم الله الرحمن الرحيم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظلمين. قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظلمون)[١٣٥]. صدق الله العظيم .

وتبدأ القصة ببداية مفاجئة تشد انتباه الطفل:

((أنا صنم، ولست صنماً عادياً، بل أنا كبير الأصنام، أي كبير الآلهة.

أعرف أنّ كلا منكم يقول: أعوذ بالله.. استغفر الله.. لا إله إلاّ الله، الواحد القهّار.. إنّه خالق كل شئ: الدنيا، والبشر، والحيوان، والجماد، وأنا منهم.. نعم، لقد خلقني الله مجرّد قطعة من الصخر، أو الحجر، أو الخشب.. ولكن أيدي البشر هي التي صنعتني، وسّوتني أنا وزملائي بقية الأصنام. وعُقُولهُم الضيّقة هي التي صوّرت لهم أننا آلهة تنفع وتضر، نعطي ونمنع، ولذلك عبدونا، وصلُّوا لنا من دون الله، وأنا شخصياً، رُبَّما يكون آزر والد إبراهيم عليه السلام، هو الذي صنعني، وربما صنعني شخص آخر.. لا أدري، والحقيقة أنني لا أدري من أمر الدنيا، ولا من أمر نفسي شيئاً.. ولكني أتصوّر أن آزر هو الذي صنعني، لأنه كان أبرع من يصنع الأصنام، وينحتها، ويسوّيها في صورة فتّية جميلة، وكان يدعو الناس بعد ذلك إلى عبادتها أو شرائها ليحتفظ كلٌّ منهم في بيته بإلهٍ خاص يعبده متى أراد، وربّما غضب أحدهم على هذه الآلهة لأنّه دعاه أن يرزقه في صيده، فإذا به يخرج ويعود خالي اليدين، فلا يجد أمامه إلاّ الصنم، يُلقيه على أم رأسه، فيسقط حطاماً.. إنه إله مضحك، لا يستطيع أن يحمي نفسه من عبيده!)) [١٣٦].

---

[134] يوسف ، عبد التواب ، الصنم الكبير ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

[135] الآية الأنبياء، ٥٩، ٦٤.

[136] يوسف، عبد التواب، الصنم الكبير، ص٢- ٣- ٤- ٥.

يجعل المؤلف الصنم هو الشخصية الأساسية التي تتحدث عن نفسها وعما حولها يدور، وكأنما هو الراوي يروي قصة واقعه له. ولكن هذه الشخصية جماد لا حول له ولا قوة، من الحجر نحته آزر والد إبراهيم عليه السلام أو آخر، ونطلق على ذلك مفهوم الأنسنة، وهو أن يكون الجماد له صفات من صفات الإنسان، فهو يتحدث ويتحاور مع عقول الأطفال وكأنما يرى ما يدور حوله ولكنه((مجرد جماد لا يحس ولا يشعر)) كما في القصة، ويروي هذا الصنم حكايته مع آزر صانع الأصنام الذي ظلّ يؤمن بها رغم دعوة ابنه إبراهيم له ليعبد الله وحده. كما جاء في آيات القرآن الكريم. والكاتب يضمن أحداث القصة آيات من القرآن يستشهد بها حيناً ويجعلها من سياق أحداث القصة، وهي طريقة جيدة ليألف الطفل قراءة القرآن، وفهم ما جاء به من قصص وعبر، وهي طريقة تعوّده على استخدام ألفاظ القرآن السليمة، وعباراته المتناسقه، فلا يكون عليه ذلك – بعد فترة من الزمن – غريباً أو صعباً.

يتابع الصنم الكبير سرد الأحداث، وكيف أن الكثير رفضوا دعوة إبراهيم عليه السلام. وظلّوا يعبدون الأصنام. والراوي كبيرهم الذي يقول: ((وكنت أنا بالذات موضع الحفاوة والاحترام، وكنت أتلقى صلوات أكثر مما يتلقى زملائي، ويعلمُ الله أني ما قدرت مرةً على سماع شئ من الدعاء، وما استطعت أن أحقق أمراً، ولا لنفسي.. ويكفي أني بلا عقل، وكنت أدْهَش أن يعبدني بشر، وضع الله لهم في رُءُوسهم عقولاً.. ولكن كان واضحاً لي أنّهم لم يحسنوا استخدامها ولم يفيدوا منها بالقدر الكافي، على أيامي، ومن بعدي أيضاً.. فكثيرون من البشر استعاضُوا من الأصنام أشياء أخرى، صمَّاء أيضاً، وراحوا يعبدونها.. حتّى بعد أن تقدم الإنسان، وجاء الأنبياء، وبعثت الرسل.. ولا تدهشوا إذا قيل لكم إن صنماً كبيراً جاء بعدي بألوف السنين، اسمه الدينار.. وآخر اسمُهً: الدولار.. وإن الناس عبدوهما أيضاً من دون الله))[١٣٧].

وفي هذا الجزء من القصة مغزى هام رمى إليه الكاتب من وراء احداث القصة، وهو أن البشر الذين خلق الله لهم عقولاً يفكرون بها ليتعرفوا عن طريقها على الطريق المستقيم ويبتعدوا عن الطريق المنحرف_ على العكس بهم_ استخدموا هذه النعمة العظيمة في معصية الخالق، وفكرّوا بهذه العقول أن يصنعوا أصناماً ويعبدوها، وهي موجودة في كل زمان، وان اختلفت هيئاتها عن بعضها البعض، فهي قديماً صنم من حجر وخشب، وبعد ذلك – كما لفت إلى ذلك المؤلف

[137] يوسف، عبد التواب، الصنم الكبير، ص٧.

- هي الأموال، صنعها الإنسان من جماد معدن أو ورق، ثم جعلها تسيره بدلاً من أن يسيرها في طاعة الخالق، الذي أوجده لعبادته وأرسل إليه الرسل من فترة لأخرى حتى يذكره برسالته التي خلقه من أجلها.

هذه المعاني من القصة يستطيع طفل التسع فما فوق أن يستشفها من القصة هذه وستغرس في نفسه قيماً أخلاقية إيجابية، وسيبدأ يقارن بين صنم الماضي وصنم الحاضر، ليبتعد عما فعل به من صنعوه، وليستخدم هذا العقل فيما هو إيجابي.

يتابع الصنم الكبير أحداث قصته مع إبراهيم عليه السلام والناس الذين رفضوا دعوته ولم يؤمنوا بالله وحده. وكيف انهم ظلّوا يعبدون الأصنام ويسألونها وفي كل مرّة يرجع الكاتب بعبارة أو بأخرى على لسان الصنم يهوّن بها من شأن نفسه وأنه لا حول ولا قوة، وان الناس هم من صنعوه وعبدوه من دون الله، مع أن هذا الجماد يسبح الله، ولكن لا نفقه تسبيحه.

وذات مرّة خرج أهل بابل كلهم للاحتفال بالعيد، إلا إبراهيم عليه السلام واعتذر بمرضه، وقبل أن يغادروا المكان جلبوا القرابين، ووضعوها أمام الأصنام لتباركها كما يعتقدون فيقول الصنم: ((ومضى بعض الوقت ورفرفت الطيور تخطف من الطعام الذي كنا نباركه، فلم نستطع حتى أن ندافع عنه ونحافظ عليه)) .

ولم يكن إبراهيم عليه السلام يأتي إلى هذه الأصنام، وبعد إن ذهبوا الناس حمل إبراهيم طعاماً بسخريه يقدمه للأصنام يقول لهم كلوا.. لماذا لا تأكلوا ثم أمسك بالفأس وانهال عليهم ضرباً حتى حطمهم كلهم إلآ كبير الأصنام- راوي القصة. فقد علّق الفأس على رقبته، وبالطبع كانت المفاجأة شديدة حينما رأى الناس ما حصل لآلهتهم وقد جلبوا إبراهيم وسألوه، كما في آيات القرآن الكريم: من فعل هذا بآلهتنا؟ ((أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

وأشار إبراهيم ناحيتي وقد وقفت منتصباً، لا حول لي ولا قوة والفأس في رقبتي، وتطلع إليّ الجميع كأنما يريدون منّي أن أتكلم.. أن أنطق.. أن أدفع عن نفسي هذه التهمة. وبالطبع لم ينالوا مني غير الصمت المطبق!

وصاح أحدهم: كيف نسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق؟

قال: (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون؟) ولم يجد أهل بابل حجّة يردّون بها على إبراهيم عليه السلام، لقد هزمهم.. وأسكتهم.. وأفحمهم.. فبقوا

صامتين بعض الوقت، يفكرون في وسيلة ينتقمون بها منه.. لقد فشلت الحجة ولا سبيل إلاّ القوة.

صاح واحد منهم: لنلق به في النار..)) [١٣٨].

وبهذا تنتهي القصة، وتأتي تكملتها في قصة البعوضة الرهيبة، وإن كانت النهاية في هذا الجزء ليست مرضيه لطفل المغامرات والبطولة. فهو يحب أن يرى بطله في القصّة منتصراً، وكان من المفيد لو ختمت القصة، بكيف أن الله سبحانه وتعالى قد نصر نبيه بعد أن ألقاه نمرود في النار، وقال لها خالقها : (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) [١٣٩] ولم تضرّه هذه النار الهائله التي أشعلوها لينتقموا ممن حطم آلهتهم وأدحض حجتهم بل كانت برداً وسلاماً على إبراهيم. ثم ختمها بالآية، وإن كانت السلسلة مكملة لبعضها البعض.

وأراد الكاتب بهذه القصة أن يبرز لهم من خلال الأحداث ومن خلال الشخصية الرئيسيه في القصة وهي شخصية الراوي وهو الصنم الكبير، أن يقول للأطفال، إن الإنسان صاحب عقل خلقه الله له، ليتعرف ويتقرب إلى الله أكثر ويتعرف إلى عجائب صنعه في خلقه، لكن الناس ينحرفون عن هذه الطريق مستخدمين للأسف هذا العقل الذي خلقه لهم فيصنعون الأصنام ويعبدونها من دون الله، وينحرفون عن الهدف الذي خلقهم الله من أجله وهو عبادته في هذه الدنيا بما يرضيه. وقد كانت المقارنه بين هذا الصنم والدولار والدينار جيّدة في القصة فوجه الشبه متقارب بينهما فهما من جماد والإنسان هو الذي صنع هذه الاشياء التي أنعم الله عليه بها فإمّا إن يسخرها في طاعة الله وعبادته، وإما أن يستخدمها في معصيته ومخالفة ما خلق من اجله. وكان مفيداً لو كان هناك تعليق على وجه الشبه هذ وأن الحجر والدينار والدولار من النعم التي خلقها الله ليرى كيف نستخدمها.

والكاتب في القصة متأثرٌ كثيراً بالقصة في القرآن الكريم ثم قدّمها بطريقة مبتدعة ومبتكرة للأطفال واستطاع أن يقدم جزءاً من أحداث القصة، من آيات القرآن وهي الاجزاء المفهومة ألفاظها ومعانيها للأطفال. وهو أسلوب مفيد جداً في التقريب بين النشء وبين فهم آيات القرآن الكريم.

---

[138] يوسف، عبد التواب، الصنم الكبير، ص١٧.

[139] سورة الأنبياء، آية ٦٩.

الديك الساخر [140]

وهي قصة لعبد التواب تحكي عن شخصيتين أساسيتين فيها، ثالثهما الرجل الذي يدهن المنزل. والقصة كما في كتاب الهرفي.

كان هناك رجل يدهن المنزل بطلاء أخضر، وديك ودجاجة يلعبان بجوار المنزل، الديك والدجاجة يقتربان من الدهان ويلعبان به.

الرجل يصرخ قائلاً: ابتعدا.. ابتعدا وإلاّ أكلت لحمك أنت وتلك الدجاجة. يبتعدان، وكلّ منهما ينظر إلى الآخر بدهشة..

الديك يضحك ويقهقه.. والدجاجة تنظر إليه في تعجب..

الديك يستمر في الضحك.. والدجاجة مندهشة وتسأله عن سرّ ضحكه.

الديك يسخر من الدجاجة لأن ريشها به بقع من الطلاء الأخضر. الدجاجة تذهب إلى حوض من الماء لترى صورتها، ثم تلتفت إلى الديك قائلة: لا أجد ما يضحك!!

الديك يستمر في سخريته من الدجاجة ويقول: ألا تري البقع الملونة على ريشك؟ لقد أصبح شكلك مضحكاً.

الدجاجة ترد على الديك قائلة: تعال وانظر إلى شكلك وسترى بقعاً أكبر!!

الديك ينظر إلى شكله في حوض الماء ويجد مفاجأة مذهلة: ريشه أيضاً به بقع من الطلاء الأخضر.

الدجاجة الطيبة بدأت تنظف ريش الديك، والديك في خجل.

الدجاجة تقول له: لا تهتم فسيعود ريشك جميلاً.

الديك يقول: أنا آسف أيتها الدجاجة الطيبة.

الدجاجة: شكراً أيها الديك الكريم لأنك تعترف بالخطأ.

الديك: لن أسخر من أحد بعد ذلك، فقد نضحك ونسخر من الآخرين، لعيب نراه فيهم، وربمّا يكون هذا العيب فينا ونحن لا نراه.

الدجاجة: ولكن هذا لا يعني أن لا ننصح الآخرين إذا رأينا فيهم عيباً نتمنى إصلاحه، ولكن برفق وهدوء.

الديك: صدقت أيتها الدجاجة.

الدجاجة: ليس عيباً أن نخطئ، المهم أن نتعلم من أخطائنا ولا نكررها.

---

140 القصة، نقلاً عن د. الهرفي، محمد علي، أدب الأطفال دراسة نظرية تطبيقية، ص١٥٣، الاحساء، ١٩٩٦م.

الديك: وأهم من ذلك أن ننشغل بمعرفة عيوبنا وإصلاحها لا أن ننظر إلى عيوب الآخرين ونسخر منها.

الدجاجة: كما أن السخرية من الآخرين لها عيوب كثيرة فهي تغضبهم وتسئ إليهم. وقد يكون الذي نسخر منه أفضل منا عند الله.. وعند الناس.

ويُعلق د.الهرفي على القصة: ((إن هذه القصة ومثيلاتها من قصص الحيوان تهدف إلى نقل معنى تهذيبي أخلاقي يراد إيصاله للأطفال كي يتأثروا به ويسيروا على منواله. والحيوانات في هذه القصص تقوم مقام الإنسان في الحركة والحياة والنقاش، والطفل ينجذب إلى هذا الحوار، ويتفاعل معه ويتأثر به أكثر بكثير مما لو كانت شخصيات القصة من الآدميين.

والقصة تهدف إلى تعليم الأطفال أن لا يسخر بعضهم من بعض...... والمؤلف قد يكون من الظاهر- إنه أخذ هذه القصة من فهمه لقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهن)) [١٤١].

والقصة بهذا الحوار الممتع القصير الذي صاحبته صورٌ معبّرة أدت الهدف الذي أراده المؤلف[١٤٢].

أما عن الرمز الذي في هذه القصة. فهو أشبه ما يكون بالرمز في كتاب ابن المقفع، في كليلة ودمنة، وهو ضمن الفن الأدبي الذي يلعب فيه الحيوان دوراً إنسانياً وقد تحمل القصة مغزاً أخلاقياً أو درساً اجتماعياً أو هدف تربوياً، وهو في القصة هذه معزىً يتلائم ومستوى مرحلة الطفولة، فالدرس الأخلاقي والاجتماعي والتربوي واضح جليٌّ فيها بطريقة بسيطة، يستطيع الطفل أن يستظهرها من خلال القصة، فهي في معناها العام ترمز إلى قيم أخلاقية إسلامية كـ : عدم إزعاج الآخرين، والتصرف بطريقة لائقه نحو إفراد المجتمع، ثم أن اللعب شئ ممتع ولكن له شروطه، وأيضاً تدعوا إلى الابتعاد عن صفات سيئة قد تتخلل لعب الأطفال، وهي السخرية من الآخرين وعدم احترام مشاعرهم وأيضاً تدعوهم إلى أن لا ينظر الفرد إلى الآخر على أنه أقلّ منه مهما كان الذي أمامه، عسى ان يكون الآخر أفضل منه عند الله، ثم الاعتراف بالخطأ لأننا بشر خطاؤون وأن في الاعتراف به فضيله، فيتشجع المخطئ ان يعترف بخطأه ومن ثمّ يستطيع الاعتذار فالإصلاح للخطأ، حتى لاتشيع الأخطاء وتوابعها بسبب عدم الاعتراف بها،وأيضا تدعوهم إلى الإفادة من أخطائهم ،وبالتالي يتنبهون فلا يقعون فيها مرة أخرى .

---

141 سورةالحجرات ، آية ١١.

142 الهرفي، محمد علي، أدب الأطفال،ص١٥٥.

كل هذه المعاني إذا ما لقناها الطفل بطريقة الدرس الوعظي ولـو تكـرراً ومراراً، فلن يجني ثمارها إذا ما كانت بهذه الطريقة الجافه بالنسبه له على الأقل، وهي من خلال القصة سائغة له ويستطيع أن يستشعر المعاني التي بها، والمغزى الذي تحمله، فيستحسن الحسن فيها ويبتعد عن السئ منها، وهي طريقـة أجـدى بكثير مما لو كان على طريقة النصح والإرشاد المباشر، التـي لا تجـدي شـيئاً بالنسبة للطفل، فبالكاد يستذكر منه شيئاً بعد فتره وجيزة من الوقت.

أما القصة فسيعيش في أحداثها ومع شخصياتها وخصوصاً إذا مـا كانـت شخصيات ملفته له ومحببه إليه، فذلك شئ سيجعله يتفاعل اكثر مع معاني القصـة فيحملها دائماً معه في مخيلته الخصبة.

فالديك هنا يرمز إلى الفتى المغرور، والدجاجة إلى الفتاة رقيقة المشـاعر، والديك كما هو حال الصبية هو من يبدأ بالمشاجرات والسخريه لأنه يشعر أنـه لا يخاف كما في القصة. على عكس طبيعة الفتاة. التي تكون أكثر خوفاً ورقة يظهر من النص ما يرمز إليه بالديك والدجاجة: ((الديك يضحك ويقهقه والدجاجة تنظر إليه في تعجب)) والدجاجة تذهب لتنظف ريشه بعد أن رأى أنه هو أيضاً ملطـخ بالدهان، وتؤثره على تنظيف ريشها أولاً، كما تفعل الأخت وثـم تتجـاذب معـه أطراف الحديث المفيد الممتع، الذي يحمل في معناه رموزاً لقيم أخلاقيـة تربويـة إسلامية، فتقول له بعد ما ضحك عليها وسخر منها، ثم رأى أنه مثلها بل اكثـر : ((لا تهتم فسيعود ريشك جميلاً)) فيتأسف لها ويعتذر، فتقول له: ((شكراً أيهـا الديك الكريم لأنك تعترف بالخطأ)) وهذا النص الصغير سيثير دهشة الأطفال عند سماعه فهم دائماً قد يتخيلون أن من يخطأ إما أن يعاقب أو أن لا يُسامح ويُغفر له زلّته ولكن إذا ما سمع كلمة أن شخصية الديك كان كريماً حينما اعتـرف بخطـأ فسيبدأ بالتعرف على هذا الخصلة ثمّ قولها: ((ولكن هذا لا يعنـي أن لا ننصـح الآخرين إذا رأينا فيهم عيباً نتمنى إصلاحه، ولكن برفق وهدوء)) ثم قول الـديك: ((وأهم من ذلك أن ننشغل بمعرفة عيوبنا وإصلاحها لا أن ننظـر إلـى عيـوب الآخرين)).

في كل نص من النصوص السابقة آية أو حديث يرمز إليه النص أو حكمة أو مثل، كالمثل : (لا تنه عن خلق وتأتي مثلـه)[١٤٣] وقولـه صـلى الله عليـه وسلم((من رأى منكم منكراً فليغيره.........[١٤٤] وأيضـاً إلـى قولـه سـبحانه

---

[143] انظر ، النيسابوري ، أحمد بن محمد ، مجمع الأمثال ، ج٢ ، ص٢٣٨، ط٢، مصر ، ١٩٥٩م.

[144] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم الحديث ٧٠، موسوعة الحديث الشريف (CD).

وتعالى : ((ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك))[١٤٥] فطريقة النصــح والنصيحه تكون برفق وتأنٍّ ورحمة. كما قد جاء في كتابنا العظيم كتاب الله الــذي فيه كل ما يهمّنا من أمور ديننا وآخرتنا. فحتّى ما تعرفت إليه الشعوب في العصر الحديث من فن التعامل مع الآخرين، ورد إلينا من قرابة القرن ونصف تقريباً في القرآن والسنّة.

وكثيراً ما يشير عبد التواب يوسف في قصص الأطفال إلى نصوص مــن القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وقد لا يكون بالنص الصريح، وإنما يضــمنها إلى القصة فيما تشير إليه من دروس تربوية وأخلاقية وأجتماعيه، فهو متشرب بل وممتلئ بنصوص القرآن والحديث، ومن ثمّ يقدّمها للأطفال بطريقة ملائمــة جــداً ومحبّبة. وأما من يقول أنه قد يصعب على الطفل فهم هذه المعاني المســتقاه مــن القرآن أو السنة، فنقول له بل هو الواجب، لأنه كما قال صلى الله غليــه وســلم : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[١٤٦]

ونحن لا نريده يربى خاوياً ومن ثمّ تفاجئه القيم والمبادئ الوافــدة التــي لا تمت إلى ديننا ولا قيمنا ولا حضارتنا بصلة. بل نريده منذ البداية واقفاً على قدميه بثبات. وهو في الجانب الآخر يستمتع بما يقدم له إذا ما كان بالطريقة الملائمة.

---

[145] آل عمران، آية ١٥٩.

[146] صحيح البخاري ،ج١،ص٤٥٦ ،،باب إذا أسلم الصبي فمات ها يصلى علي،المكتبة الألفية للسنة النبوية .

الفصل الثالث
الأثر التربوي والتوجيهي لقصص عبدالتواب يوسف

أ) غرس القيم والفضائل.
ب) إثارة الخيال وإشباع الرغبات.
ج) التوجيه الاجتماعي والوطني.
د) تعميق إدراك روعة ماضي الأمة.

تمهيد :

يقول عبد التواب يوسف :

((إن العناية بأدب الأطفال سمة حضارية، لأنها تعني التعامل مع علم المستقبل والتخطيط له، وفق ما قاله العرب : ((إنما نربيهم لزمان غير زماننا[1])) [2]وقد غُرس الحرص على تربية الأولاد والأنجال ، والإحساس بالمسؤلية تجاههم في النفس البشرية منذ، بداية وجودها، وإن اختلفت طرق التربية، من ثقافة لأخرى، ومن بيئة لبيئة، وقد تختلف من شخص لآخر في البيئة الواحدة.

ونحن كمسلمين نرى مدى اهتمام الإسلام بتربية الأطفال، وتوجيههم، كما ألزمنا نحوهم بالرعاية، والمسؤلية، قال صلى الله عليه وسلم : ((كلكم راعٍ وكلكم مسؤل عن رعيته))[3]، كما حثنا على إرشادهم وملاطفتهم ورحمتهم، فقال صلى الله عليه وسلم : ((اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم))[4]، وهناك العديد من الأحاديث النبوية، وأقوال العلماء، والحكماء المسلمين في ذلك، كما اهتم علماء النفس والمربّون بأمر الأطفال، ولم يفت هذا الاهتمام الأدباء الّذين خصصوا أدباً خاصاً بالأطفال، بل لكل مرحلة من الطفولة، وسنعالج في هذا المبحث، كيف يكون لأدب الأطفال، - والذي خصَصْتُ منه قصص عبدالتواب يوسف الدينية - اثرٌ تربوي، وتوجيهي لهم.

في البداية أشير إلى أن القرآن الكريم استعمل الأسلوب القصصي، ليكون للناس آية وعبرة، وللرسول صلى الله عليه وسلم، عزماً وتثبيتاً، لما لهذا الأسلوب من التأثيرات النفسية، والإنطباعات الذهنية، والحجج المنطقية والعقلية.[5]

---

[1] وهي مقولة لعمر بن الخطاب .

[2] يوسف ، عبد التواب ،" حول أدب الأطفال في الخليج العربي" ، رسالة الخليج العربي ، عدد١٩ ، ص٢٥، الرياض ، ١٤٠٦ه .

[3] صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، رقم الحديث ٦٦٠٤، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[4] سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب بر الوالدين والإحسان بالنبات، رقم الحديث ٣٦٦١، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[5] علوان، عبدالله، تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ص٦٩٢، ط٣.

كذلك انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب القصة، للتوجيه، والإرشاد، كقصة الأبرص والأقرع والأعمى من بني اسرائيل[6] وقصة الخشبة العجيبة،[7] وقصة هاجر وإسماعيل عليه السلام،[8] والعديد من القصص، واستغلالها في التـأثير علـى المتلقي.

((فالمربي الحكيم، والواعظ البارع، والداعية الموفق، يستطيع أن يكيف عرض القصة بالأسلوب الملائم، الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين، كما أنّه يستطيع أن يستخرج من القصة أهم مواطن العبرة والعظة، ليكون التأثير أبلـغ والإسـتجابة أقوى)).[9]

وعبدالتوّاب يوسف، وأديب الأطفال، نهج في قصصه، المحـور التربـوي، المتصل إتصالاً وثيقاً بالإسلام، والثقافة الإسلامية، والعربية وتراثها وحضاراتها، كما أنه نهل من الأدب العالمي للأطفال الذي لم يصل إلينا الأدب الذي حاز على الجوائز الأدبية، وقد اشاد بأدبه للأطفال، أساتذة علم النفس والتربية وعلماء الأزهـر، يقـول عبدالشافي : ((فكتب عبدالتواب يوسف جميعها، وقد أدرجت فـي قـوائم الكتـب الصالحة لمكتبات أطفال المدارس الإبتدائية، وتنص القرارات الوزارية على ضرورة الإلتزام باختيار الكتب منها، حرصاً على سلامة الكتب، وخلوّها من الشوائب المختلفة التي قد تضر ولا تنفع، أو قد تعطي تأثيرات سلبية، تؤدي إلى اختلال مفاهيم الطفل إبان نشأته الأولى، التي يركز عليها علماء النفس والتربية، ومدى خطورتهـا فـي تكوين الطفل ونشأته)).[10]

وتقول نبيلة فأديبنا ((كاتب ملتزم، يمتلك أدواته، له تـأثيره بأعمالـه علـى الأطفال، ويعرف علي يقين، أنه يشاركنا في تثقيف أبنائنا، وتربيتهم على مثل أمن بها وعمل من أجلها)).[11]

---

[6] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأشياء، باب حديث الأبرص والأعمى والأقرع من بني اسرائيل، رقم الحديث ٣٢٠٥، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[7] صحيح البخاري، كتاب الحوالة، اسم الباب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، رقم الحديث : لا يوجد، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[8] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، رقم الحديث ٣١١٣، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[9] علوان، عبدالله، تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ص ٧١١.

[10] عبد الشافي، حسن، " عبد التواب يوسف وقراءات الأطفال "، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص ٨٤.

[11] إبراهيم، نبيلة، " حول أعمال عبدالتواب يوسف للأطفال " يوسف وأدب الطفل العربي، ص ٨٠.

فمن المعتقدات التي آمن بها عبدالتواب يوسف كما يقول : ((أن الدين للإنسان كالهواء الذي يتنفسه، وديننا دين الفطرة، والطفل علي الفطرة، ومن هنا نجد أنّهما يلتقيان، ولا ينفصلان ولا يتناقصان ولا يتضادان)).[١٢]

فعبدالتواب في كل أعماله، فنان ينتمي إلى عقيدة، ومجتمع، ووطن وقيم سامية، يعمل على توصيلها في عذوبة إلى أشجار المستقبل، حتى تنمو وتثمر مواطنين صالحين.[١٣]

أ) غرس القيم والفضائل.

نستطيع أن نستخدم القصة بهدف غرس القيم والفضائل، ولكي تتحقق الأهداف والغايات المنشودة من الأثر التوجيهي والتربوي لها، لا بد أن نتعرف على كل مرحلة من مراحل الطفولة، وتطوّراتها، لكي نحدد الأدب المناسب لكل مرمحلة من هذه المراحل، وبالتالي المؤثر عليها.

وسأتطرق إلى المراحل من ناحية إدراك الطفل المعاني والقيم فقط، وأترك النواحي الأخرى فيها للمباحث المتعلقة بها، فيقسم أغلب علماء النفس والتربويون المراحل التي يمر بها الطفل : من السنة الثالثة إلى الخامسة ومن السادسة إلى الثامنة ومن التاسعة إلى الثانية عشر.

مرحلة ما قبل المدرسة (٣ – ٥ سنوات) :

وهي المرحلة الأكثر خطورة، ذات الأثر الحاسم في تكوين شخصية الفرد، فما يتكوّن في هذه المرحلة من عادات، واتجاهات، ومعتقدات، يصعب تغييرها أو تعديلها فيما بعد، ولهذا فإن السمات الرئيسية للشخصية، ترجع في تكوينها وأصولها إلى هذه الفترة الخطيرة الهامة في حياة الإنسان))[١٤] وهي مرحلة الواقعية، تتميز بانحسار وعي الطفل في حدود الحسي، والطفل في هذه المرحلة لا يستطيع التركيز والإنتباه لفترة طويلة، ويمكن له استيعاب حقائق بسيطة عن الطبيعة، لذا تناسبه القصص القصيرة، الشفهية، ذات الاتصال بحاسة البصر (الصور)،[١٥] ككتب عبدالتواب : ألوان

---

12 يوسف، عبدالتواب، " أدب الأطفال عربياً وعالمياً "، محاضرات النادي الأدبي الثقافي، المجلد ١٢، ص٢٦١،جدة، ١٩٩٣م.

13 أبو الخير، محمد حامد، عبدالتواب يوسف ومسرح الطفل العربي، ص١٢ ، القاهرة، ١٩٩٦م.

14 نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص٦٧.

15 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٨٩.

من دائرة المعارف، والتي خصّها لهذه المرحلة، وهو يرى أنها مرحلة يسهل فيها اجتذاب الطفل إلى ما نريد.[16]

المرحلة التي تليها من مراحل الطفولة، هي ما بين السادسة إلى الثمان سنوات : يبدأ الطفل فيها بالتعرف على معنى الصفات الخلقية، والمباديء الإجتماعية، والقيم، غير أنّه يظل حسياً في تفكيره، ولا تتكوّن لديه مدركات كلية مجرّدة،[17] ويرى آخرون أنّها ليست بالمرحلة التي يعرف فيها معنى الأخلاق والقيم، ولكنه يفرّق بين الخير والشر، ومن هنا ندرك أن المواعظ والأوامر، لا تجدي في توجيه سلوك طفل هذه المرحلة، وإنّما يتأتى ذلك باستغلال ميولهم إلى اللعب، والتمثيل والتقليد، وعن طريق القصص التي تقدم لهم القدوة الحسنة والنماذج الطيبة.[18]

لذلك ينبغي للكاتب أن يعمل على توسيع دائرة معرفة الطفل بيئتة، وأن يستغل الأشكال الأدبية للأطفال في امتصاص الطاقة الحركية لديهم، وينمي شعورهم بالمسؤلية ويحاول تهذيب سلوكهم، والقصص المناسبة لطفل هذه المرحلة، هي القصص الخيالية، والقصص التي تقودهم إلى التفكير والتأمل، والتي تهيؤهم لسن المراهقة.

أما المرحلة الثالثة، فهي ما بين السنة الثامنة والثانية عشر، وهي مرحلة استيعاب الحقائق من الواقع، وهي مرحلة تطور الإحساس بالذات ورغبة تحقيقها، حيث يبدأ استيعابهم المعاني المجرّدة، ويزيد إدراكهم للأمور، وفي هذه المرحلة يطمح الطفل لاتخاذ مثله الأعلى خارج الأسرة، لذلك ينبغي أن يكون أدب هذه المرحلة، وثيق الصلة بالقدوة الحسنة،[19] لتتوافر الدوافع الشريفة، والغايات الفاضلة، والتي يخرج منها بانطباعات صحيحة سليمة، تحببه الخير، وتنفره من أعمال التهوّر والإندفاع،[20] ومساعداً في اتخاذها خط السير الأفضل لحياته، وهذه آخر مراحل الطفولة، وبرأيي أن مرحلة المراهقة هي بداية مرحلة التكليف التي تنتهي ببدايتها مرحلة الطفولة.

---

16 يوسف، عبدالتواب، طفل ما قبل المدرسة، ص ١٠٠، القاهرة، ١٩٩٨م.

17 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص ٩١.

18 نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص ٢٤٠.

19 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص ٩٤.

20 نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص ٤١.

فبعد تحديد أقسام الطفولة ومراحلها، نعرّف معنى القيم، ثم أنواعها، ووسائل اكتسابها، فمفهوم القيم هو : مجموعة من المعايير التي تحقق الإطمئنان للحاجات الإنسانية، ويحكم عليها الناس بأنّها حسنة، ويكافحون لتقديمها إلى الأجيال القادمة، ويحرصون على الإبقاء عليها،[٢١] أو هي : دوافع محرّكة لسلوك الفرد، ومحددة له، ولها دور فعّال في تكامل شخصيته، ذلك إن إتساق نظام القيم لدى الفرد يعني أنّه ذو شخصية سليمة، بينما تؤدي الصراعات في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصابية.

والقيمة الخلقية تختلف في المجتمع نفسه، والعصر نفسه، ومن طبقة إلى أخرى. ورغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق، إلاّ أنّ هناك بعض القيم المطلقة العامة، التي تصدق في كل مكان وزمان، مثل الصدق، والأمانة، الوفاء، الكرم.

القيم وأنواعها :

وللقيم أنواع وأقسام يختلف تصنيفها من باحث إلى أخر، منها :

القيم الاجتماعية، وتتضمن : وحدة الجماعة، اللطافة، قواعد السلوك، التواضع، الكرم، التسامح، حب الناس.

القيم الأخلاقية : الصدق، العدالة، الطاعة.

القيم الوطنية : ومنها حرية الوطن، وحدة الوطن.

القيم الجسمانية : الراحة، النشاط، الصحة، سلامة الجسم.

القيم الترويحية : ومنها الجمال، المرح، التعبير الذاتي المبدع.

قيم تكامل الشخصية : ومنها التكيف، الأمن الانفعالي، السعادة، النجاح، التقدير، وإحترام الذات، القوة، التصميم الحرص.

القيم المعرفية : ومنها المعرفة، الذكاء، الثقافة.

القيم الاقتصادية : ومنها الواقعية، العمل، الضمان الاقتصادي.[٢٢]

---

[21] شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص٨٧.

[22] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٧٥.

وسائل اكتساب الطفل للقيم :

إن ترسيخ القيم، مهمة صعبة، تستغرق زمناً طويلاً، ولهذا يبدأ التربوين بالطفل، ويعدونه أساس التغير الإجتماعي.

فالقيم التربوية إحدى مرتكزات العمل التربوي، بل من أهم أهدافه ووظائفه، وهذه القيم بغية الآباء، والمعلمين، وكافة المؤسسات التربوية داخل المجتمع، وكلّهم يسعى إلى تأكيد النسق القيمي الإيجابي، وحذف القيم السالبة التي تعوق حركة التنمية، أو تقيد الطاقات، لذلك فإن القائمين على أمور التربية يريدون أن يكون الطفل قادراً ومشاركاً في حركة التنمية داخل المجتمع، فالطفل في حاجة لأن يتعلم كيف ينبغي أن يسلك، ولا يجب أن يقتصر ذلك على نقل المعرفة الخلقية، بل بغرسها وتنمية العادات الخلقية لديه، فالفضائل والقيم، إتجاهات تكوّنت نتيجة لأفعال خلقية متكررة، وهذه الفضائل ثمرة العادات والمهارات الخلقية، ويمكن تعلمها عن طريق ممارستها.[٢٣]

يكتسب الطفل القيم الموجبة من المؤسسات التربوية داخل المجتمع الذي يعيش فيه، وتشمل هذه المؤسسات، الأسرة، وجماعات الأقران، والمدرسة، المسجد، ووسائل الإعلام،[٢٤] فالطفل يولد وهو خالٍ من المعايير والقيم التي توجه سلوكه، والأسرة تغذيه بتلك القيم التي تعتنقها، وذلك عن طريق التحسين أو التقبيح، والاحترم أو الإزدراء بحسب أنماط السلوك، فالطفل يقضي في البيت أطول فترة من تلك التي يقضيها في المدرسة أو مع أترابه، ثم المدرسة بيئة نقية أوجدها المجتمع بهدف التربية، تحاول أن تكسب أفرادها القيم الإيجابية من خلال المناهج التي تقدمها، أو من خلال تفاعل المتعلمين مع المعلمين وإداريي المدرسة.

والقرارات التي يتعرض لها الطفل بعد إتقانه عمليتي القراءة والكتابة، توسع خبراته القيمية، فالمواد التعليمية تزوّد الاطفال بمواقف خلقية منوّعة تنشأ في بيئته أو مجتمعه القطري، أو على المستوى القومي، بل العالمي.

فالقيم التربوية ليست مقصورة على المنزل والمدرسة، بل هي تمتد للخبرات التخيلية التي توسع مجال الخبرة بطريقة لا نهائية، عن طريق المواقف المشكلة، ومواقف الصراع القيمي التي توفّرها المواد المقروءة، والتي تُقدم للأطفال من خلال

---

[23] شحاته، حسن، قراءات الأطفال، ص٩٣.

[24] يوسف، عبدالتواب، دليل الأذكياء في تربية الأبناء، ص١٨٥، ط٤، القاهرة، ١٩٩٦م.

مواقف حيوية لها دلالة ومغزى في حياة الصغار، ومن خلال هذه المواقف يكتسب الطفل القيم المرغوبة، ويكتسب القدرة على تطبيقها.[٢٥]

كيف تسهم القصة في غرس القيم في نفوس الأطفال ؟

الأسلوب القصصي من أفضل الوسائل التي نقدم عن طريقه ما نريد للأطفال أن يتزوّدوا به، سواء أكان ذلك قيماً أم معلومات، ولكي تكون القصة وسيلة ناجحة للتربية؛ لا بد ان تشكل القيم التربوية ركناً رئيسياً فيها، لذلك وجب علينا أن نقدم دائماً للأطفال القصص التي تعمق قيم الحياة الإجتماعية الإيجابية، وتثير الإهتمام بالعلم، والفن، والأدب.[٢٦]

فالقصة تسهم في تكوين السجايا، والأخلاق الحميدة، والسلوك القويم المقبول عند المجتمع، والطفل تتكوّن سجاياه وخلقه وتأخذ شكلها الواضح في الخامسة من عمره، ويصعب تغييرها فيما بعد، لذلك كان واجب الأم والأب منذ البداية تقويم، وتهذيب سلوك طفلهما،[٢٧] والأم بالأخص لأنها تمضي الوقت الأكبر معه، وتتحمل مسؤلية تربية الأطفال بشكل أكبر، فالأم التي تتخذ الضرب والأمر والزجر وسيلة للتقويم تعد أم فاشلة ! أمّا الناجحة فهي التي تتخذ من أدب الأطفال وسيلة من وسائل التهذيب، وأداة للتقويم، إلى جانب القدوَة الحسنة من المحيطين.

فحين يمجد أدب الأطفال ذوي الأخلاق الحميدة من شخصيات القصة، ويثني على أصحاب الذوق الرفيع ممن يلتزمون بالسلوك الحضاري، ويجعل النجاح حليفهم، ثم يضرب بنهايات غير سعيدة وفاشلة للذين يكذبون، أو يسرقون، أو يرتكبون عملاً مخلاً، وبتصوير المآزق الحرجة التي يقع فيها ذووا الأخلاق غير الحميدة، سوف تتجسد هذه الأمثلة شخصيات حقيقية في ذهن الطفل، ويتأثر بها تأثراً كبيراً، فيقلّدها أو ينفر منها، ويبتعد عن صفاتها.

وخير أدب للأطفال ما أدى الأهداف المطلوبة، المساعدة على تكوين الأخلاق الحميدة وإن لم يكن الأدب في صورته التي تقدم للطفل باعثا على تكوين الأخلاق

---

[25] شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص٩٨.

[26] شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص١٠١.

[27] أبو العينين، ربى، " زرع الإسلام في نفوس الأبناء "، واحة تربية الأطفال، Waha web.com/child/to pic.

الحميدة والذوق الرفيع، فمن الخير ألا يراه أو يسمعه الصغار.[٢٨] ومن الخير ان نفرد كلا من البنت والولد بعد العاشرة بأدب مختص بكل جنس، فالبنين يحثهم على التحلي بصفات الرجولة، والإعتماد على النفس، والخشونة في أدب، وتحمل أعباء الأسـرة، وحمايتها، وتوفير الإطمئنان، وأدب البنات مطلوب منه يبعث فيهن الصفات الأساسية للأنثى، الرقة، العذوبة، رعاية الآداب والسلوك الانثوي، وتأهيلها للأعمال والمسؤلية التي تنتظرها في مستقبلها، من أمومة ورعاية للأسرة، وتربية الصغار، وهناك مـا يشترك فيه الجنسان من الأمور العامة، فيكون الأدب مناسباً لكليهما معاً.

ولا نريد بذلك أن نحمل القصة أكثر مما تحتمل، فهي وقبل كل شيء عمـل فني، كالنحت والرسم وبقية الفنون الجميلة، رسالتها وفعاليتهـا وتأثيرهـا كفعاليـة الجمال، فتأثيرها ودورها أن تمنح السرور، وتثير وتقويّ جوانب الروح من خـلال المتعة والبهجة، هذه هي الوظيفة اللأساسية للقصة في التربية، والتأكيد على مبدأ فنية لا يعني تجاهل الأهداف التي تبدو ثانوية لهذا الهدف، فالفائدة التي يجنيها الطفل من القصة وهي تنمية الإعجاب بالجمال وتذوّقه، تمنحه رغبة في النمو بأحاسيس جديدة، وبالتالي يكسبهم جديداً لمحتويات عقولهم.[٢٩]

القيم في قصص عبدالتواب يوسف الدينية :

أشير هنا إلى أن كلمة (الدينية)، ليست القصة التي اتصلت مباشـرة بـالقرآن الكريم، أو السنة النبوية أو السيرة العطرة، أو التاريخ الإسلامي، وأبطاله، فقط، وإنما هي تعني قصص الأطفال التي تستلهم القيم من المنظور الإسلامي، ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً، ونفسياً، ووجدانياً، وسلوكياً، وبدنياً، ويسهم في تنمية مداركه، وإطلاق مواهبه الفطرية، وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية، وبذلك ينمو ويتدرج الطفل بصورة صحيحة، تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض.[٣٠] إن عبدالتواب، يرى أن القيم الدينية الإسلامية، تسـتهدف إقامـة علاقة طيبة بين الإنسان وربّه بتأدية حق الله والالتزام بأوامره سبحانه وتعالى، وأداء العبادات المفروضة، كما تستهدف إقامة علاقات طيبة بين الإنسان والناس، فيلتـزم بواجباته نحوهم، وحيال الحياة على هذه الأرض، وأخيراً تستهدف إقامة علاقة طيبة

---

[28] الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٦٨.

[29] الحديدي، علي، في أدب الأطفال،ص١١٥-١١٦.

[30] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٤.

بين الإنسان ونفسه، وينهض بما يمليه عليه ضميره ويشعر بلون من الرضى عن ذاته في عصر التمزقات النفسية.[٣١]

عن هذه القضية يقول الأستاذ محمد قطب : ((ليست القضية في الحقيقة وجود قيمة خلقية لأعمال الإنسان أم عدم وجودها، فذلك أمر لا يشك فيه أحد، حتى الماديون، وحتى الملحدون، وحتى الشكاكون، وإنما القضية هي المعايير التي نقيس بها الأخلاق، من يضعها ؟ فأما الوضعيون، والتطوريون، والماديون، أشباههم فقد ذهبوا بها مذاهب شتى توافق أهواءهم، وأما لله سبحانه وتعالى، فيقول إن الذي يخلق هو وحده صاحب الأمر ((ألا له الخلق والأمر)).[٣٢]

(صديقي الحقيقي)[٣٣]

وهي قصة قصيرة، تحكي حكاية ابن أحد الملوك، وكان ذاك الابن ذكياً، يسعد كثيراً بلقاء أبيه، لكن الأب منشغل عنه بجنوده ورجاله، وضاق الابن من هذا الحال، نصحه والده بأن يتخذ له أصدقاء، ووضع له خطة، ليختبر بها الصديق الحقيقي، وهي أن يدعوه للإفطار معه، ويؤخر وقت الإفطار ليرى كيف سيتصرف المدعو، والإفطار عبارة عن ثلاث بيضات فقط، ونتيجة لتصرف المدعو، سيرى هل يستحق أن يكون صديقاً حقيقياً أم لا، وبالفعل جرّب هذا الإختبار على الكثير ممن هم في سنه من أبناء الوزراء والتجار، وغيرهم، فمنهم من ضاق بالانتظار، ومنهم من لا يصبر ويغادر قبل الإفطار، ومنهم من لا يتصرف بذوق، فيأكل البيضات الثلاث، ولا ينتظر صديقه، أو أنه يزدري الثلاث بيضات، ويقلل من شأنها كافطار لإبن ملك، ونتيجة لذلك ضاق ابن الملك بالأولاد من حوله، فلم يجد من بينهم من يستحق أن يكون صديقه الحقيقي، لكنه انطلق إلى الحقول والغابات علّه يجد فيها صديقاً، وذات يوم إلتقى بإبن حطّاب فقير، وسأله أن يلعب معه، رفض الأخير في بداية الأمر لأنه فقير مسكين، وهو ابن الملك، غير أن ابن الملك طلب منه أن يجرّب، قال ابن الحطاب :
لا مانع عندي، بشرط أن تفهم أننا متساويان كأصدقاء أوفياء في كل شيء.

---

[31] يوسف، عبد التواب، " الإعلام وزرع القيم في نفوس الأطفال "، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، ص ١٦٤.
[32] قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٧٥، ط٣، جدة، ١٩٨٩م.
[33] نقلا(بتصرّف)ا عن الكيلاني ، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ،ص ١٦٥.

ووافق ابن الملك على الشرط، ولعبا سوياً وتعلم ابن الملك من ابن الحطاب أشياء كثيرة وبادر ابن الحطاب بدعوة ابن الملك لتناول طعام الإفطار في بيته وكان عبارة عن خبز وملح، وتناوله ابن الملك بشهية، ولولا خوفه من أن ابن الحطاب يختبره لطلب المزيد، ثم دعاه هو في اليوم التالي ليتناولا طعام الافطار سوياً، قبلَ ابن الحطاب ووفى بوعده وأتّى في اليوم التالي، وأجرى عليه اختباره الطريف، فلم يكن من ابن الحطاب إلاّ أن تصرف تصرفاً عادلاً حكيماً، فعرف أنه هو الذي يستحق أن يكون الصديق الحقيقي، وظلت الصداقة بينهما حتى كبرا، وتسلم ابن الملك كرسي العرش، فلم يجد أوفى وأعدل من صديقه ابن الحطاب أن يعينه وزيراً، يعينه وينصحه بالحكمة والعدل والأمانة.

نجد القيمة التربوية التي ركّز عليها عبدالتواب في هذه القصة، تظهر من العنوان، وهي الصداقة، وهي في مختلف الثقافات، هي مطلب لكل إنسان سوي، وهي قيمة اهتم الإسلام بها، وحثّ المسلم على اختيار صديقه الحقيقي الناصح الصالح الأمين، كما حذّر من اتخاذ صديق السوء، لما للصداقة من أثر بالغ على الإنسان، قال تعالى في محكم التنزيل : ((الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدو، إلا المتقين))،[٣٤] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((المتحابون بجلال الله في ظلّ الله وظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله[٣٥])) وقال صلى الله عليه وسلم : ((..........وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي))[٣٦]

وقال صلى الله عليه وسلم في الجليس : ((إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير))[٣٧] فالصداقة التي حث عليها الإسلام، هي الصداقة النقية القائمة لوجه الله والخالصة له، وليست لغرض ماء فالصديق الوفي ينصحك إذا ما زللت ويعينك إذا ما أصبت، وبذلك تنشأ المشاعر الصافية التي يكون لها أثرها على الفرد ومن ثم الجماعة.

---

[34] سورة الزخرف، آية ٦٧.

[35] مسند الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب : أخباره عباده بن الصامت، رقم الحديث ٢١٧١٨، موسوعة الحديث الشريف (CD) انتاج صخر، الاصدار الأول.

[36] مسند الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، باب رقم ١٠ ، حديث رقم ١٨٦٢١، موسوعة الحديث الشريف (CD)

[37] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم الحديث ٤٧٦٢، موسوعة الحديث الشريف (CD).

وهو ما يدعو له الكاتب في قصته، أن يغرس في نفوس الأطفال معنى الصداقة القائمة لله، وعلى التآخي والتآزر وليست لأغراض أخرى مادية.

وهناك قيم أخرى في القصة منها الموجبة التي يحبب الكاتبُ الطفل إليها، ومنها السالبة التي ينفره منها، فمثلاً سوء تصرف من دعاهم قبل ابن الحطاب، وإزدراء الطعام لقلته وعدم القناعة :

كما فعل ابن الوزير الذي قال :

- هل هذا هو كل إفطارنا ؟ ؟ إنّها لا تكفيني وحدي.

وابن كبير التجار، الذي ساء تصرفه، بإلتهام الثلاث بيضات في لمح البصر، وقال له ابن الملك :

- هل اكلت كل البيض.
- كل البيض ! ! إنه ثلاث لا أكثر.
- ليس هناك غيرها طعام إفطار.
- أهذا معقول.

ومن دعاهم، كان من يهتف صارخاً مطالباً بالطعام، والبعض لا يصبر بل يغادر البيت في غيظ لأنهم لم يحضروا الطعام سريعاً، فالقناعة، والصبر، و الحلم، كلّها، من القيم المرغوب فيها، والتي يحاول الكاتب بطريقة غير مباشرة أن يغرسها في نفوس الأطفال، وينفرهم من عكسها، فقد رسم الصفات الغير لائقة بالأشخاص اللذين لا يصلحون أن يكونوا أصدقاء بمعنى الكلمة.

ومن الصفات أو القيم المحمودة الوفاء بالعهد، فابن الحطاب وعد ابن الملك بأن يلبي دعوته وهو ممن يشتغل في الحقول ولم يكن ممن بجواره، ووفى بوعده، فعزة نفسه التي أبت على ابن الحطاب أن لا يصادق ابن الملك إلا إذا وافق على شرطه وهو أن يكونا متساويين في صداقتها الوفية، وقد تصرف ابن الخطاب بعدل حينما قسّم وجبة الإفطار بينه وبين ابن الملك بالعدل، كما أن القناعة، قناعة ابن الخطاب بما جلب له ابن الملك، ولم يتصرف كما تصرف من هو أغنى منه، ولم يغضب ابن الحطاب لتأخر وجبة الافطار، لأنه كان حليماً صبوراً، فقد اجتمعت في ابن الحطاب القيم الخلقية التي يريد كل إنسان أن يجدها في صديقه الحقيقي، وجميع المباديء التي تحملها القصة، هي قيم ومباديء تنطلق من الوجهة الإسلامية المتأثر

بها الكاتب، وبالتالي تظهر في كتاباته، فيتأثر بها الأطفال بطريق مباشر وغير مباشر.

من هو البطل ؟ ؟[38]

هذه قصة من مجموعة قصص دينية عصرية يقدمّها عبدالتواب يوسف تحت هذا العنوان وبمقدمة نقتبس منها ما يلي :

((..... والدين صالح لكل زمان ومكان، ونحن أحوج إليه من أي وقت آخر .... وقد تبنت دار العلم والثقافة هذه القصص الدينية، والعصرية، لتؤكد على دور الإسلام العظيم في تنقية القلوب، وتصفية النفوس، ومساعدتنا على التفوّق والنجاح))[39].

تدور القصة حول صبي، اسمه (خالد صلاح الدين)، رغم صغر سنه، كان ضخماً عريضاً، قوياً، متباهياً بقوّته في مدرسته وبين زملائه، وقد يتمادى بتباهيه إلى استخدام العنف، وقد انقسم زملائه في المدرسة ما بين مبتعد عنه، اتقاء شرّه، وبين من انطوى تحت لوائه ليحميهم، وهم الضعاف، مما زاد من غطرسته وبطشه.

وقد توالت الشكاوي لمدير المدرسة والمعلمين، فعاتبوه تارة، ولاموه مرّة أخرى، على تصرفاته، لكن دون جدوى. ومن ثم اتجه له معلم التربية الدينية فكان يحاوره ويجادله بهدوء، وبأسلوب مناسب لهذه السن، كما تبدو هي بداية سن المراهقة، كما أنها السن الحرجة التي يريد الصبي فيها أن يثبت رجولته ووجوده، ولكن لا يعرف كيف، وقد يتخبط في تصرفاته.

((قال له معلم التربية الدينية : تذكر قوم عاد .. تذكر شمشون[40] .. تذكر أن كل جبّار في الأرض كان مصيره الدمار)).

فهذا التذكير بالقوم الذين تجبروا في البلاد، وتغطرسوا بقوتهم، ولم يحمدوا الله عليها ويشكروه، فأهلكهم الله ودمّرهم ،وقد استخدم الأديب طريقة لفت أنظار الأطفال

---

[38] يوسف، عبدالتواب، من هو البطل، ص، القاهرة، ١٩٩٧م.

[39] يوسف، عبدالتواب، من هو البطل، ص٢.

[40] ذكر الطبري، شخصية (شمسو ن) بالسين ،وأنه كان من أهل قرية من قرى الروم قد هداه الله لرشده وكان قومه أهل أوثان و هو فيهم مسلما، وكانت أمه قد جعلته نذيرة ، وقد أعطي قوة في البطش فيجاهد في الله ويغزو ، وقد كانت قوته في شعره....انظر تاريخ الطبري ج١ ،ص ٣٨١ ،من سي دي المكتبة الألفية للسنة النبوية ، ٢٠٠٠م.

لعاقبةالأعمال السيئة التي قامت بها الأقوام السابقة، للتنفير من أن يسلكوا الطريق التي سلكوها، والتي أدت إلى غضب الله عليهم، ونتيجة لذلك دمرهم الله، وهذا مصير كل جبار في الأرض. يتوجه معلم التربية الدينية للصبي عن طريق التذكير، وإن كان فيه نوع من القسوة، إلاّ أن طفل تلك المرحلة يبدأ الشعور بالذنب أو الرضى عنده فهـو يبدأ بالخوف من عقاب الله ويرتجي ثوابه، يرد الفتى على معلم التربية الدينية قائلاً :

((اريد أن أكون مثل خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي معاً.

يرد معلمه : كان عقلهما أكبر من عضلاتهما.

يقول الفتى : لقد كانا بطلين عظيمين.

فيرد المعلم : ليس هذا هو طريق البطولة))[41]

فكان متأثراً باسم الشخصيتين الإسلاميتين، المشهورتين بالقوة والشجاعة، خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، لكنه لم يعرف كيف كانت قوتهما وشجاعتهما وكيف كانا يتصرفان بتلك القوة، فقد استخدما القوة والعنف، ضد أعداء الإسلام، وحـاربوا لأجل نصرة الدين، ولكن، ليست القوى والعنف الطريق الوحيد للبطولة، كما قال معلم التربية الدينية للصبي، ويلتقي به مرة أخرى، ويقول له بهدوء :

((ليست البطولة ضرباً وعنفاً .. ذات ليلة دخل طفل فراشه، وتغطى واستيقظ في الصباح بطلاً .. بطلاً سيظل التاريخ يذكره للأبد))

تعجب خالد من هذا الطفل، ومن يكون، وبهذه الطريقة يكون بطلاً، وتركـه معلم التربية الدينية ليعرف بنفسه من هو هذا الطفل، وظلّ محتاراً حتى ذكّره أحـد الزملاء بيوم الهجرة النبوية، عند ذلك صاح : آه .. إنه ((علي بن أبي طالب)) أخذ خالد يفكر ويتطلع إلى ما حوله، بعد أن عرف أن العنف ليست الطريقـة للبطولـة، والتحق بنادي المدرسة الرياضي، ليستفيد من قوة جسده ويستفيد من جهده وطاقتـه، وأصبح له أصدقاء كثيرون، ومثّل مدرسته في المباريات الرياضية، وخرج فـائزاً، حملوه على الأكتاف وهتفوا باسمه، يومها عرف خالد، أن هناك أكثر مـن طريـق للبطولة.

فهذه القصة هي مناسبة جداً للأطفال، قبل سن المراهقة، حتى تهيؤهم لإستقبال تلك السن الحرجة من العمر، وتساعدهم على اتخاذ الطريق السليم.

[41] يوسف، عبدالتواب، من هو البطل، ص٥.

فالقيمة الظاهرة فيها القيمة الجسدية وهي قيمة رياضية، وأشار الكاتب لهذه القيمة لأنها المتغيرّ الرئيسي والظاهر، لسن المراهقة، والتي قد لا يحسن إستخدامها طفل تلك المرحلة، فا (العنف، والبطش، والتجبر) كلّها من القيم التي نفر منها الإسلام، والقرآن الكريم سرد الكثير من العبر عن أفراد وأقوام تجبروا وعتوا في الأرض، فدمرهم الله.

وقد نفر الكاتب بطريقة مباشرة من العنف، كأن يذكر معلم التربية الدينية خالداً بقوم عاد وشمشون، وكيف كانت عاقبتهما، أو بطريق غير مباشر، كأن يصوّر ردة فعل المدير والمعلمين والزملاء من خالد صلاح الدين .فالقوة شيء مفيد ودعا إليها الإسلام، قال تعالى : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))،[42] وقال صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف))،[43] ولكن ليست القوة المراد بها العنف والسطوة، وإن كان ذلك فهو ضد أعداء الدين، فالمحك على كيفية استخدام هذه القوة، وضد من، ولصالح من، فأراد الكاتب أن يعرف الطفل كيف يتصرف بهذه النعمة ويستغلّها ويستفيد منها، وذلك حينما اتجه خالد لمدرب الرياضة، واختار منها التي تناسبه، ومثّل مدرسته وفاز بالبطولة، وكلّها أمور تحمس الطفل، وتدعوه لأن يقلّده، بعدما عرف نتيجة ذلك التصرف السليم.

النصيحة، وهي من المعلمين للفتى، وكانت قد اختلفت طرقهم من لوم، وعتاب، إلاّ أن الطريقة المجدية هي طريقة معلم التربية الدينية، والتي كانت تحت مبدأ : ((لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك))[44] فالنصح والإرشاد قيم تربوية، متعارف عليها في المجتمع المسلم فـ (الدين النصيحة).[45]

لكن هل أراد الكاتب لطفل هذه المرحلة أن يعرف متى ينصح أو من ينصح، فسنه صغير على أن يدرك هذه القيمة الأخلاقية، ليقوم بها، ولكنه هو من يتقبلها فالكبار ينصحونه ويرشدونه، وأراد الكاتب أن يعلمه كيف يتقبل النصيحة، ويفكر بها ويدركها، دون سلب لشخصيته[46]، فيحاور ويجادل، ليعرف الصواب، ولا عيب في ذلك.

---

[42] سوة الأنفال، آية ٦٠.

[43] صحيح مسلم، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم الحديث ٥١٠٧، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[44] سورة آل عمران، آية ١٥٩.

[45] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الدين النصيحة، رقم الحديث ٨٢، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[46] من متطلبات التكوين النفسي السوي للمراهق تقبل التوجيه والنصيحة. انظر ،الهاشمي ،عبد الحميد ،علم النفس التكويني ،ص٢١٩

الشجاعة: وهي قيمة إسلامية، وهي قيمة تربوية يهتم الآباء والمربون والمسؤلون بغرسها في نفوس الأطفال، وقد استخدم الكاتب القدوة الحسنة لتقليدها ومحاكاته، فكانت شخصية علي بن أبي طالب، شخصية شجاعة علت بها الأصوات وعرف الأطفال، فالطفل يتأثر بما يسمع، وترسخ القيمة في ذهنه، وتصبح من سلوكه المعتاد.

صور مؤذية[47]

وهي قصة من سلسلة البيئة، والتي اهتم عبدالتواب يوسف فيها بالقيم البيئية وتوعية الأطفال ببيئتهم، وكيف يحافظون عليها ويطوّرنها، ويتعاونون على ذلك.

وهي قصة طفل، يبلغ من العمر تسع سنوات، يحب الصور كثيراً، يتفحصها ويتملّى فيما فيها، في المجلات والكتب، وكان دائم التساؤل عن كيفية عمل (آلة التصوير) :

((– كيف تعمل آلة التصوير ؟
– هل يمكن أن تكون لي واحدة ؟
– متى أتعلم التقاط الصور ؟))[48]

وكان يدهش الجميع باهتمامه بالصور وآلة التصوير في سن مبكرة، فقدمت له أسرته آلة تصوير هدية له، فرح بها كثيراً، وراح بعد أن علقها على رقبته، يسير ويبحث عما يريد أن يلتقط له صورة، هي النهر، أم البحر، أم الشجر، أم الشارع، أم الناس ؟، فالصورة تثبيت للحظة بذاتها، فما هي هذه اللحظة التي يريدها أن تبقى وتظل، تجوّل كثيراً في المدينة، فلم يجد غير مناظر مؤذية، حاول أن يرى الطبيعة وجمالها، ولكنه يكتشف أن مدينته مليئة بالمناظر المؤذية للنظر، ومظاهر التلوّث الممرضة، والروائح الكريهة، ووجد أن السياح يلتقطون صوراً، لهذه المناظر المؤذية، التي تسبب أهل المدينة في وجودها، وقد شتمهم السياح لأنهم تسببوا في ذلك، وهنا كيف يتصرف الصبي (رشاد) للاستفادة من آلة التصوير، لتبدو مدينتة نظيفة، وجميلة ولائقة، وكيف واجه العقبات والصعوبات قبل أن يصل إلى هذه النتيجة المرضية.

القيمة الرئيسية التي تدور حولها القصة هي نظافة البيئة والمحافظة عليها، فيدعو الكاتب، إلى نظافة المدينة من القاذورات والملوّثات، للمحافظة على جمال

---

[47] يوسف، عبدالتواب، صور مؤذية، القاهرة، ١٩٩٧م.
[48] يوسف، عبدالتواب، صور مؤذية، ص٢.

طبيعتها، وظهورها وللمحافظة على الصحة من الجراثيم والأوبئة، التي تنتشر عن طريق التلوّث البيئي.

ولأن النظافة قيمة ذات أهمية فقد اهتم بها الإسلام كثيراً، ولم تكن نظافة الثوب والبدن فقط وإنما نظافة الطرق العامة والشوارع، والمنازل، قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود))[49] وعندما ننظف الأفنية، لا نلقي بما فيها على قارعة الطريق، فقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإماطة الأذى عن الطريق،[50] واعتبرها صدقة، وغرس هذه القيمة في نفس الطفل منذ الصغر، تولد لدينا جيلاً نظيفاً سليماً، محافظاً على نفسه، وبيئته، ويهتم بأن لا يؤذي الآخرين، عن طريق المناظر المؤذية والروائح الكريهة أو الأمراض التي يسببها التلوث.

وهناك قيمة اقتصادية ذات اهداف عملية، وتظهر من النص التالي :

((كان السؤال : ما الذي تريد أن تصوّره ؟

((إن رشاد يعرف ((قيمة)) الصورة، ولا يحب أن يهدر الأفلام، وليست لديه ميزانية كبيرة تحتمل شراء الخام منها، ونفقات استخراجها، لذلك كان لا بد من ترشيد استعمال الكاميرا ... هكذا قال ((رشاد)) لنفسه وهو يبتسم)).

فالإشارة هنا إلى ترشيد الاستخدام، والاقتصاد في استخدام الشيء وعدم التبذير، شيء جيد لكي يحس الطفل بقيمة ما لديه، فيحافظ عليه، ويستخدمه الإستخدام السليم، دون تقتيرأو تبذير، قال تعالى : ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط))[51] وقال : ((إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين))[52] صدق الله العظيم.

وتظهر لنا من مجادلة الصبي لمحافظ المدينة والزوار للمعرض (قيمة من تكامل الشخصية) وهي قوة الشخصية، فهو يجيب عن الأسئلة وبثقة في نفسه، وإن بدت المحاورة ولغتها أكبر من السن المطروحة للصبي إذ من الصعب عليه وهو صبي التاسعة أن يتحاور مع من هم أكبر منهم سناً، بطريقة (رشاد) : حيث قال له أحد الزوّار :

---

[49] سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب النظافة، رقم الحديث ٢٧٢٣، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[50] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب إزالة الأذى عن الطريق، رقم الحديث ٤٧٤٧، موسوعة الحديث الشريف (CD).

[51] سورة الاسراء، آية ٢٩.

[52] سورة الاسراء، آية ٢٧.

((- أنت تسيء إلى مصر.
حاكموني .. هذه هي مصر.
نعم انت تستحق المحاكمة.
منذ عهد سقراط تقام مثل هذه المحاكمات .. علقوا رقبتي في حبل الكاميرا، واضغطوا به لأسقط على الأسفلت، وغطوني بورق الصحف .. ليشيح المارة ببصرهم عن جثتي، واتركوها حيث هي .. لن أستطيع بعد ذلك أن أخرج من أكفاني لألتقط صورتي، تفوح منها رائحة العفن، لا جدوى من لافتات : ((ممنوع التصوير، حافظوا على نظافة مدينتكم، النظافة من الإيمان، النظافة سلوك حضاري، لا فائدة، افقئوا عيونكم حتى لا تروا مصر التي تحبونها على هذه الصور المؤذية))[٥٣]

بهذه اللغة، وهو تصوير مريع مخيف للطفل، فالكبير يتحاشى أن تقرع أذانه مثل هذه الكلمات، أو يتصوّر في ذهنه هذه الصور المريعة، فكيف بالطفل ؟، فالشنق بحبل الكاميرا والجثة التي تسقط على الطريق ورائحتها العفنة، وافقئوا عيونكم، كلّها تصوير لمناظر تجزع الطفل وتخيفه وتؤثر على نفسيته وتفكيره اكثر مما تفيده، فهو قد لا يتحمل ذلك.

تقول الفيصل : ((إن القيم مشكلة معقدة، لأن أمرها غير مقصور على تغير الموضوع، أو النص لخدمة القيمة المطروحة فيه، أو التي يرغب الكاتب في طرحها، وإنّما يتعلق أمر القيم بوصولها إلى الطفل أو عدم وصولها إليه، وهناك فارقٌ كبيرٌ بين وجود القيمة في النص وبين وصولها إلى الطفل.

وبالتالي علينا بذل مزيد من الجهد في عملية التوجيه القيمي، كما أننا نحتاج إلى دراسات خاصة، نتعرف بها عن إذا ما كانت القيم قد وصلت إلى الملتقى أو أنه ما زال بعيداً عنها))[٥٤] ومن ناحية أخرى هناك من الأدباء من يزحمون كتاباتهم للطفل بالكثير من القيم، والمضامين العظيمة، لكنهم للأسف يقدمونها في إطار مهلهل، أو شكل فني مقبض، وتكون النتيجة انصراف الطفل عن الجواهر الغالية التي أرادوها هدية قيمة له ،

فأديب الطفل الحق هو من تكون له خبرة كافية بعالم الطفولة، ويستطيع باسلوب خاص جذب الطفل، ومعايشته للنتاج الأدبي الموجه له، فتحدث الإستجابات

---

[53] يوسف، عبدالتواب، صور مؤذية، ص١٣.
[54] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٨٩.

الوجدانية، والنفسية المطلوبة، ويكتسب الطفل عندئذٍ خبرة جديدة تثري فكرة، وتحقق له السعادة.[55]

[55] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٩.

ب) إثارة الخيال وإشباع الرغبات.

الخيال عند الأطفال وأهميته:-

ملكة الخيال فطرة في الإنسان، تظل ملازمة له منذ مولده، مع اختلاف في الكمية والنوعية والمعقولية، وذلك نتيجة لاختلاف العوامل، كالعمر والخبرات والتكوين العقلي والبيئة التي يولد فيها. فالطفل الصغير تكون خبراته العقلية محدودة، ومن جانب آخر فإن إمكاناته الخيالية غير محدودة، على النقيض من الرجل الناضج، ذي الحصيلة الوفيرة من الخبرات والثقافات، نجد أن ملكة الخيال قد ضمرت عنده إلى حد كبير، وحلّ محلّها نوع من التفكير المتصل الذي يصنع صورة متخيلة، لما يمكن أن يكون عليه وضع من الأوضاع. فالخيال ضرورة ألهمت خيال الشعراء والفلاسفة والمصلحين، وهي سمة إيجابية، فما أكثر ما تحوّل الخيال إلى واقع وحقيقة، فهو قد يكون بداية الإبداع الفني والعلمي[56].

والطفل كائن خيالي، فهو يسافر في أجواء الخيال محوّلاً كل ما يقع تحت يده إلى كائن آخر يشبع حاجاته وتطلعاته[57]، فهو بخياله يرافق أبطال القصة، ويطوف معهم العالم، ويذهب حيث يذهبون، ويغامر معهم ومن كل ذلك يشبع خياله الإيهامي، وتزداد خبراته، فهو كما يقول علماء النفس: يبني لنفسه عالماً من الخيال، ويحاول باستمرار تنميته، ويلح في طلب المزيد من الحكايات التي تساعده في ذلك، فأدب الأطفال، كما يراه ناقد وأديب عربي وهو ناصر الدين الأسد ((كالفيتامينات للفكر يحتاج عقل الطفل وخياله منها إلى أنواع مختلفة كل نوع يغذي جانباً من تفكيره وشعُوره))[58]

وقضية خيال الأطفال ليست قضية جديدة، فهي في مجال البحث والدراسة عند علماء النفس، والاجتماع، والتربية، والفنون، والآداب منذ فترة طويلة، وقد توصل الباحثون إلى، أن الخيال ضرورة من ضرورات الابداع.

وهناك خطأ شائع عن خيال الأطفال ومدى استيعابهم، وهو ظن الكتاب أن خيال الطفل محدود وضيق، ولو أنّهم وضعوا في حسبانهم وهم يكتبون للصغار سرعة تصديقهم لما يقال، وسلامة نيتهم وتسليمهم بما يكتب لهم، لما حددوا لمجال

---

56 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ،ص١٢١-١٢٢.
57 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٩٥.
58 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٩٤.

كتاباتهم أشياء بذاتها خوفاً من ضيق أفق الخيال عند الأطفال، ولتحروا الدقة، وراعوا الضمير الحي فيما يكتبون. فسرعة تصديق الأطفال للأمور وتسليمهم بها هي عونهم الأكبر في اتساع خيالهم بلا حدود، فالطفل يأخذ ما يروى له من حكايات وما يقرأ من قصص، وما يقابله فيها من شخصيات، وما يلاحظ من أحداث، ثم يخلقها من جديد حسب قدراته وكفايته، وهو يتقبل الظروف كما هي قبولاً مطلقاً، سواء كانت الظروف عادية أم مربكة ومشوشة، فيمكن أن يقع مالا يصدقه عقل، فالضفادع تتكلم، والأوزة تتقلب أميره والكرسي لسيارة، والعروس الدمية لممرضة، وجذع الشجرة يتحوّل كنزاً مملوءاً ذهباً وماساً، ومن ثم فلا خوف من أن يطلق الكاتب لخيالهم العنان فيما يفيد، فالأطفال يتقبلونه ويسعدون به[59].

فكاتب أدب الأطفال عليه أن يحاول تنمية الخيال، وحمايته من الزيغ والضلال، أو بمعنى آخر، توظيف ذلك الخيال في تكوين الشخصية المتزنة للطفل ومدّها بالزاد الروحي الذي لا غنى عنه، الزاد الذي يكمن في تراثنا الإسلامي العظيم[60]، وأن يتجنب الإغراق في عالم الخيال، فعلى الرغم من أهميته في الأعمال الأدبية، وميل الأطفال إليه في بعض مراحل حياتهم، إلآ أن الإغراق فيه يحول دون فهم الأطفال للغاية من الابداع الأدبي، ويحول دون إقبالهم عليه[61]، فالطفل يحب أن تعرض في أحداث قصته صور واضحة من الخيال مصنوعة من عناصر مألوفة له ومقتبسة من المألوف لدية[62].

لكن ما أكثر ما أسيئ استغلال الخيال في أدب الأطفال، بسبب تزييف الكبار للخيال، وتحويله إلى الإثارة، وهذه هي القضية الخطيرة، فقد مُلئت قصص الأطفال الخيالي بالإثارة، والمفاجآت، والقيم المريضة، وانحرفوا بأمزجتهم، ونفسياتهم، حتى أدمن قطاع كبير من الأطفال هذه النوعيات، وتشبثوا بها لأنّها تشدهم إليها بقوة، وتستولي على مشاعرهم، وقد يُبرر ذلك بغاية التسلية والامتاع والموانسة لا غير، متناسين أن الطفل يتمثل ما يقدم إليه من أحداث، ويترسم خطاها، ويعيش في دنيا من الوهم القاتل، الذي لا يمده بخيرات من الحياة والتاريخ، ولا يجعله يقترب من الواقع

---

59 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٤٠– ١٤٢.
60 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٢٣.
61 سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٧٧.
62 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٥٠.

الذي يعيش فيه، بل على العكس يبعده عن واقعه ويقوقعه حول نفسه. فهناك فرق بين أدب الأطفال الذي يثير خيالاً يكون له أثر تربوي، إيجابي، وبين الكـذب أو عـدم الصدق أو الاغراق في الخيال، الأمر الذي يبدد طاقة الطفل الواقعيه، ويجعله يحيا في أحلام اليقظة، ويهرب من مواجهة واقعه، كما أننا ندفعه بذلك إلى تحويل الخيال إلى أكاذيب، وقد يكذب ويكذب حتى يصدق نفسه حين يتجاوز سن الطفولة المبكرة[٦٣].

هذا ما قد جاء في مقالة لعبد التواب يوسف باسم: ((دراسة مقدمه للدورة التدريبيـه لبرامج الأطفال بقطر))[٦٤]

وقد أثيرت قضية(خيال الأطفال) في المؤتمر العالمي للكتاب، الذي أقيم فـي نيس بفرنسا عام ١٩٧١م، ونوقشت من زاوية مستحدثة، وهي أنّ خيال الأطفال قـد انتابه المرض، ولا بد من التفكير في وسائل إنقاذه، فصاحب مدرسة الخيال ببيربيلفيه يرى أن خيال الطفل قد أصيب بالمرض، وسببه تزييف الكبار هذا الخيال وتحويلـه إلى الإثارة، ويرى أنّ علاجه هو أن ندع الطفل يرسم كل ما ترسب في عقله الباطن، فيتخلص من قلقه ومخاوفه، وقد جرّب هذا النوع من العلاج. أمّا(فرنسوافيدال) فقـد وجد أن الأطفال يضيقون ذرعاً بسذاجة الكبار حين يكتبون كتابة ساذجة، ويطلقـون عليها(كتب الأطفال)، فمعظمهم لا يريدون أن يحدد الكبار لهم خيالاتهم، وهو يرى أن هذا الخيال يسبق خيال الكبار، فيجب أن لا نكذب عليهم أو نخفي عنهم الحقائق. كذلك يرى روجيه بوكيه أنّه ليس هناك أكثر من كتاب يقرأه الطفل أو ورقة بيضـاء يكتب أو يرسم عليها، ليحرك خياله. ويرى هرج أن رسم الخيال يحتاج إلى صـبر طويل، وكل فناني أوربا وكتابها ممن يحبون هذا الفن، يعرفون هذه القاعـدة جيـداً، والذين نجحوا هم الذين استمدوا خيالهم من صميم الواقع[٦٥].

---

63 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٦٦.

64 يوسف، عبد التواب،"دراسة مقدمة للدورة التدريبية لبرامج الأطفال بقطر"، جريدة الخليج بالامارات، عدد١٨١٧، رجب،١٩٨٤م.

65 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٤٣.

كيف يكون الخيال في أدب الأطفال تربوياً بناءاً ؟

لكي نعرف إجابة هذا السؤال لابد من أن نلقي نظرة على مخيّلة الأطفال في مختلف مراحل الطفولة. فلكي نحدد أدب الأطفال المناسب لكل مرحلة من مراحل الطفولة، لابد من معرفة تطوّر الطفل إدراكاً، وهنا سأتناول الخيال عنده في مختلف مراحله.

أولاً: مرحلة الطفولة المبكرة، من السنة الثالثة إلى الخامسة تقريباً، وتسمى مرحلة الخيال الإيهامي، وقد تسمى بمرحلة الواقعية، والخيال المحدود بالبيئة، فيها يكون خيال الطفل حاداً وإن كان محدوداً بما في بيئته المحيطه به، وقوة هذا الخيال تجعله يتخيل الكرسي قطاراً، والعصى حيواناً، والوسادة كائناً حياً يتبادل الحديث معه، وهذا النوع من خيال المتوهم، هو الذي يجعل الطفل في هذه المرحلة يتقبل بشغف القصص التي تتكلم فيها الحيوانات والطيور، ويتحدث فيها الجماد.

ثانياً: مرحلة الطفولة المتوسطة، وهي من الخامسة أو إلى الثامنة تقريباً، وتسمى مرحلة الخيال الحر، فيها يكون الطفل قد ألم بكثير من الخبرات المتعلقة ببيئته المحدودة، وبدأ يتطلع إلى عالم آخر أكثر إثارة، كعالم الجنيات والأقزام والعمالقة، والحوريات، والملائكة، وهذه القصص الشائقة تهيء للأطفال قدراً كبيراً من المتعة، وإن كانوا سيدركون بعد قليل من التساؤل أنّها خيالية، ولم تحدث في عالم الحقيقة، ولكنهم مازال معجبين بعالم الحيوان، إلآ أنه يتجه إلى الإبتعاد عن خيال التوهم في تعاملهم مع الحيوان والجماد، فبدلاً من أن يتخيلوا العصا حصاناً، فإنهم يتخيلون أنهم يركبون الحصان الحقيقي[٦٦]. فالكاتب لهذه المرحلة لابد أن يعمل على توسيع دائرة المعرفة ببيئة الطفل، وأن يكون الخيال المقدم له خيالاً إيجابياً. وطفل هذه المرحلة يكون مندفعاً نحو القصص الخيالي والخرافي، لكن الباحثين والمربين، يحذرون من مغبة الاستجابة إلى كل ما يريده الطفل في هذا المجال دونما الوقوف عقبة في وجه خيالاته[٦٧]، وإن كان غالبية الأدباء وكثير من المهتمين بنفسية الطفل، يرون الخيال من العناصر المهمة التي تساعد الطفل على رؤية الوجه الآخر للأشياء، وهم يقصدون

---

[66] نجيب، أحمد، أدب الأطفال، ص٣٨.

[67] الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٩١.

بذلك الخيال الذي لا يتعارض مع الحقائق العلمية، والذي لا يخيف الطفل، والذي يمكن استخدامه في حل المشكلات الواقعية التي يجب تعريفه بها[٦٨].

ثالثاً: مرحلة الطفولة المتأخرة، وهي ما بين التاسعة إلى الثانية عشر تقريباً، مرحلة المغامرة والبطولة، ففيها يبدأ الطفل بالإبتعاد جزئياً عن الخيال، ويرتبط بالواقع أكثر، وقد أخذ بالإنتقال من مرحلة القصص الخيالية، والحكايات الخرافية إلى مرحلة القصص التي هي أقرب للواقع، وذلك متناسب مع تقدمه في السن وزيادة إدراكه للأمور الواقعية[٦٩]، وهو في طور الإحساس بالذات ورغبة تحقيقها، لذلك يرغب بالإنتماء إلى الجماعة[٧٠]، كما تظهر عنده غريزة حب السيطرة والقتال، فتراه يتسلق الجدران، والأشجار، ويتعدى على غيره، ويشارك في الألعاب التي تظهر فيها المنافسة والشجاعة، لذلك تكون كتب المغامرة والبطولة أكثر ملائمة، على أن توجه إليها عناية كبيرة، وبخاصة من الناحية التربوية، تلافياً لخطر الأفكار النابعة من المغامرات[٧١].

وبعد أن ألقينا نظرة على خيال الطفل في مختلف المراحل من طفولته، نستطيع أن نجيب على السؤال، كيف يكون الخيال في أدب الأطفال تربوياً بناءاً؟

لكي يتحقق لكاتب الأطفال ذلك، لابد أن يراعي ما يلي:-

- مراعاة نفسية الطفل، والمؤثرات التي تؤثر عليها.
- ربط الخيال بهدف عالٍ يثري خبرة الطفل وثقافته، ويوسع آفاقه، ويسهم في إنماء قدراته الإبداعية.
- ارتباط الخيال بما هو صحيح في سنن الكون، وبما هو ممكن أو جائز أو نسبي.
- يدخل في نطاق الخيال ما يشبه المعجزة أو الكرامة، في إطار الإشتراطات المعروفه، ويمكن التعرض للسحر بناءً على ما ورد في القرآن الكريم، وعلى أساس التفسير الديني الصحيح له.

---

68 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٣٦.

69 نجيب، أحمد، أدب الأطفال، ص٤١.

70 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٩١.

71 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٣٦.

- إن معظم ما نقدمه للطفل من قصص حتى ولو كان واقعياً صرفاً، يثير لديه خيالاً، مختلفاً من طفل لآخر في اتجاهاته ومداه. لذلك يرى كثير من الدارسين أن القصص المقرؤة أو المسموعة توحي بخيال أشمل وأخصب، على النقيض من القصص المصوّر أو المشاهد في التلفاز مثلاً، فهو يحدد خيال الطفل ويقلل من تنوعه وامتداره. وكاتب قصص الأطفال البارع يمكن أن يستثير خيال الطفل، وينميه بأسلوبه المحكم وإيماءاته القادرة.
- إن جرعات القصص الخيالي يجب أن تتناقص من نمو الطفل العقلي، وازدياد خبراته، فكلّما ازدادت سنوات عمر الطفل الطبيعي، مال نحو القصص الذي يرتبط بالواقع.

إذاً لكي يكون الخيال مفيداً لابد من توجيهه، ووضع الظوابط له، حتى يعمل عمله السامي ووظيفته في التربية، واكسابه للخبرات، والنمو النفسي والوجداني والعقلي، لدى الطفل، لذلك يجب على الكاتب للأطفال من أن يكون ملماً بنفسية الطفل، وتطوّره، واحتياجاته، فمهمته ليست يسيرة[٧٢].

الخيال في قصص عبد التواب يوسف.

يؤكد عبد التواب يوسف على أهمية استعمال كل الوسائل المتاحة لإثارة خيال الطفل وتحريكه. وهو في كتاباته يحبذ الشكل الواقعي للقصة، لأن الطفل- كما يعتقد- يرفض مخاطبته من علٍ، ويكره الكذب والادعاء، كما يعرف الفرق بين الخيال والكذب[٧٣].

ومن آرائه- كخبير في أدب الأطفال- حول ما يكتب لهم:((وأطفال اليوم قد ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى كتب الأطفال، وضاقوا ببساط الريح، وسندريلا وغيرها، ورفضها كثيرون لأنّها بالغة السذاجة، ولأنها تحدد خيالهم، وفي الوقت الذي يستطيع هذا الخيال أن يغير الكثير من ذوقهم، وبالتالي يغير من عالمنا ذاته، لهذا ينادي البعض بألا نخاطب الطفل من أعلى، وخاصة في مجال الخيال، لأنّه يسبقنا

72 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٢٥ – ١٢٧.
73 الكيلاني، نجيب،" عبد التواب يوسف وصديقي الحقيقي"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي ،ص٥٥.

ويتفوق علينا في هذا الميدان بالذات))، ومن آرائه أيضاً:((أن هناك فارقا بين الخيال من جانب، وبين الكذب وعدم الصدق من جانب.... والأطفال يحبون سماع الحكايات التي يعتقدون أنّها ممكنة الحدوث، وهم أيضاً لا يرفضون الأحداث الخارقة))[٧٤].

قصة الدودة وشجيرة القطن[٧٥]

وهي قصة من مجموعة قصص تحت عنوان قصص خضراء من الأرض الخضراء، وتدور قصص هذه المجموعة حول حب الوطن.

تحكي القصة عن فتى مصري اسمه أحمد، وقد كان يحب حقل القطن، فقد عرف أنه يعطينا المادة الخام للقطن، فكان يرى تلك الزهرة الصفراء وقد استوت على عودها، تضئ الحقل كله، وأن كلّ أزهار القطن في ذلك الحقل، تبتسم للشمس كل يوم، وذات يوم وجد تلك الزهرة حزينة منكسة الرأس، نلاحظ ملاحظه جليـة، المزج اللطيف بين الواقع والخيال، مزجاً يجعل الخيال يتقرب إلى نفس الطفل المتلقي، ويحمله إلى معايشة الواقع والتقرب إليه، فنرى أنه رسم الصورة كلوحة فنيه تتلقاها الأنفس بطريقه تثير البهجة والخيال. صورة الحقل ذي الزهر الأصفر المبتسم للشمس، ثم كيف أنها حزنت كالإنسان وطأطأت رأسها، فسألت الشمس ما بال جارتها التي تعوّدت أن تطل عليها كل صباح حزينة؟ وعندما عرفت السبب حزنت لأجلها، وتوالت مظاهر الحزن من الزهرة للشمس للريح للعصفور، للشجرة التي يعشعش فيها، لاحظ أحمد هذ الحزن المخيم على الأرجاء، وعرف أنه بسبب الدودة(السخيفة) ولو أني أفضل عدم استخدام هذه اللفظة، وإن كانت للكاتب نظرته في محاولة استخدام الكلمة التي يصوّر بها الدودة في ذهن الطفل وخياله، ولكن افضل لو استخدم الفضولية أو الدخيلة مثلاً.

---

74 يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٦٨.

75 نقلا عن عز الدين إسماعيل ، "عبد التواب يوسف وتطور الكتابة القصصية للأطفال "، عبد التواب يوسف أدب الطفل العربي،ص٣٢

أمسك أحمد بالزهرة، وأخذ يقلب أوراقها، فوجد الدودة تأكل الورق.فنزعها بورقتها وأحرقها. قد يكون ذلك خطراً على الأطفال، لأنهم قد يحاولون التقليد ويحرقون أي دودة يجدونها أو حشرة على الأوراق، وإني أفضل – من ناحية المحافظة على البيئة –، لو كان استخدام الطرق الطبيعية لمحاربة الحشرات الضارة، وهي طرق لا تضر بالأشجار والأزهار، ولا تلوّث البيئة، كأن ينثر حشرات أخرى مضادة للحشرة المؤذية، ويا حبذا لو يُغرس هذا الإحساس بجمال الطبيعة والمحافظة على البيئة في نفوس الأطفال منذ البداية، وهو الأمر الذي نراه في قصص لعبدالتواب يوسف، التي تفيد في مجال المحافظة على البيئة.

جذب الكاتب أذهان الأطفال بتلك الصور التي تخدم الواقع والممزوجة بخيال عذب لطيف، خيال يساعد في تعزيز الأهداف التربوية والجمالية المنشودة.

فمن خلال الحوار بين شخصيات القصة من إنسان ونبات وجماد، ينمي لدى الطفل الشعور بالأشياء الأخرى والإحساس بها، وبالتالي التجاوب والتفاعل معها[٧٦] ومن ثم يثير لديه خيالاً خصباً مفيداً.

وعن طريق السرد للواقع، ممزوجاً بخيال يسانده، أفاد الأطفال معلومات جديدة بطريقه لطيفه، ترسخ في أذهانهم، فالخيال عند عبد التواب يوسف– كما قد سلف– خيال مرتبط بالواقع وهو يحذر من الإغراق في الخيال الأمر الذي يبدد طاقة الطفل، فهو يستخدم الخيال لخدمة الأهداف التربوية والجمالية. وهو يدرك أن رسم صورةً ما أو اختيار كلمة بعينها قد يثير خيال الطفل ويحرّكه. مختلفاً ذاك الخيال من طفل لآخر.[٧٧]

---

[76] عز الدين إسماعيل،"عبد التواب يوسف وتطوّر الكتابة القصصية للأطفال"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٣٣.

[77] يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٧٢.

إشباع الحاجات

من مميزات الكائن الحي النمو، والتفاعل المستمر مع البيئة المحيطة، ولابد من حاجات ضرورية ليتم هذا النمو والتفاعل. وللطفل حاجات أساسية وضرورية يحتاج إلى إشباعها ومثال هذه الحاجات تكوين فكرته عن نفسه، ثم علاقته بالآخرين حوله، وعن طريق هذه العلاقة تتكوّن فكرته عن نفسه، ويصل إلى مركز اجتماعي بينهم، ومن ثم إلى الأمن والطمأنينة. والاحساس بالإنتماء. ويعمل جهده للحصول على الاعتراف به كشخص مستقل عن الجماعة، وينتمي إليها في نفس الوقت، مستخدماً اللغة أحياناً، والمخاطرة واللعب الإيهامي، وربما الكذب الإيهامي في أحيان أخرى[٧٨].

ويسهم الأدب في إشباع هذه الحاجات النفسية والإجتماعية لدى الأطفال، ولكن ليس أي أدب، وإنما الأدب الموجه لهم، والذي يصاحبهم في مراحل نموهم، ويلبي حاجاتهم الفكرية، والعاطفية والسلوكية، ويوفر لهم في نفس الوقت المتعة والفائدة، فيترك في نفوسهم أثراً من الآثار الايجابية البناءة في شتى النواحي والمجالات، وبالتالي يسهم في اعداد الجيل ليكون لبنة بناءة في المجتمع المسلم[٧٩].

ولذلك لابد لمن يتعامل مع الأطفال أن يفهمهم أولاً، ويعرف أن الحاجات لديه تتغير بحسب سنه ونموه، كما أنه لابد من مراعاة للفروق الفردية للأطفال في السن الواحد، ولا يكفي أن يفهم حاجات الطفل، بل يحس بها، فإذا لم يحس الذي يتعامل معه إحساساً حقيقياً بهذه الحاجات، فإنه غير قادر على فهمها[٨٠].

ولا يكون التركيز على الاحتياجات وحدها، وإنما مع ذلك يكون إرضاء ميول الطفل ورغباته، وإمتاعه، وليس معنى ذلك مخاطبة الغرائز والميول فقط- كما يفعل البعض- فذلك أسلوب غير سوي في التربية، فالطفولة في حاجة دائمة إلى ظفيرة من الرغبات والاحتياجات معاً. والسر الحقيقي في عدم نجاح كثير من النتاجات الأدبية

---

78 خليل، رسمية، الإرشاد النفسي في مرحلة الحضانة، ص٣٧، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م.
79 بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص١٩٤.
80 الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٩٥.

الموجهة للطفل، هو عدم قدرتنا على صنع هذه الظفيرة بشكل يجتذبه ويعطيه الضرورات في وقت واحد[٨١].

فمن الضرورات والحاجات التي يسهم أدب الأطفال في إشباعها وتنميتها[٨٢]:

١) **الحاجة إلى الأمن** : وهي رأس الحاجات النفسية للكائن البشري، وهذه الحاجة يمكن إشباعها عن طريق أدب الأطفال، الذي ينتصر فيه الحب والترابط على غيرهما من المشكلات، والقصص التي تشبع حاجة الطفل إلى الإحساس بالطمأنينة والأمن بالله هي قصص جيدة، والقصص الديني له دور كبير في إشباع الحاجة للأمن عند الطفل، بما تبثه من مقومات الطمأنينة والاستقرار النفسي. وهذا ما نلحظة في قصة(قلب الصغير يدق...الله...)[٨٣]، لعبد التواب يوسف، وهي تحكي قصة واقعية حدثت لطبيب هو صديق المؤلف وأحداثها تدور حول صبي صغير اسمه أحمد وقد كان مريضاً، فقرر الأطباء اجراء عملية خطيره له، وتحدد الموعد وكانت أم الطفل شديدة القلق تقول للدكتور: العملية خطيره يادكتور.

فيرد عليها: ولكنها ضرورية ولازمة.

فتقول: إني خائفة وقلقة.

يرد عليها: اعتمدي على الله.

وجاء الموعد وحان الوقت لانتقال الصبي لغرفة العمليات وتأبي الأم إلاّ أن تدخل مع صغيرها، ويرفض الطبيب بشدة قائلاً: لا يمكن، مستحيل، ثم يرضخ لرغبتها بعد رجاء وتوسل، وبعد أن قطعت وعداً بأن تجلس على سجاده الصلاه لتصلي وتدعو الله في ركن الغرفة دون أن تلتفت لهم، وبدأت العملية الدقيقة، والأم تصلي وتدعو دون أن يسمع أحد منهم صوتها، وفجأة حدث شئ رهيب لقد توقف قلب الصغير عن العمل، لم يعد يدق، ورفع الأطباء أيديهم في ذهول، ومضت ثوان قليلة ولكنها كانت في تلك اللحظة كأنها ساعات، واليأس والجزع يسيطر على الجميع، وساد السكون، وأثناء ذلك، يرتفع صوت الأم بايمان وحرارة وتقول: يا رب، وقد بددت هذه الكلمه، ذلك اليأس والجزع، وإذا بهم أمام معجزه إلهية، إن دقات قلب

---

81 يوسف، عبد التواب، طفل ما قبل المدرسة، ص٦٨.

82 إسماعيل، عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٤٢.

83 يوسف، عبد التواب،"قلب الصغير يدق"، القاهرة، ١٩٩٧م.

الصغير عادت مرة أخرى وكأنّما تهتف الله...الله، وترجع أصوات الأدوات من جديد يلتقطونها ويعيدونها للعمل.

٢) الحاجة إلى الحب والحنان :- أن يحب الطفل الآخرين وأن يحبه الآخرون، الوالدان، والأسرة، والأصدقاء. وأدب الأطفال يشبع هذه الحاجة أخذاً وعطاء عن طريق تقديم نماذج من علاقات الحب والحنان بين الطفل والآخرين، وتعوّض له ما حرمه في حياته من إشباع الحاجة للحب. ونجد لإشباع هذه الحاجة كثيراً من القصص عند عبد التواب، التي تثير مواقف التعاون والمحبة بين الأفراد، ومنها، أول يوم العيد[٨٤]وهي ضمن مجموعة أركان الإسلام تحت قسم (الحج)، ولو أنّها تدور حول الاستعداد لعيد الفطر وليس الحج، فهي لصبي قد يكون بلغ من العمر ما بين العاشرة إلى الثانية عشر، وهو أحمد- وكثير ما يستخدم عبد التواب في اسم بطل قصته اسم أحمد- حيث إن العيد قد اقترب ويحاول الصبي أن يعد للعيد برنامجاً، ويفكر كيف يستقبله، فوجد أن لديه ملابساً جيدة قد صغرت عليه، وليس له أخ أصغر منه ليستفيد منها، فسأل أمه أن تخرجها وتغسلها وتكويها، ولفها في لفافات جميلة، وأهداها لابن البواب، وابن المسحر، وابن الكواء، وصبي بائع الصحف، وسعدت أمه كثيراً بما فعل، وعندما نظر إلى مكتبته، فإنه فكر بأن يتبادل الكتب فيما بينه وبين أصدقاءه، فتم ذلك بشكل أسعد الجميع لأنهم تخلصوا من الفائض ومما جعلهم يأخذون جديداً لم يكونوا قد قرأوها. ووجد أحمد قبل يوم العيد إعلاناً ملصقاً على الحائط، يذكر اين مكان صلاة العيد خارج المدينه، فعرف المكان وسأل أباه أن يذهبوا للصلاة في ذلك المكان وأن يعودا من طريق غير الذي ذهبوا منه، اقتفاءاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي طريق العوده وجد الطريق مملوءاً ببيوت الأهل والأقارب، فانتهزوا الفرصة لتهنئتهم بالعيد، وعاد أحمد إلى منزله مبكراً، حتى يستقبل المهنئين في صباح يوم العيد، ليقولوا : كل عام وانتم بخير، وفي المساء ذهب مع اسرته للجد والجده، وقص عليهم ما فعله في يوم العيد، وما قبله، وسعدا بذلك كثيراً.

٣) الحاجة إلى الانتماء : الشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها وهي الأسرة، المدرسة، ثم الأصدقاء ثم المجتمع المحلي، فالوطن، فالديانة- وإن كنت اختلف مع عبد الفتاح إسماعيل، حيث جعل الديانة في آخر المراحل التي يشعر الطفل بالإنتماء إليها، فالدين الإسلامي هو شريعة، ومنهج أنزله لنا وأرشدنا إلى طرق

---

[84] يوسف، عبد التواب، أول يوم العيد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م.

التعامل والانتماء، وأدب الأطفال يمكن أن يصوّر العلاقة الطيبة بين أفراد الأسرة الواحدة، وأن يدور حول الجماعة التي ينتمي إليها الطفل ووطنه وأن يعتز به.

وكثيراً ما نجد في قصص عبد التواب ما يشبع هذه الحاجة لدى الطفل وخصوصاً الإنتماء للوطن والدين، فتلحظ دعوته إلى التآلف بين العرب والمسلمين في كثير من القصص، حتى وان لم تكن القصة وطنية أو قومية، فمثلاً نجد في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام، بئر سبع[85] أنها تحكي عن سيرة النبي إبراهيم ورحلاته وكيف بنى بئر سبع، وفي آخر القصة، يقول على لسان هذه المدينة:((وأنا بئر سبع- هنا على الطريق بين الخليل، والمدينة المنوّرة حيث قبر محمد صلى الله عليه وسلم، لكن المعتدين قطعوا الطريق بين الاثنين، ووضعوا الحدود التي لا يرضاها الله بين فلسطين والجزيرة العربية، لكن مالا يرضاه الله سيزول، ويعود ركب الطريق يمضي عليه العري بين خليل اللع وحبيب الله، وأشهد من جديد قوافل النور تمضي جنوباً وشمالاً، وأعود عربية الوجه، مسلمة، مقدسة، كما كنت عبر القرون والأجيال)) وهكذا في كثير من القصص لديه. كسلسلة قصص البيئة.

٤) **الحاجة إلى التقدير** : فإن أخطر ما يتعرض له الأطفال، هو الإحساس بالنقص وأن لا يحظى بالإحترام المنشود، فأدب الأطفال يسهم في بث الثقة في نفوس الأطفال والوثوق في قدراتهم، لتحقيق مستقبل باهر.

وقصص عبد التواب فيها الكثير مما يشبع هذه الحاجة، منها على سبيل المثال، قصة: محمد صلى الله عليه وسلم راعي الطفولة[86] وهي من مجموعة محمد خير البشر صلى الله عليه وسلم، وهي عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان يتعامل مع الأطفال، يحبهم ويلاطفهم ويلعب معهم، ويحترمهم ويقدرهم، ويرحمهم، ومنها:((فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يهتم بالصغير ليس حين يبكي فقط انما هو يحترمهم، فكان يُسلم على الصبيان، ويحييهم، حباً لهم واحتراماً وتقديراً، وكان الصحابة يعرفون ذلك فكانوا إذا ما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة أو رحلة، بعثوا بأطفالهم لاستقباله قرب وصوله، فكان صلى الله عليه وسلم يفرح بهم ويستقبلهم بحفاوة)) وكثيراً ما نجد في السيرة مواقف تدل على احترامه صلى الله عليه وسلم للأطفال وتقديره لهم، فقد أمّر أسامة بن زيد على جيش كبير ليغزو به، على

---

[85] يوسف، عبد التواب، بئر سبع، ط٢، القاهرة،١٩٩٦م.

[86] يوسف، عبد التواب، محمد راعي الطفولة، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.

صغر سنه، لما رأى فيه من ملامح الثقة والشجاعة والجسارة، ونجد ذلك في قصص عبد التواب.

٥) **الحاجة إلى تحقيق الذات :** فإن لكل إنسان إحساساً بأنه يستطيع عمل شئ ما، وأن يكون هذا العمل ذا قيمة، فأدب الأطفال يستطيع أن يشبع هذه الحاجة عن طريق تأصيل المهارات، وتطوير القدرات، وصقل الخبرات واكساب الفرد ثقة اكبر بالنفس، كما يمهد للطفل طريق الاستقلال عن والدية. وعموماً فإن أدب الأطفال يشبع هذه الحاجة بما يقوم به أبطال القصص من أعمال ذات قيمة تؤدي إلى تحقيق الذات، قصص عبد التواب يوسف كثيرة، والتي تحكي عن أبطال وشخصيات قامت بأعمال ذات قيمة، كما في سير الصحابة، فرسان الإسلام، وأطفال أبطال، كلها قصص أشخاص قاموا بأعمال مجيدة وخالدة، وسماع الطفل لمثل هذه القصص يغرز فيه ثقته بنفسه، فعلى سبيل المثال، قصة طارق بن زياد[87]. تصوّر كيف كان طارق رغم صغر سنه ذو شخصية قوية وثابته وشجاعه متناهيه، وكيف أنه خاض البحار بجيش كبير، وأحرق سفنه، وعلت مقولته الشهيره:((البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر))[88] وذلك في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام حتى طرق أبواب أوربا وفتحت له واستسلمت. وأيضاً سلسلة هيا نقرأ. تشجع على القراءة وتزودهم خبرة وبالتالي ثقة أكبر بالذات.

٦) **الحاجة إلى المعرفة والفهم :** فالطفل يشعر أنه دائماً في حاجة إلى الاستطلاع، والتحصيل، وأدب الأطفال في معظمه يؤلف خصيصاً، ليشبع الحاجة إلى المعرفة والفهم عند الطفل، التي تدفع به تخيل أشكالاً من العلاقات بين الظواهر التي يراها ويجهل سرّها.

اذن فأدب الأطفال يستطيع أن يشبع حاجات الطفل الأساسية، سواء كانت فسيولوجية أم أمنية أم معرفية، أم وجدانية أم ذاتيه أم اجتماعيه أم وطنيه، وبالتالي يخلق منه إنساناً سوياً[89].

فهذا الأدب إذا ما قام على اسس إسلامية، وعلمية سليمة، فإنه يلعب دوراً كبيراً في خلق التوازن النفسي لدى الطفل، ويحميه من علل نفسيه كثيره.

---

87 يوسف، عبد التواب، طارق بن زياد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م.

88 ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، بيروت، ١٩٧٠م.

89 إسماعيل، عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٤٢.

فكاتب أدب الأطفال – على الرغم من أن الحياة ليست خيراً في كلّها – عليه أن يملأ قلب الطفل بالأمل والثقة، والمحبة والفرح، وأن يشير في نفس الوقت، إلى ما في الحياة من بعض الصعوبات بصورة إجمالية، توحي بالحذر، وليس باليأس والهلع أو الجزع، حتى يتخذ الموقف الإيجابي من الأمور التي تسيء وتُؤلم.[٩٠]

[90] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٢٨.

جـ) التوجيه الاجتماعي والوطني.

التوجيه الاجتماعي والوطني

((تتشكل هوية الإنسان، على منوال المعايير والقيم الإجتماعية لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه.... وفي عمق الجدل الشامل بين الإنسان والثقافة، تبرز التنشئة الإجتماعية حاضناً ثقافياً يتشكل فيه الإنسان، وينمو علي صورة المعايير الثقافية التربوية التي تحددها الثقافة عينها.... ويمكن القول بأن التنشئة الإجتماعية هي منظومة العمليات التي يعتمدها المجتمع في نقل ثقافته بما تنطوي عليه من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد إلى أفراده))[٩١]،[٩٢]

وكمسلمين فقد((اهتمت التربية الإسلامية بالإنسان الفرد كما اهتمت بالأسرة والمجتمع، فهي تهدف إلى تعريف الإنسان بمكانته وبمسؤلياته تجاه المجتمع، فالكل راع، والكل مسؤول عن رعيته))[٩٣].

وبما ان أدب الأطفال وسيلة من وسائل بناء الإتجاهات والقيم الإيجابية الخلاقة، وتكوين العواطف السليمة الصادقة[٩٤]عند الطفل، فإننا نستطيع أن نستغل هذه الوسيلة بإفضل الطرق.

فالأدب عموماً كذلك أدب الأطفال:((يخضع في مضمونه وأساليبه لمعايير المجتمع، وطرق التفكير السائد، باعتباره وظيفة من وظائف المجتمعات التي تشيع فيها قيم وعلاقات إجتماعية، سواء أكانت سالبة أم موجبة، فالأطفال يمتصون الثقافة بدون أن يعلموا ما هو مرغوب فيه، وما هو غير مرغوب فيه، ويكتسبون مفهومات كثيرة صحيحة، إلى جانب أخرى مغلوطة، لذا تتعالى نداءات المعنيين، وهي تدعو إلى إلتزام الأسس والمبادئ السليمة في الاتصال بالأطفال. من أجل بناء ثقافة للأطفال متوافقة مع العصر، ومتلائمة مع الآمال الموضوعة للمستقبل. وأن يكون هناك انتقاء

---

[91] وطفة، علي أسعد،" التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال" مجلة الطفولة العربية، ص٩٢، العدد(٨)، سبتمبر ٢٠٠١م.

[92] انظر، زهران، حامد، علم النفس الاجتماعي، ص٢٦٨، ط٥، القاهرة، ١٩٨٤م.

[93] وانظر، عبد السلام، فاروق، ومنصور، محمد، قائمة السلوك الاجتماعي للأطفال من٦- ١٥ سنة، مكه المكرمه، ١٩٧٩م.

العناني، حنان، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ص٢٦، عمان، ١٩٩٩م.

[94] العناني، حنان، أدب الأطفال، ص٢٦.

للإيجابيات. فلاشك إن الاتجاهات المؤثرة في مضمون أدب الأطفال متعددة حسب الفلسفات التي ينتي إليها الأديب[95] التي تنبثق عنها، فلابد أن يكون هناك انتقاء.

فأدب الأطفال يمكن أن يُسهم في تكوين السجايا والأخلاق الحميدة والسلوك القويم المقبول عند المجتمع، ومعروف أن خُلق الطفل وسجاياه تتكوّن، ونأخذ شكلها الواضح في الخامس من عمره.. فالطفل إلى جانب الطباع الموروثة- التي تكون بذورها في الطفل منذ الولادة- يتأثر بالجو الاجتماعي الذي يعيش فيه[96].

وللكيلاني في هذ الموضوع كلمة شاملة وواضحة وهي : ((أنه لابد من تحديد الرؤية للطفل دون خلط بين الأشياء، وإثارة الجوانب المظلمة في علاقات البشر وانحرافاتهم، بالأساليب المناسبة وبالجرعات الصحية، حتَّى لا يستبد به القلق أو يستوي عليه اليأس أو يطارده الفزع والرعب، ومن واجب كتاب أدب الأطفال بلورة الصورة المثلى للحضارة الإسلامية، كنموذج واقعي فريد اتسم بالتكامل الفريد، إذ ضمت بين جنباتها قيم الحب والخير والعدل والصدق والشجاعة، كما حفلت بتشجيع العلم واحترام التشريع وبغض كل ألوان العصبيات والعنصريات، وقدّمت للبشرية مجتمعاً سعيداً، وكانت حضارة نظيفة في وسائلها وغاياتها وفي حربها وسلمها، ويرتبط بذلك ما نطلق عليه المدينة الفاضلة أو عالم الغد الأفضل. فلسنا من أنصار التصوّرات الفلسفية الغربية، سواء لدى الأقدمين أو المحدثين من الفلاسفة، ولكن عالمنا الأفضل أو مدينتنا الفاضلة كمسلمين، لا تخرج عن إطار التصوير الإسلامي الصحيح للفرد والجماعة، ولحركة الحياة ونموها وتقدمها، والعمل على إيجاد مجتمع إسلامي تخفق عليه راية التوحيد، وينعم فيه المجتمع بالكفاية والعدل وبالحب والإخاء والمساواة، وبالحرية وتحرير الطاقات الإبداعية والفكرية الخلاّقة، وإعطاء فضيلة العمل حقها من التقدير والتشجيع، وقمع قوى التكاسل والتواكل والاستغلال. ذلك هو المجتمع الفاضل الذي يجب أن يحلم به الطفل، ويجاهد في سبيل تحقيقه، تنفيذاً لمبادئ الإسلام، ودعوة الحق والخير، التي حملها إلى البشرية نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم.. وذلك هو مقصودنا أن يفهم الطفل الحياة من حوله، فهماً سلساً مبّسطاً على

---

95 أبو مغلى، سميح، وآخرون، دارسات في أدب الأطفال، ص٤٥، ط٢، الاردن، ١٩٩٣م.

96 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٦٨.

أسس من الصدق والعلم..... وان يكون مثله الأعلى في المقارنة ومقياسه في الحكم على الأشياء هو الإسلام))[97]

وضمن تعريف الطفل بالمجتمع الذي حوله قيمه[98] وميوله واتجاهاته، تأتي ضرورة تعريف الطفل بوطنه، وربطه بماضيه وحاضره، ومستقبله، وتعريفه بأهداف أمّته[99]. يقول الحديدي: ان أدب الأطفال بأجناسه الأدبية ذات المغزى الديني والوطني، يدفع بهم إلى خدمة الآخرين وينمي فهم الوعي وروح التعاون، وعن طريق هذا اللون من أدب الأطفال- أي الاجتماعي والوطني- ينمو الصغير ويتطوّر من حالة التمركز حول ذاته إلى كائن اجتماعي يتمركز حول الآخرين، ويتحوّل من المتعة إلى الاحتمال، ومن الاحتمال، إلى المشاركة الوجدانية، ومن المشاركة الوجدانية إلى الإحساس العقلي بشعور الآخرين، ومن ثمّ يكون أدب الأطفال قد أسهم في خلق طفل مثابر مخلص، واجتماعي متعاون.......فليست الغاية هي إذكاء الخيال عندهم فقط، ولكنها[100] تتعداها إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية، والنظم السياسية والتقاليد الاجتماعية، والعواطف الدينية، والوطنية ومن ناحية أخرى، يرى الشنطي أنّه، ((يؤخذ على بعض ما نُشر من أدب أطفال في اللغة العربيه، والأدب الحديث، أنّه موجه توجيهاً صارما، ولا يعني بتفهم الحاجات النفسية، ففي الجانب الديني[101] يبدو مباشراً، وفي الجانب الوطني القومي يبدو مغاليا فيه مغالاة واضحة، خصوصاً لدى طائفة من الكتاب الذين لهم توجههم الخاص، من الناحية الفكرية أو الوطنية. وتبرز النزعة الوطنية جلية فيما يدعو إليه الكثيرون من ضرورة تلقين الطفل ثقافته الوطنية أولاً مرتكزة على التراث الشعبي، وما فيه من قيم إيجابية ومظاهر بطولية، وهذه النزعة لا تنفصل عن الواقع الاجتماعي الذي يدعو البعض إلى ضرورة كشف أبعاده المعينه للطفل، على الرغم من قسوته.. ويعقب الشنطي: وأعتقد أن حسن التأني في هذه المسألة والاقتراب بالطفل من عالمه الواقعي، دون أن يكون ذلك بشكل صارم. وعلى نحو رقيق، من شأنه أن يجعل الطفل على وعي بحقيقة وجوده، وقادرعلى التكيف مع محيطه وذلك على أن يتم اختيار السن الملائم، والوسيلة

---

[97] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٣٥.

[98] انظر: عشوي، مصطفى،" الثقافة والقيم الأخلاقية" مجلة الطفولة العربية، ص١٠٤، عدد١٠، مارس، ٢٠٠٢م.

[99] يوسف، عبد التواب،" فصول عن ثقافة الطفل" مجلة الطفولة العربية، ص٨٨، عدد(١٠) مارس، ٢٠٠٢م.

[100] الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٩٣.

[101] انظر، قنديل، محمد المنسى،" مشكلات الكتابة للطفل العربي" ثقافة الطفل العربي، ص٣٤، الكويت، ٢٠٠٢م.

المناسبة، والاسلوب المعقول، وعلى أن الهم الوطني ينبغي الا ّيبالغ فيه ولا تكـون الكراهية سيدة الموقف بل تكون المحبة))[102] ولا يختلف رأى محمود شاكر عن الآراء السابقه إذا يقول:((أما إذا تناولنا قضية الحرية والوطن.. والأعداء. فثمـة جوانـب قريبة من نفس الطفل هي التي يجب أن يتحسسها المبدع ويتناولها من خـلال تلـك القضايا، ولكن هذا لا يعني أن يبتعد الأدب بتوجيهاته عن المشكلات الكبـرى التـي عانى منها مجتمعه كالواقع السياسي والاجتماعي في مجتمعاتنا العربية في هذا العصر المتغير، مما يحتم على الأديب شحن الأطفال بكراهية الاستعمار برموزه المختلفـة، كالصهيونية، والعدوان وأساليب القهر والاحتقار، وأن يعلي من قيم الشجاعة والوطنية والفردية))[103] وللدكتور قنديل كلمة عن التسامح في هذا المجال، فيقـول:((ان الأدب الموجه للطفل يجب أن يستخرج من الحضارة العربيـة قيمهـا الايجابيـة ومثهـا التسامح.... والتسامح هنا لا يعني قبول العدوان وعدم الدفاع عن النفس، ولكنه قبول الرأي الآخر، والثقافة الأخرى والجنس الآخر، وعلى الطفل أن يعي أن أمر إنسانية الإنسان هو قبوله، وقدرته على التنوع والاختلاف- ممـا يغنـي التجربـة الثقافيـة للإنسان....... كما أنه على العائلة العربية ان تكون إحدى مؤسسات المجتمع المدني، وأن تساعد أفرادها على الشعور الناضج بالمواطنة والولاء للوطن، ككل وليس فقـط للعائلة))[104]

والوطن للمسلم، هو كل الوطن العربي، وكل وطـن مسـلم، تحقيقـاً لقـول المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم((المؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـد بعضـه بعضا))[105]. فإذا تفكك هذا البنيان أو بدأ التمايز بينه فلاشك أنّه سينهار وسيقع. وقال صلى الله عليه وسلم:((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحـد إذا اشتكى منه، عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[106]

وهذه قضية في غاية الأهمية، وهي أن يعرف الطفل أوطانه العربية المسـلمة حوله، فليس الوطن فقط. هو المكان الذي يكون موقعه عليه، وبذلك سيكون مفهومه للوطنيه أشمل وأرقى في معناها الإنساني والإسلامي.

---

102 الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٩٣.

103 سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٧٩.

104 قنديل، محمد المنسى،" مشكلات الكتابة للطفل العربي" ثقافة الطفل العربي، ص٤٧- ٥٠.

105 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، حديث رقم ٤٦٨٤، موسوعة الحديث الشريف (CD).

106 صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٥٥٢، موسوعة الحديث الشريف (CD).

ويُعلّق د. الكيلاني على هذا الموضوع، وكيفية معالجته في أدب الأطفال فيقول:((لقد تعددت الانتماءات في دولنا الإسلامية بل والعربية، ولم يعد غريباً أن نرى دولة إسلامية تحارب العدو، ونرى أخرى تصادقه أو تتآزر معه، بل نرى صبغاً من العلاقات الشائنة بين دول إسلامية تتعادى وتتحارب، فتسيل الدماء أنهاراً، وبذلك يتمزق شمل الأخوّة الإسلامية، وتتعثر قوى وحدتها، ويرى الطفل، عندما تنمو مداركه، تلك الصورة القائمة لواقع الأمة الإسلامية، فترتسم في ذهنه علامات تعجب واستفهام كثيره، وتنتابه الشكوك والوساوس، ويتخبط حائراً بين ما يتعلمه في المدرسة وما يشاهده من أحداث مؤسفة، واحباطات مؤسفة، إن الإيمان بالوحدة الإسلامية فريضة... والنعرات الإقليمية والعرقية التي تضاد الوحدة الإسلامية خطيئة.. فكيف يتصرف الذين يكتبون للطفل في هذه القضية الشائكة))[107]

واجب كتاب أدب الأطفال في هذا المجال :

ثم يحدد ما على الكتاب[108]– كتاب أدب الأطفال– في عشر نقاط:

((١– عليهم أن يقدموا الأدلة الدامغة من واقع الحضارة الإسلامية الزاهرة، وتاريخها العظيم على حقيقة هذه الوحدة وارتباطها بعقيدة الإسلام.

٢– بعث النماذج المعبرة عن هذه الوحدة، متمثلة في الحكام والقادة والعلماء، الذين واجهوا الأحداث التاريخية أو شاركوا فيها، حفاظاً على الكيان الإسلامي، وفي مواجهة الزحوف العدوانية.

٣– إبراز التجاوزات المعاصرة والمضادة، للوحدة الإسلامية بأسلوب واضح مقنع، وبطريقة تبعث على الأمل في المستقبل، واعتبار تلك التجاوزات عللاً طارئة يمكن علاجها، والتخلص من آثارها متى صدقت النوايا وصلحت النفوس، وعاد الناس إلى أصول دينهم الحنيف.

٤– تعريف الناشئة بدول العالم الإسلامي وثرواته ومشاكله، وكتابة القصص والمؤلفات المناسبة به، والتركيز على قصص الجهاد في فلسطين وأفغانستان وغيرها.

٥– الاهتمام بدعم الإخاء الإسلامي خاصة، والإنساني عامه، وترجمة المناسب من أدب الأطفال من لغات الدول الإسلامية غير العربية، إلى الأدب العربي، ونشر

---

[107] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٣٧.

[108] وانظر، العناني، حنان، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ص٢٦.

قصص البطولات الإسلامية المعاصرة في الجزائر والهند وليبيا وأفريقيا وغيرهـا، أثناء الهجمة الاستعمارية، وحركات الاستقلال والتحرر من يد المغتصبين.

٦- تنقية التراث المعاصر من كل ما يسئ إلى العلاقات الإسلامية، أو يثير الأحقاد أو يبعث على القطعية والفرقة.

٧- تطوير أساليب الدعوة الإسلامية، بما يتناسب وطبيعة العصر الذي نعيش فيه.

٨- تجنب بعض المشاكل التي لا تتناسب مع مستوى النضج، والتمييز لدى الطفل، مع التركيز في الوقت نفسه، على الجوانب المشرقة، التي تملأ قلب الطفل بالاعتزاز والفخر، وتزيد من مشاعره الايجابيه سياسياً وعقائدياً.

٩- تشجيع نشر اللغة العربية- لغة الإسلام الأولى ولغة القـرآن الكـريم- بـين الشعوب الإسلامية وتقديم الحوافز والمنح السخيّة في هذا المجال.

١٠- عدم السماح بترجمة الآثار الأجنبية الخاصة بالأطفال، والتي تتناقض مع ما نؤمن به من عقيدة دينية، أو تسيء إلى قضية الوحدة الإسلامية، أو تنحـو بأطفالنـا منحى الأنانية والتقوقع، أو تقلل من شأن انتمائهم الإسلامي))[١٠٩]

وأضيف، أنه من الجيد أيضاً الاستدلال في هذه المواقف بآيات الذكر الحكـيم والأحاديث النبوية الشريفة، وتضمينها لكتاباتهم، حتى ترسخ المعاني والقيم الإسلامية من أصولها في ذهن الأطفال.

وفي هذا الموضوع يقول صلى الله عليه وسلم((علـيكم بالجماعـة وإيـاكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنّة فليلتزم بالجماعة))[١١٠]

إن أدب الأطفال يجب أن يكون له دوره في تنظيم هؤلاء الأطفال، وتعويدهم على العلم والمعرفة وغرس الحرص على الواجب والمسؤولية، والتعاون والبنـاء، وكل ما يعينهم على إثبات أصالتهم وفاعليتهم في الحياة، وتنمية دورهم الحضـاري، الخالد والإسلام جوهره، ولن يتم ذلك، إلا إذا كانت النماذج المقدّمة ملائمة لهم عقدياً

---

[109] الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٣٨.

[110] رواه الترمذي، الجامع الصحيح ، باب ما جاء في من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، رقم الحديث ٢١٦٥ ، موسوعة الحديث الشريف ، (CD)

وفكرياً وفنياً وتربوياً ولغوياً وثقافياً وتعليمياً، وفق شروطهم وبامكاناتهم وخصـــائص مراحل عمرهم[111].

عبد التواب يوسف والمجتمع والوطن

يعطي عبد التواب يوسف للمجتمع أهمية من حيث أن المجتمع – كما يقول – ((له قيمه وأخلاقياته التي قلّما نخرج عليها، ولهذا فهو أداة تربويـــة فـــي منتهـــى الأهمية، والخطورة)).....((وأياً كان الموقف من المجتمع وتقاليده وقيمه فنحن في مسيس الحاجة إلى التعرف عليه، والاقتراب منه، والتعامل معه، وإذا كان المجتمـــع يفرض علينا الكثير، ويشكل – بصورة أو بأخرى – لوناً من ألوان تربية أفراده، فإن الأفراد عليهم تجاه هذا المجتمع واجب ومسئولية، ذلـــك أنّهـــم مطـــالبون بتطـــوير مجتمعهم، والأخذ بيده إلى مدراج الرقي والكمال)).....((إن المجتمع تركيبة شديدة التعقيد، وهو في واقع الأمر مجتمعات عدة تتداخل وتتشـــابك...)) ...((وللمجتمـــع مؤسساته التي تشارك في تربية أفراده.. ومسؤولياته كبيرة وضخمة.. إن المجتمـــع مؤسسة تربوية كبيره تساهم في تشكيل حياة أفراده.. وتأثيرها عليهم لا يقل عن تأثير الأسرة[112]، فالمجتمع يملك أدوات كثيرة تشارك في صنع الأفكار والرأي العام))، ((وقد أصبح المجتمع علماً قائماً بذاته.. والطريف أن مبتكر علم الاجتماع عربي، وهو العبقري ابن خلدون، ومع ذلك فإن معرفتنا بهذا العلم قليلة وأغلب ما ندرســـه منـــه وعنه مستورد))[113].

وعبد التواب يوسف في كتاباته للأطفال، ودراساته للكبـــار، نجـــده الكاتـــب المنتمي، أي لديه الشعور بالانتماء إلى مجتمعه وإلى وطنه الصغير وإلـــى الـــوطن العربي الإسلامي الكبير، وإلى قيم هذه الأوطان الإسلامية. يقول مصـــطفى كمـــال

---

111 أبو الرضا، سعد،" التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي" مجلة الطفولة العربيـــة، ص٧٠، عدد(١٠) مارس ٢٠٠٢م.

112 انظر: نمر، عصام وعزيز، سمارة، الطفل والأسرة والمجتمع، ص٩، ط٢، عمان، ١٩٩٠م.

113 يوسف، عبد التواب، دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء، ص١٧٧، ط٤، القاهرة.

علمي عن عبد التواب:((هو ينتمي إلى هذه الأرض، وإلى المجتمع، ويعبر عن ما في نفسه في كتاباته من معاني، ومن انتماء لهذا الوطن، وأهله وحقله))[114]

وتقول نتيلة إبراهيم:((من المحاور التي يدور حوله إبداع عبد التواب يوسف في مجال أدب الأطفال: المحور الوطني، فيبصر فيه أطفالنا، بحضارتهم القديمة والوسيطة، ويناشدهم من خلاله إلى ضرورة مضاعفة الجهد والعمل، لأنّهم في منافسة كبيرة من أبناء عالمهم المعاصر، وقد وضح هذا الجانب في مجموعة: قصص عربية، من كل بلد عربي حكاية. ويبدو أن هذا المحور أوضح ما يكون في معاركنا الكبرى، وهو أول كتاب في سلسلة عن المعارك التي قامت دفاعاً عن الإسلام والعروبة.. وفي كتاب أشبال ٦ أكتوبر. وكذلك أم حنان، وهي فلاحة بسيطة كان لها دور فريد في حرب أكتوبر، ثم الربان الجريء وهي رواية بحرية عن بحار خليجي كافح ضد البرتغاليين والإنجليز. ومجموعة قصص خضراء من الأرض الخضراء، كلها تدور حول حب الوطن والأهل والاعتزاز بالعروبة والعمل من أجلها.. وظهر هذا أيضاً في وضوح في مسلسل صلاح الدين الأيوبي في ثلاثين حلقة إذاعية، وأيضاً في الجنرال عبد الستّار البطل الجبّار، وهو يروي فيها قصة الطفل الذي كافح ضد جنود نابليون، خلال حملته على مصر. بجانب سلسلة عن العرب المسلمين الذين شاركوا في هذا الكفاح: الجوسقي العراقي، المغربي محمد الليبي، الكيلاني من الجزيرة العربية، سليمان الحلبي من سوريا، الجزّار من فلسطين...ألخ كلّهم قاتلوا ضد نابليون))[115]

وأخيراً يشيد د. حسن عبد الشافي بأعمال عبد التواب في المجال الوطني، وهدفه من هذه الأعمال المقدمة للأطفال، فيقول:((بحثه الدؤوب عن قصص الأطفال في الوطن العربي الكبير، وتقديمها للأطفال العرب في كل مكان بالأقطار العربية، بهدف التواصل والتقارب بينهم بما يؤدي إلى الشعور المشترك بالانتماء، والفهم الواضح للبيئة العربية))[116]

فما هي نظرة عبد التواب لهذا الوطن؟ ..:((لقد امتد وطننا من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، حيث المغرب، أحياناً نراه طائراً كالطاووس، رأسه عند

---

[114] حلمي، مصطفى كمال،" عبد التواب يوسف الكاتب المنتمي" عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص١٨.

[115] إبراهيم، نبيلة،" حول عبد التواب يوسف للأطفال"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٧،٧٩

[116] عبد الشافي، حسن،" عبد التواب يوسف وقراءات الأطفال"، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٨٣.

المغرب وينشر ذيله عند المشرق في الخليج والكويت.. وأحياناً نرى قلبه في مصر وجناحيه في المشرق والمغرب.. إن لوطننا صوراً تشكيلية أثارتها خرائط الجغرافيا، التي نتطلع إليها في حب، لأنّها تعلمنا أين أرض الآخرين.. تقول لي هنا النيل في السودان ومصر.. هناك البترول في الكويت والسعودية.. هنا كذا.. وهنا كذا.. ونحس بالعالم كله إطاراً لوطننا ونحس به قلب الدنيا، وهو قلبها بحق وصدق))[117]

ويتطلع عبد التواب إلى:((أن يحب أبناؤنا وطننا كل الحب، وأن يتغنوا به، وبخيره، وأن يعدوا أنفسهم لخدمته، والبذل في سبيله، ولو كان المطلوب بذل أرواحهم وحياتهم، لأن ذلك هو السبيل لحريته والحفاظ عليه، لذلك فهناك جهد مطلوب من المدرسة والبيت والمجتمع لغرس حب الوطن في نفوس الأطفال، منذ وقت مبكر..... ....وليس أمر التربية الوطنية يقف عند هذا الحد، بل إننا بُلينا بفقدان أجزاء من أرضنا في أرجاء متفرّقة، ومُزقنا دويلات وأقطار، وكان لابد من النضال ضد العدوان، سواء كان احتلالاً للأرض، أو نهباً للثروات أو تقسيماً للبلاد.. ومن هنا كان لابد أن نربّي الطفل على حب أرضنا في كل قرية وواحة وفي كل محافظة وولاية، وفي كل دولة وقطر.. وكان لابد أن نربي النشء على حب مواطننا في كل أرجاء الوطن العربي، ابتداء من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة القومية، بل الأسرة الإنسانية قاطبة.. ومن هنا تجئ التربية الوطنية، فإنّها إنسانية المستوى، تُخرج الإنسان عن نطاق اهتمامه بذاته فحسب.. وهذا اللون من التربية هدفه الأول الوطن والقوم والإنسان.. ولابد ان يُبنى هذا الحب على المعرفة والفهم لترسيب الوعي به والولاء له))[118]

إن خلق المواطن الصالح، الذي يحافظ على حقوق وطنه العربي، هو من أهداف القيم العربية، وهي تتفق مع مبادئ حقوق الإنسان العالمية، وميثاق الأمم المتحدة، وميثاق جامعة الدول العربية[119]. وقد جاء في حلقة الاهتمام بالثقافة القومية

---

[117] يوسف، عبد التواب، دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء، ص١٦٨.

[118] يوسف، عبد التواب، دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناءص١٧٢- ١٧٦.

[119] يوسف، عبد التواب،" الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال" ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، ص٥٧٥، القاهرة، من ٣٠ شوال إلى ٢ ذي القعدة ١٤١٢ه، وأيضاً: عبد التواب، يوسف، " مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال بدول الخليج العربي" ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ص٣٣٣، الرياض.

للطفل العربي[١٢٠]، ما يفيد على ضرورة تعريف الطفل بوطنه، وربطه بماضيه وحاضره ومستقبله، وتعريفه بأهداف أمنه، مع تنمية مشاعر إيمانه بعروبته وثقته في مستقبل هذه الأمة، حتى يحس بمواطنته العربية، مع تحصينه ضد العصبيات والنعرات القبلية والطائفية والإقليمية، وتأكيده على قدرات الإنسان الذي صنع الواقع والتاريخ، وبالتالي خلق الثقة في نفوس الأطفال، بقدرتهم على تحقيق الواقع والتاريخ التي يصبوا إليها مجتمعهم، وهذا ما أشار إليه عبد التواب يوسف في كتابه فصول عن ثقافة الطفل ويقول فيه : ((ان الطفولة من وجهة نظري، إعداد للحياة، وهذا الإعداد يتطلب منا أن نجعل الطفل يعايش واقعه، ويواجهه، ويجابه ما يمكن أن ينتظره وراء منعطفات الطريق من أمور يجب أن يستعد لها ويجهز أسلحته ويشحذها))[١٢١]

وأخيراً أختم بقول لعبد التواب يوسف : ((إن أبناءنا بخير ماداموا يعرفون ربهم، ويعيشون على صلة به سبحانه وتعالى، ماداموا يعرفون تعاليمه، وفروضه تجاه مجتمعهم، وماداموا يعرفون واجبهم نحوه جلا وعلا إزاء عطائه الكبير، ليتنا نعيد النظر في كتبنا في هذا المجال.. ليتنا كمجتمع نبذل جهداً اكبر لدعم القيم الدينية في النفس، ليتنا كأسرة، نغرس بذور الإيمان في نفوس الأبناء، بكل الأساليب والصور، ليتنا كأجهزة إعلام، نعرف الطريق الصحيح إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية، نرسخ فيها قيمنا الدينية، لكي يعمر ما بين الإنسان وربه والإنسان ومجتمعه والإنسان ونفسه))[١٢٢]

---

120 حلقة الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربي ، بيروت ، سبتنمر ١٩٧٠م.وقد قدم عبد التواب يوسف في هذه الحلقة بحثا بعنوان الاهتمام بمسرح الطفل .

121 إبراهيم، خيري السيد،" عرض ومناقشة كتاب: فصول عن ثقافة الطفل لعبد التواب يوسف"، مجلة الطفولة العربية، ص٨٦، عدد١٠، مارس، ٢٠٠٢م.

122 يوسف، عبد التواب،" الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال" ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، ص٥٧٥.

القصص الاجتماعية والوطنيه عند عبد التواب يوسف

اهتم عبد التواب يوسف بقضية اللغة العربية- وهي اللغة التي تجمع بين المجتمع والوطن العربي-، ومحاولة التقريب بينها وبين الطفل العربي، وله جهود مبذولة في هذا المجال، ليس فقط لأنها لغة الوطن العربي ولكن لأنّها لغة القرآن الكريم، كتاب المسلمين، فقد قال تعالى:((كتب فصّلت آيته قراءناً عربياً لقوم يعلمون))[123] وله مجموعته: لغتنا الجميلة، وهي عبارة عن اثنين وثلاثين قصة صدر منها ثمانية قصص عن اللغة العربية وعلمائها وقواعدها.

ويتطلع عبد التوابَ إلى أن يصبح الطفل العربي، طفلاً قارءاً متقفاً. في شتى مجالات العلوم والفنون وكتب التاريخ وكتب تراثنا العربي، ويظهر ذلك ملياً لنا من مجموعته: هيا نقرأ، التي تضم خمسة عشر قصة أو كتاب، وهي: الكتاب إنسان، قارئ الصور، شجرة الكتب، الكتاب غالٍ، أنا أقرأ.. فأنا موجود، الفراغ العريض، كنوز الكتب، مذكرات تلميذ، مهرجان بدون مهرج، طارد الطيور، الفأر القارض للشعر، عش الحروف، يقرأ.. وهو يمشي، دودة الكتب، الوزير الصغير. وعناوين الكتب تظهر لنا، كيف يهتم عبد التواب بفتح باب العلم أمام الأطفال عن طريق القراءة، التي هي من العناصر الأساسية في تنمية ثقافة الطفل، كما يذكر في كتابه فصول عن ثقافة الطفل[124] ويضرب لذلك مثلاً بقوله:((إننا بحاجه ماسة إلى تعريف أبنائنا بالثقافة، وعندما نرغب في تجسيد معنى كلمة الثقافة وشرحها ببساطة للكبار أو للصغار، نضرب لها مثلاً مادياً: فنقول أننا نأكل النشويات والبروتينيات والفيتامينات... الخ ويتم هضم ذلك في المعدة والأمعاء، لتتحول إلى طاقة تحركنا، ونحن في نفس الوقت نقرأ ونشاهد ونسمع ونحصل على خبرات ونمر بتجارب وكل ذلك يهضمه العقل ليصبح ثقافة تنعكس على سلوكنا وتصرّفاتنا)) وبذلك يبدأ المجتمع في النمو نحو الرقي بسلوكيات أفراده، وتنظيم أفكارهم ومعتقداتهم وتصحيح خبراتهم.

ومن خلال نظرة عابرة على قصص عبد التواب نلاحظ وجود التوجيه الاجتماعي، وان لم تكن قصة مَعْنيّه لهذا المجال، فهناك مجموعة: أركان الإسلام، كثيراً ما يكون قد ضمنها توجيه اجتماعي، ومع أن الطابع العام لها ديني فهو يربط

---

123 سورة فصلت آية رقم(٣).

124 إبراهيم، خيري،" عرض ومناقشة كتاب فصول عن ثقافة الطفل لعبد التواب يوسف" مجلة الطفولة العربية، ص٨٩.

بين الإسلام وأركانه، والمجتمع المسلم. وهناك أيضاً مجموعة حكايات عائلية، فبما أن العائلة وحد من وحدات المجتمع الكبير فقد اهتم بها عبد التواب في قصصه، ونضم هذه المجموعة عشره قصص: أسرة مترابطة، آباء وأبناء، أخت وأخ، ولد وبنت، أم وبنت، أب جديد، زوجة أبي، أبي على المعاش، الصغير والمدرسة، العائلة الكريمة. وهي قصص تعالج قضايا العائلة في المجتمع، وتظهر الجوانب الحسنة، على عكس ما يعتاد سماعه الناس في مجتمعاتهم[١٢٥].

[125] انظر طعيمة، رشدي، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائيه، ص١٩٩.

الحروف الاجتماعية[126]

هذه القصة من مجموعة لغتنا الجميلة، وهي طويلة بعض الشيء، عمّا تعودناه من المجموعات الأخرى لطفل الثمان إلى الثانية عشر، وهي مجزأة إلى ثلاثة أقسام متصلة ببعضها. وتبدأ بمقدمة وهي:((لغتنا العربية تحتاج منا إلى المزيد من الحب.. حروفاً وكلمات، جملاً وعبارات، نُطقاً وفهماً، كتابة وقراءةً.. إنّها لغة رائعة، رفيعة المستوى.. وإذا ما تفهمتموها أصبحتم أكثر قدرة على الاستيعاب، والتعبير، والتفكير.. وقد ثبت أن من يُثرون لغتهم ينجحون في حياتهم.. ويصبحون أثرياء أيضاً.. إن الحروف تحتاج منكم للاهتمام والرعاية وكذلك الكلمات، لذلك فإن لغتنا تحتاج ليوم سنويّ ندرِّب ألسنتنا خلاله على الفصحى، وعندما يتكرر نصبح أكثر قدرة على التعامل بها، ونحسن التحدث بها، وتسهل قراءتها.. إننا إذا احتفلنا بها فسوف تأخذ بيدنا إلى الصواب والطريق السليم))

ثم تبدأ أول أجزاء القصة، وهي تدور حول يوسف الابن ووالده، الذي أراد أن يعاقبه، لأن غرفته قد سادتها الفوضى، يهتف الصغير ويرجو أباه بأن لا يَكون عقابه حرمانه من اصطحاب الكتاب ليلاً إلى فراشه. ووعده بأنه سيرتب غرفته سريعاً، وقد اعتاد يوسف على اصطحاب كتابا معه قبل نومه يتصفحه. وذات مرة حمل معه كتاباً منشوراً بالعربية الانجليزيه، صفحاته اليمنى عربية واليسرى بالإنجليزية، وكان يجيد اللغتين، وحاول المقارنة بين الصفحة ومقابلتها وأخذته سِنَة من النوم، وترامى إلى أذنيه أعجب حوار سمعه في حياته، إذ تبادلت الصفحتان الحديث، على النحو التالي، حيث بدأته الصفحة العربية بقولها:((السلام عليكم، وأهلاً وسهلاً! لم تَرُدّ الصفحة اليسرى، بل راحت كأنما تتلفت من حولها، باحثة عن مصدر الصوت، إلى أن تنبهت إلى أن الكلمات تأتيها من الصفحة المقابلة، فسألتها: هل توجهين كلامك إليّ؟

- نعم وليتك رددت التحية لأطرح عليك سؤالاً، أرجو أن تتفضلي بالإجابة عنه.

ما هو سؤالك؟

- لماذا تقف حروف كلماتك منفردة متفرّقة؟

[126] يوسف، عبد التواب، الحروف الاجتماعية، ص٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- هكذا شاء أصحابي الذين يكتبون بالحروف اللاتينية.
- ألا ترين أن ذلك شئ غريب؟
- لا أجد فيه غرابة.. حروف كلماتي تفضل أن تستقل بنفسها.
- لماذا الا تترابط وتتشابك مكوّنة الكلمات؟
- تدهشني كلماتك المكتوبة والمنطوقة.
- كلماتي المكتوبة تحب أن تعتصم بحبل الله جميعاً.. وكلماتي المنطوقة تسألكِ لكي تعرف، وهي لا تتزعج للحروف المستقلة، بل ترحب بالتنوع والرأي الآخر.
- حسبتك تظنين نفسك أفضل مني؟
- لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى والعمل الصالح.

ومرّت فترة صمت، يبدو أن كل صفحة كانت تستعيد، خلالها ذلك الحوار وتريد أن تتعرف على حقيقة موقف كل منهما من الأخرى: أهو خلاف بينهما؟ أم هي مناظرة؟.. تُرى هل ينقلب إلى شجار ويتوقف الحوار؟

كانت الصفحتان والكلمات والحروف أعقل من أن تقوم بينهما الحروب.. ورغبت في أن تواصل الحديث.. سألت الصفحة الانجليزية في صوت حاولت أن تجعله رقيقاً مهذباً، إذ كانت تريد أن تعرف:

- لكن ما كل هذه النقاط والشُّرط والدوائر الصغيرة، وما يشبه الفاصلة المقلوبة، وغير ذلك مما أراه من فوق حروفِكِ وكلماتك، ومن تحتها أيضاً؟

ردت الصفحة اليُمنى باسمة في عذوبة:

- هذه ما يسميه أهلي التشكيل، ليسهل وييسر فهم المعاني، ويُحسن من نطق الكلمات بالفتحة أو الضمة، بالكسرة أو السكون.

وراحت الصفحة تصدر هذه الحركاتِ بأصواتها المعروفة: أ، إ، أ.. . ابتسمت الصفحة اليسرى وكأنّها تستمع وتستمتع بالموسيقى، صادرة عن الصفحة العربية، التي أنهت عزفها، سائلة:

- إنّ هذه الحركات الصوتية لها عندي حرفٌ للمد، فتضاف:A للفتحة، ويضاف(O) للضمة، وهناك(I) للكسرة، وأحياناً(E).
- لكن ألا يطيل هذا اللون من الحروف الكلمات؟

- يحدُثُ ذلك كثيراً، إلى درجة أنّهم يدرون به .. أنظري كيف يكتبون كلمة مثل : سويسرا : Switzerland إن الكلمة بالحروف اللاتينية تحمل ضعف الحروف في اللغة العربية تقريباً .. كما أن هُناك حروفاً عديدة تسقط من الكلمة عند نُطقها .. بل أحياناً نجد كلمة تمتد إلى ما يقرب من سطر .. ما أطول كلمة في لغتكم العربية ؟

ابتسمت الصفحة العربية وقالت : هناك إجابة ضاحكة على هذا السؤال تقول إنّها كلمة : جَمِيلة، لأن بين الجيم والتاء المربوطة ميلٌ كامل.

ضحكت الصفحة اليسرى، في حين واصلت الصفحة العربية حديثها قائلة :

- يصعب أن تجدي كلمة تزيد حروفها على أصابع اليد الواحدة الهم إلاّ إذا كانت نقلاً عن لغة أجنبية.. كلماتنا قصيرة، وأساسها المصدر، وهو غالباً ثلاثي أو رباعيٌّ، وقلّما يكون خماسياً !
- الهذ ا السبب تبحثون في المعجم عن معاني الكلمات من خلال أفعالها المجرد من الحروف الزائدة، في حين يبحث أصحاب اللغات الأوربية اللاتينية عن معاني كل كلمة على حدة !
- تماماً، كما يقف كل حرف عندكم على حدة.

قالت الصفحة اليسرى :

- إنني أغبطكم على ترابط حروف الكلمات عندكم – ولا أحسدكم عليها، لأن الحسد يعني الرغبة في زوال النعمة، وأنا لا أحبُّ هذا .. إن تواصلها وترابطها شيء جميل بحقٍّ، وفيه مودة ومحبّة.
- ولكن ذلك لا يقلل من قيمة وروعة استقلالية الحروف عندك لتبقى لكلٍّ منا ميزة و ....

فتح يوسف عينيه ليكتشف أنه كان في حلم لذيذ، فقفل كتابه ووضعه بعيداً عني الفراش، وأطفأ النور، واستغرق في النوم وقد رسم على وجهه ابتسامة رضاً عن هذا الحلم الطريف)).[١٢٧]

كان هذا هو الجزء الأول من القصة وهو كان حلم يوسف، وأراد عبدالتواب يوسف بطريقة مبتكرة أن يجعل هناك مقارنة يوضح فيها للطفل القاريء، عن بعض

---

[127] يوسف، عبدالتواب، الحروف الاجتماعية، ص٢-١٠.

خصائص كلاً من اللغتين العربية والإنجليزية، وكأنه في هذا الحوار الذي دار بين اللغتين يشعر الطفل بأنهما شخصان، وعن طريق محاورتهما يقدم المؤلف الطريقة المهذبّة في التخاطب والنقاش مع الآخرين وفي احترام وجهات النظر للآخرين بما فيها من اختلاف. حيث أخذت كل لغة تتحدث للأخرى إما متسائلة عن التي أمامها أو متحدثة عن نفسها وخصائصها، ويظهر من حديث الصفحة العربية عن نفسها، محاولة المؤلف لغرس الثقة في نفوس الناشئة وأيضاً تعريفهم بقيمة لغتهم الجميلة الراقية. وبالتالي الاعتزاز بها، لما لها من خصائص غير موجودة في لغات أخرى. على عكس ما يحاول أعداء اللغة العربية أن يبثوها في نفوس الناشئة.[١٢٨]

ويظهر لنا من هذا الجزء من القصة : التوجيه الاجتماعي، في التركيز على كيفية التخاطب بين شخصين ذي ثقافتين مختلفتين، وكيف يجب أن يكون التحاور والنقاش : الهدوء، والاحترام من كلا الطرفين للآخر ولثقافته المختلفة، وليس للسخرية أو الازدراء أو التحقير، وأيضاً حديث كل لغة عن نفسها وخصائصها في ثقة واعتزاز وليس بغرور وتكبر.

ثم تطبيق قوله صلى الله عليه وسلم : (فليقل خيراً أو ليصمت)[١٢٩]

والبشاشة في مقابلة الآخرين والترحيب والبدء بالسلام هو من تقاليد المجتمع الإسلامي، وقد يبتعد أبناؤنا عن هذا الشيء لعدم معرفتهم أنه من قيمنا الإسلامية، ويحاول المؤلف أن يضمن قصصه هذه القيم الإسلامية، وما لدينا في هذه القصة هي قيم اجتماعية إسلامية، حتى يعرف الطفل طريقة التعامل مع الآخرين.

والجزء الثاني هو عبارة عن حلم أيضاً وكان احتفالاً أقامه أصحابه بمناسبة (يوم اللغة العربية) وهذا اليوم يحتفل به الطلائع ممن في سن يوسف، يلتزمون فيه بالحديث باللغة الفصحى، ويحرصون على نطقها بشكل سليم، ويرتجلون خطباً كثيرة، قصيرة يحيّون فيها لغتهم العريقة .. وكانت هناك في الحفل كلمات للدكتور أحمد أبي موسى رئيس منظمة الطلائع يقول فيها : ((اللغة العربية ليست لساناً فحسب، بل احدى أبرز علامات درب العرب إلى الوحدة والنصر، والاحتفال بيوم اللغة العربية تعبير ساطع على الجهد المبذول لتحسين أداء اللغة، وعيد نحصد فيه نتيجة التربية

---

128 انظر ، قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٢٢٠، ط٣، جدة ١٩٨٩م.

129 صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ، رقم الحديث ، ٦٧،٦٨،٦٩، موسوعة الحديث الشريف (CD)

المثلى على اللسان العربي الفصيح))[130] ثم كلمه للاستاذه ندوة النوري، ثم للكاتب الدكتور حسام الخطيب، وكلّها كلمات تندد باللغة العربية العريقة، وكيف أنها تتعرض لتحديات تنتصر فيها لعراقتها.

أما الجزء الثالث : فهو جزء طريف عن استخدام العبارات والتراكيب المناسبة، وأن تشكيلها يجعلها تختلف من معنى لآخر مثل : أنا قاطفُ الوردةِ وأنا قاطفٌ الوردةَ.

وفي القصة إبراز لأهمية دور معلم اللغة العربية، ورسمه في القصة بشكل طريف مقبول لدى الناشئة على عكس ما أراده خصوم اللغة العربية.

والجزء الثاني يَظهر فيه معاني الوحدة الوطنية العربية : ((اللغة العربية ليست لساناً فحسب بل هي إحدى ابرز علامات درب العرب إلى الوحدة والنصر)) في كلمة أحمد أبي موسى وأيضاً : ((ويجب أن تظل اللغة العربية عامل توحيد وتقريب وتفاهم مشترك)) في كلمة الكاتب الدكتور : حسام الخطيب.[131]

---

[130] يوسف، عبدالتواب، الحروف الاجتماعية، ص١٤

[131] يوسف، عبدالتواب، الحروف الاجتماعية، ص١٣-١٤.

الجامع [132]

وهذه القصة : هي من مجموعة : أركان الإسلام، تحت قسم الصلاة، وكل ركن من أركان الإسلام، تحته خمسة قصص، فهي خمس وعشرون قصة. وفي المقدمة يتحدث المؤلف عن الجامع وهو المسجد، ويطلق عليه في مصر الجامع لأنه يجمع المصلين خمس مرات في اليوم، والقصة في الأصل رواها الكاتب الأستاذ عبدالعزيز صادق، وقد كانت (في سطور قليلة مضيئة، التقطها بقلب وعقل مفتوحين وبإيمان صادق) كما يقول المؤلف في المقدمة.

وبداية القصة : ((كان أسامة الصغير يعيش في القاهرة، المدينة ذات الألف مئذنة، وعندما يمر بواحدة منها يرفع بصره إليها، وهي تنبثق من قلب الجامع كأنها كف مرفوعة للسماء وذات مرة سأل والده :

- لماذا ترتفع المآذن عالية ؟
- لكي يراها الناس من بعيد، وليسمعوا صوت المؤذن .. وهي تهدي الضالين والتائهين إذا هم اتجهوا إليها.
- لكن العمارات تحجبها الآن عن العيون والميكرفون يكفي.

قال الأب : لقد أصبحت المنارات طابعاً وتقليداً إسلامياً عريقاً .. وأضحت رمزاً دينياً لكل ما تحمله من بهاء ورواء وجمال)).

وأخذ الابن يسأل ووالده يجيب عن الجوامع ومآذنها، ومهمتها، وأطال الابن الأسئلة والوالد يجيب بكل رحابة صدر، ليعي ابنه عن ما حوله.

((وسكت الصغير قليلاً ثم قال : هل أسئلتي هذه حرام ؟

ضحك الأب : حرام ألا تسأل ! حرام ألا تفكر في مثل هذه الأسئلة وتطرحها. التفكير فريضة أوجبها علينا الإسلام .. والسؤال مفتاح المعرفة .. والسؤال القرآني يقول : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)[133])) وبالآية الكريمة يختم المؤلف الجزء الأول من القصة وقد كان عبارة عن أسئلة يطرحها الابن ويجيب عنها الأب، وبذلك يستفيد الطفل القارئ الكثير من المعلومات حول المساجد ومآذنها وأهمية

[132] يوسف ، عبد التواب ، الجامع ، القاهرة ، ١٩٩٥م.
[133] يوسف، عبدالتواب، الجامع، ص٦.

هذه المآذن فيها، وأشكالها، ثم تنبيهه لأهمية السؤال، حتى يتعلم الشيء الذي لا يعلمه، وكانت طريقة السؤال والإجابة شيئا مثيرا لاهتمام الطفل، فهو يحب إذا ما سأل أحدهم سؤالاً أن يجيب عنه أو أن يعرف الإجابة وهي طريقة شيقة بالنسبة لطفل التسع سنين.

ثم كان الجزء الثاني من القصة عن أسرة أسامة والتي تتكون من والديه، وأخته الصغرى بسمه، وقد كان يحبها كثيراً، وقد أخذت الوالدة ابنها وبنتها للسوق لشراء بعض الأشياء، ولعب الصغيران أمام نافورة جميلة في ميدان، وقبل أن تعود إليهما والدتهما بنظرها اختفت الأخت الصغرى، وقد بدأ الأخ بالبحث عنها وقد كان منزعجاً والدموع في عينيه وأصاب الأم الذعر أخذت تنادي وهي تمضي يميناً وشمالاً، قابضة يد أسامة، تتحرك في عصبية وقلق، قال لها : ((تعالي بنا نبحث عنها عند الجامع .. أبي قال إن منارته تهدي الصالحين والتائهين !

قالت :– إنه يعني هداية الضالين عن سبيل الله والتائهين عن طريق الإيمان !

حاول الصغير أن يفلت يده من يد أمه لكنها رفضت في إصرار، لكنه قال لها :

– لا تقلقي .. ستكون المنارة وجهتي أينما ذهبت .. واستطاع الصغير أن يستقِل بنفسه عند باب المسجد، وقال لوالدته :

ما رأيك في أن أبلغ إمام الجامع ؟

سألت الأم : وماذا في يده أن يصنع ؟

– لا أدري .. أبقي أنت هنا يا أمي قرب الباب ..

اندفع الصغير يريد أن يدخل الجامع، وهنا علا صوت الأم تنبهه إلى ضرورة أن يخلع الحذاء .. فأسرع يتخلى عنه، ويمضي مهرولاً في الجامع، إذ شعر أنه ليس من اللائق أن يجري داخله .. وسرعان ما وجد نفسه أمام الشيخ الذي ابتسم في وجهه مرحباً))[١٣٤].

وأخبر أسامة الإمام بالأمر، وأعطاه أوصاف أخته ذات الاربع سنوات وترتدي ثوباً أبيض وحزاماً أحمر وحذاء أسود. وقد هدأ الشيخ من روع الصبي ووضع يده على كتفه طالباً منه ألا يقلق.

وطلب الإمام الميكروفون، وقد ظن أسامة أن موعد أذان العشاء قد حان وأن الشيخ سوف ينادي للصلاة ولكن المفاجأة له أن صوت الإمام ارتفع وهو يقول :

---

[134] يوسف، عبدالتواب، الجامع، ص١١.

((بسم الله الرحمن الرحيم .. أيها المسلمون .. أيها المؤمنون، أيها المصلون .. يا عباد الله .. هناك طفلة صغيرة اسمها بسمة .. ترتدي ثوباً أبيض وحزاماً أحمر وحذاءً اسود .. هي في الميدان، أو قريبة منه .. عمرها لا يزيد على أربع سنوات .. من يجدها نرجوه أن يأتي بها إلى الجامع .. إمام الجامع في انتظار ابن الحلال الذي يأتي بها من أحد أبوابنا الأربعة)).[١٣٥][١٣٦]

وكرر الشيخ نداءه، وقد هدأ روع الأخ وقال وهو يهمس شكراً .. بارك الله فيك، وسأله الإمام عمن الذي معه فأجابه والدته فأخذ إليها الميكروفون لتكرر النداء لابنتها، وبعد لحظات قصيرة وبعد أن انتشر الخبر عبر مكبر الصوت، وما هي إلا دقائق، وكانت بسمه بين ذراعي والدتها ومع شقيقها، وقد شكرت الأم الإمام وقالت له : الفضل لك، فرد الرجل الطيب : الفضل لله، وإذا بالوالد يهل عليهم إذ سمع النداء، وعندما رأى ثلاثتهم التقط أنفاسه، وسمع أسامة يهتف : وجدناها .. ببركة الجامع.

وتنبه الجميع لكلمة الجامع، وقال الشيخ : ((إنه جامع للناس،ليس للصلاة فقط، بل يجمعهم على الخير .. ويهديهم سواء السبيل، وطريق الرشاد .: كل تائه سيجد نفسه في الجامع)).

وكانت خاتمة القصة هي الحديث الذي دار بين الأب وهو يحكي لأسرته فيقول لهم (تاريخ الجامع وكيف كان جامعة ومعهداً، ومدرسة ومكتبة، ومستشفى، ومسجداً .. بل لقد جمع المقاتلين في كل العصور .. وحكى كيف انطلقت ثورة ١٩١٩م من الأزهر الشريف وهو جامع وجامعة – وكيف ارتفعت منه صيحة النضال ضد التتار والفرنجة حين جاءوا إلى بلادنا .. ولقد كان الجامع وراء هزيمة كل معتدٍ على أرضنا وحقنا)).[١٣٧]

والخاتمة هي عبارة عن رؤس أقلام أو عناوين كثير من الأحداث التاريخية التي حدثت في جامع الأزهر الشريف، فإذا ما سمع الطفل عن هذه الأحداث، فإن الفضول لديه سيجعله يبحث عن هذه الأحداث بالتفصيل إما عن طريق الأسئلة الكثيرة، أو عن طريق طلبه لكتب في هذا المجال، والقصة عموماً تحكي عن أهمية المسجد من

---

[135] يوسف، عبدالتواب، الجامع، ص١٥.

[136] قد ورد في الأثر عدم جواز إنشاد الضالة في المسجد ،ففي المعجم الكبير ، ج١٧ ،ص ١٨١،((أن رجلا نشد ضالته في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ثم قولوا لاردّالله عليك ضالتك وكره أن يقولها هو)) ، وفي مصنف عبد البر ،ج١ ،ص٤٤٠ ،((نشد رجل ضالته في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم :لاوجد ضالته)). المكتبة الألفية للسنة النبوية .

[137] يوسف، عبدالتواب، الجامع، ص١٨-١٩.

الناحية الاجتماعية، فهو أولاً يجتمع فيه أصحاب الحي الذي حوله ليؤدي فيه الفريضة وهو بذلك يكون ملتقى لهم يجمعهم ليتعارفوا وليعرفو عن من حولهم وعن أحـــوالهم فإذا كان هناك مريض عادوه، وإن كان فقير ساعدوه، وإن كان زواج ذهبوا يباركون لأهله، وإن كانت هناك مشكلة لأحد من أهل الحي ذهبوا إليه ليســـاعدوه فـــي حـــل المشكلة.

وفي القصة إظهار لأهمية المسجد في المجتمع المسلم ، فالناس جميعهم يعـــرف الجامع الأزهر ولذلك نادى الإمام وقد نادى (المسلمين والمؤمنين والمصـــلين) لأن غير المسلم لا يدخل المسجد، وأيضاً هناك تعاليم لدخول المسجد ، فقد طلبت الأم من أسامة بأن ينزع حذاءه ولم يجر بل كان مهرولاً، ولا يرفع صوته وفي المقابل كـــان الإمام متفهماً وكان متعاوناً وقد قام بدوره كإمام للمصلين، وشعر بتحمل المسؤولية، وأيضاً احترام أسامة للشيخ ورحمة الشيخ للصبي، وهناك لفتة بسيطة في اســـتخدام المؤلف كلمة ميكروفون عدة مرات وقد استخدم كلمة مكبر الصوّت مرة واحدة، وقد يكون السبب لتعوّد سماع الطفل الكلمة ميكروفون ولو كانت الكلمة في كل مرة مكبر الصوت لكان أفضل، ولتعود الطفل على كلمة مكبر الصوت المعربة .

د) تعميق إدراك روعة ماضي الأمة.

د) تعميق إدراك روعة ماضي الأمة

الحضارة الإسلامية:

إن الإسلام على العموم، والحضارة الإسلامية العربية على الخصوص، يتمتعان بأهمية عظيمة، فالحضارة الغربية ابتداءً من الفلسفة والرياضيات إلى الطلب والزراعة، مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير)).[١٣٨]

وقد قصدت أن أبدأ الفصل بمقولة لمؤرخ مستشرق لا ينتمي إلى الحضارة الإسلامية أو العربية، حتى يكون إثبات الشهادة أقوى، مما لو كانت من مؤرخ مسلم أو عربي يشهد بعظمة حضارته وروعتها، فهناك العديد من المؤلفات لمؤرخين مستشرقين، عوضاً عن المؤرخين العرب والمسلمين، الذين يشهدون لتلك الحضارة بالعظمة والسيادة، وإن وجدَ آخرون منكرون عليها هذه العظمة، فذلك الإنكار نتيجة صراع الشرق والغرب منذ قرون مضت، وإلقاء العرب الرعب في قلوب الأوربيين، وساعد على هذا ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير.

وعلى الرغم من ذلك، لم تخل أوربا من مؤرخين أقروا ما للعرب من فضل في تمدينها ومنهم غوستاف لوبون، وكتابه حضارة العرب،[١٣٩] وروم لاندوم المؤرخ الإنجليزي، وكتابه ((الإسلام والعرب))، وزيغرد هونكة، المؤرخة الألمانية، صاحبه كتاب شمس الله تستطع على الغرب، وغيرها العديد من المؤلفات لمستشرقين ومسلمين وعرب، فهناك مراكز للبحث في الغرب في العصر الحديث، والتي تدرس فقط أصول حضارتنا، وتراثنا.

ولكن على الرغم من الجهود التي تبذل، والطاقات العلمية التي تهدر، في سبيل تعريف الجيل المعاصر بقيمة حضارتنا، وعلى كثرة المؤتمرات التي عُقدت، والكتب التي نُشرت، ومراكز البحث التي انتشرت في العالم، وكلّها تؤكد أصالة تراثنا وجذوره العميقة في علوم الغرب، وأنّه اعتمد عليها في حضارته، فما زال هذا الجيل لا يصدق هذه الحقائق، لأنّه لم يتعرف عليها من قبل، ولأنه نشأ في ظل الفكر الغربي

---

[138] لاندوم، روم، الإسلام والعرب، ص٩، بيروت، ١٩٦٢م.

[139] لوبون، غوستاف، " حضارة العرب "، الفيصل، ص٨٣، عدد (٥١)، يوليو، ١٩٨١م.

وانبهر بحضارته المؤثرة في حياتنا في كل دقيقة، ولو تتبع ودرس كتب التراث دراسة عميقة لوجد الكثير مما في حضارة الغرب تقوم أسسه على حضارتنا.[١٤٠]

والرؤية التي تسود فكرتنا عن أنفسنا، وفكرة الآخرين عنا، لن يتاح لها الوضوح والاستقرار إلاّ إذا بلورنا إطاراً راسخاً لهويتنا.[١٤١]

فكيف للطفل أن يتوصل إلى هذه المعرفة، وأن يدرك روعة ماضي أمته، ويستشعر إحساس القدرة على الإبداع والقيادة ؟ ! إنها مسؤولية الكبار، الأسرة، المؤسسات التربوية، وكُتّاب أدب الأطفال، مسؤليتهم جميعاً، فلا بد من تبسيط وتقريب تلك المعرفة عن حضارتهم، وتاريخهم، وتراثهم إلى عيونهم، وآذانهم، وقلوبهم، وجعله قريباً في متناولهم.

إن المسألة في عصرنا آلت إلى معضلة معقدة التركيب، وذلك بدخول عنصر مقتحم جديد، وهو موضوع الحضارة الغربية الجديدة في طابعها المادي، وتلك المفاهيم الوافدة، والأفكار الدخيلة، وأكثرها هجين، ولم تنبثق من حياتنا، ولم تفرزه مجمّعاتنا، ومثل هذا الوضع يجعل المجتمعات العربية والإسلامية أمام تحديات خطيرة، ويجعلها في ذروة المواجهة مع حضارة الغرب خاصة مع أطفالهم.

فلا بد أن نتعرف على تلك الحضارة الإسلامية العربية، عن كثب وتعرفها الأطفال لأنهم مستقبلها، فالطفل يكون مبتور الثقافة، معوج الشخصية، ما لم يستلهم تجارب حضارته الإسلامية ويستوعب منجزاتها، ويعرف امتدادها، وهيمنتها، ويلم بأعلام الإسلام في كلّ المجالات، ويعرف أن مجالس العلم والنشاط العلماء لا يقل أهمية عن ميادين الجهاد، وفتوحات القادة.[١٤٢]

((إن ما نحتاج إليه هو أن تعزز ثقتنا بأنفسنا، وبتراثنا، وبغنى حضارتنا، وسمو مثلنا وعظمة ماضينا، فالشجرة الوارفة مهما نمت وارتفعت وازدهرت وأثمرت فإنّها لا تستطيع أن تتجاهل جذورها، وتتعامى عن أصولها، وكذلك الأمم، إذ ليس بوسعها أن تشيح بوجهها عن ماضيها، ولا أن تتنكر لتراثها، لأن في ذلك طمساً لمعالم أصالتها، وهدراً لأهم مقوّمات شخصيتها، وتفويضاً لأعز دعائم وجودها)).[١٤٣]

---

140 عز الدين، يوسف، " الفكر العالمي العربي وحضارة الغرب "، الفيصل، ص٣٩، عدد (١٦٨)، ديسمبر، ١٩٩٠م.
141 الغمري، مكارم، " مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي "، الفيصل، ص٣٨، عدد (١٨٧) يوليو، ١٩٩٢م.
142 الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، ص١١٦.
143 الدقاق، عمر، " الشخصية العربية بين جذب الغابر وإغراء الحاضر "، الفيصل "، ص١٨، عدد (٥٦)، ديسمبر، ١٩٨١م.

فكيف بنا نعزز تلك الثقة في نفوس الأطفال، ونشعرهم بروعة ماضي أمتهم، وكيف أن أبطالها كانوا قدوة، فيتحملون مسؤولية امتداد حضارة الأجداد، فأجدر بنا أن نحتفي به ونحتفل، وأن نمنحه اهتمامنا، وإلا كنّا ورثة سفهاء، لثروة نبددها في حماقة شديدة.[١٤٤]

عبدالتواب يوسف وقضية ماضي الأمة وحضارتها :

كيف ينظر عبدالتواب يوسف لهذه القضية، هل أشار إليها في قصص الأطفال، وإن أشار لها وتطرّق ؟، هل هو من الذين ينظرون للماضي أنه عصر الخيمة والجمل، كما ينظر إليه كثيرون – لجهلهم بما في ذلك العصر – ؟، هل يريد للأطفال أن يكونوا عصريين متحررين، من الماضي يعيشون حياتهم دون الالتفات لماضي أجدادهم، أم أنه يريد لهم أن يعيشوا بمنظار الماضي، ويتخلفوا عن أنظارهم في عصرهم ؟ فالنص التالي لعبدالتواب سيوضح ما يريده لهم، فيقول : ((نريد لأطفالنا ثقافة تعلي من قدر الإنسان، وكرامته، وتحفظ له حياته وآدميته، نريد لهم سلاماً وأمناً في عالم تزدهر فيه كل الطاقات، وتثمر من أجل خير الجميع وصالحه، وما من سبيل للثقافة المتمناه لأبنائنا مستقبلاً، إلا إذا عُدنا إلى الماضي وإلى النبع، أي أن نضرب جذورنا العميقة في تربتنا وبيئتنا، لكي تنمو شجرة التقدم، والاهتمام بالجذور يعني أن نقتلع ما حولها من الأعشاب والطفيليات، وأن نقيها من التلوث، وأن نمدها بكل أسباب الحياة العصرية، لتقاوم الأعاصير والزوابع، والسبيل الوحيد أن نمد جذورها في التربة أعمق وإلا فإنه يسهل على الريح اقتلاعها فنحن بحاجة أن نغرس جذورنا عميقة في تربتنا، تاريخياً، وجغرافياً، حتى لا يفقد أبناؤنا هويتهم، وليس تعصب، بل هو الشيء الطبيعي الذي تفعله كل الدول التي تحترم نفسها، وقوميتها، وتراثها، ولذلك لا بد أن تزدهر أعمالنا التراثية العربية ومؤلفاتنا الإبداعية))[١٤٥]

فبهذا النص يستطيع القارئ أن يستخلص وجهة نظر عبدالتواب يوسف في هذا المجال، فهو يريد أطفالاً يعرفون ماضيهم المجيد جيداً، ويعتزون به، مما يزيدهم ثقة بأنفسهم في عصرهم الحالي، فلا يريد أطفالاً يعيشون حياتهم العصرية فقط، منقطعين عن تراثهم وما فيهم، منبهرين بما يرونه حولهم من تقدم للحضارة الغربية دون أن

---

[144] يوسف، عبدالتواب، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر، ص١٨، القاهرة، تاريخ الطبع : بدون.
[145] يوسف، عبدالتواب، " تنمية قدرات الطفل الثقافية ومستقبل الطفل العربي "، القافلة، ص١٧، يوليو، ١٩٩٣م.

يعرفوا أن لهم أعظم منها، وهو أيضاً في المقابل لا يريدهم سجناء الماضي والتاريخ اكثر منهم عصريين.

لذلك ينادي كاتب الأطفال : ((أنه يجب علينا ألا نقع في ثلاثة محظـورات : الأول : التعصب، الثاني : التواكل، الثالث : أن يصبح الطفل سجين الماضي والتاريخ أكثر منه إنساناً عصرياً)).[١٤٦]

وهو يرى أنّه يجب التركيز على التاريخ الإسلامي، وكيف كان الـدين وراء الازدهار والتقدم العربي وأن الدين يمكن أن يكون مدخلاً رائعاً لكثير مـن ألـوان الثقافة.

ويتساءل عبدالتواب هل استطعنا استثمار هذا التاريخ والإفادة منه للأطفـال ؟ وكيف يمكن أن تستثمره بشكل أخّاذ يجذب إليه الأطفال، ولا ينفرهم منه ؟ وذلك لأننا في المدرسة نلقنهم التاريخ بشكل مزعج حقاً، أصوات متوالية، أرقام سنوات، حشـد من المعلومات لا طاق لهم بها، سردٌ سخيف، وعرض للموضوعات ممل ورتيب، ولا نبتكر إطارات حلوة لهذا التاريخ، يجعله أكثر جاذبية وإمتاعاً، ويجعلهم أكثر إقبـالاً عليه. فالغربيون وصل بهم الأمر إلى اختراع الأطر والشخصيات، ليعوّضوا أنفسهم عن الفترات التاريخية التي لقوا فيها الهزيمة منا نحن العرب، بمعنى أنهم ابتكـروا شخصية خرافية أطلقوا عليها الملك آرثر، وفرسان الملك آرثر، وكتبوا عنها عشرات الأعمال المؤلّفة، ونسبوا فيها لأنفسهم انتصارات مزيفة، ومواقف إنسانية مختلفة، في الوقت الذي لم نحسن نحن تقديم أبطالنا المنتصرين، من أمثال صلاح الدين، وقطز، والظاهر بيبرس، للأطفال، هاتان الصورتان المتقابلتان تكشفان إلى أي حد نقصر في استثمار تاريخنا، والاستفادة منه لربط أطفالنا بجذورهم العميقة عبر الزمن، فالإنسان مقطوع الصلة بأصله لن يلقى نجاحاً، والأصالة مطلوبة قدر المعاصرة فلا نحن نريد أن نتخلف عن عصرنا، ولا نحن قادرون على الانفصال عن ماضينا.[١٤٧]

والحضارة الإسلامية تضم حشداً كبيراً من علماء الإسلام في جميع المجالات العلمية المختلفة، كما أنّها ضمنت الكثير مـن الشخصـيات المشـهورة ببطولاتهـا وشجاعتها.

[146] يوسف، عبدالتواب،" الكتابة الدينية للأطفال " ، فصول في أدب الطفل المسلم، ص ٦٠.
[147] يوسف، عبدالتواب، " غرس العقيدة في نفوس الاطفال " ، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١١٣-١١٧.

وقد فاز عبدالتواب يوسف بجائزة، عن كتابه اللقاء الفريد، الـذي يعقـد فيـه لقاءات خيالية بين علماء العرب وعلماء الغرب، الذين عملوا في نفس المجال، فكان يلتقي عباس بن فرناس مع الأخوين رايت، والخوارزمي مع نيوتن، وهكـذا ليؤكـد السبق العربي في كل مجال، وكيف أن عليهم أن يلهثوا ليلحقوا بعالم اليوم.[١٤٨]

وقدم عبدالتواب يوسف أعمالا كثيرة أفاد فيها من التاريخ، وإن كانت مجمـل أعماله تقوم حول الشخصيات المعروفة دينياً أو علمياً أو تاريخيا لها السبق والبطولة في عدة مجالات، فمنها، سلسلة العلماء المسلمين، الذين لهم إسـهامات كثيـرة فـي مجالات العلوم التطبيقية، الرياضيات، والفيزياء، الكيميـاء، النباتـات، الحيوانـات، وهناك، فرسان الإسلام، وأبطال أطفال، وكل قصة تحكي عن شخصية بطـل مـن الأبطال، كاشفة عن أصالة الإنسان العربي، والإنسان المسلم الذي أودع الله في قلبه الشجاعة، والإيمان، فتاريخنا الإسلامي والعربي حافل بالمعالم والبطـولات، التـي استطاع عبدالتواب يوسف استثمارها، والإفادة منها للأطفال،[١٤٩] ليعـرفهم بروعـة ماضي الأمة.

قصص عبدالتواب يوسف في روعة ماضي الأمة :

يشعر من يقرأ قصص عبدالتواب يوسف بغيرته على أمته، وعلى حضـارتها وعلى تاريخها، لكنها الغيرة الموضوعية المطلوبة، بدون تعصب أو أن ينسب إليها ما ليس لها، فهو يحاول أن يظهر الصورة الحقيقية، ويجعلها واضحة جلية أمام أعـين الأطفال، وأن يبصرهم بماضي أمتهم، ورقيّها، في كل مجال من مجالات الحياة، ليس ليقولوا كان أجدادنا وكانت حضارتنا، بل ليتعلموا من أجدادهم وينتفعوا.

فنرى الكثير من القصص التي تحكي عن شخصيات إسلامية تاريخية خاضت في تلك الحضارة، وكان لها أثرها الفعال، فنجد قصص عن الفرسان الشجعان وعن المجاهدين وقصص عن العلماء والفلاسفة والمكتشفين والحكام والقضاة .

وعبدالتواب في هذه القصص يركز على الشخصية التي تحمل دور البطولة، ويقدم لها غالباً بمقدمة بسيطة ثم نشاط تلك الشخصية في إثراء حضارة ماضي الأمة.

يعرض عبدالتواب أحداث القصة عن الشخصية بصورة مبسّطة وواضحة بعد أن يبدأها بمقدمة في الغالب – ويستقي أحداث القصص تلك مـن التـاريخ الثابـت

---

148 إبراهيم، نبيلة، " حول أعمال عبدالتواب يوسف للأطفال "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٧٩.

149 يوسف، عبدالتواب، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١٢٧.

الموجود بين أيدينا، ويبسطه للأطفال ليجعله مناسباً لهم بطريقته الخاصة. والقصص أخذت طريق السرد الواقعي، كذا والخيال فيها واقعي، وإن استخدم في مجموعة اللقاء الفريد الخيال في اللقاء بين العالمين، ثم يسرد الأحداث الواقعية عن طريق الحوار. ومجموعة اللقاء الفريد وهي المجموعة الفائزة بأول جائزة للدولة في ثقافة الأطفال عام ١٩٨١م، وتضم عشر شخصيات لعلماء مسلمين وعرب، يلاقيها بما يقابلها من علماء الغرب في نفس المجال العلمي، فمثلاً الحسن بن الهيثم يقابل اسحاق نيوتن في علم الضوء، أحمد بن ماجة يقابل فاسكو داجاما في الطريق إلى الهند، ابن النفيس يقابل ويليم هارفي في اكتشاف الدورة الدموية، وهكذا جعل عشرة علماء يتقابلون من الشرق والغرب، وأيضاً مجموعة فرسان الإسلام، قصص تضم خمس عشرة شخصية من شخصيات الإسلام البارزة، والتي كان لها أثرها الفعال في إنشاء روعة ماضي الأمة، والتي يجب على كل طفل مسلم أن يتعرف عليها، وكذلك مجموعة أطفال أبطال، وتضم عشر شخصيات لأطفال كانوا أبطالاً في ذلك الماضي وكان لهم الأثر الفعّال، رغم صغر سنهم ، وهناك من القصص التي تحمل في طياتها من تلك البطولات ، كقصة مال المسلمين التي تتحدث عن عمر بن عبد العزيز وزهده ، وامتثاله لقضاء شريعة الله .[150]

[150] يوسف ، عبد التواب ، مال المسلمين ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٥م .

ابن يونس المصري يقابل جاليليو في اختراع الساعة[151]

((تعبت أقدام ساعي البريد وهو يحمل رسالة قديمة، باحثاً عن صاحبها، كان العنوان غامضاً على الظرف المفتوح، كانت هناك الكلمات لكن بالحروف اللاتينية :

أحفاد ابن يونس المصري، جبل المقطم، القاهرة.

ولم يكن الخطاب يحمل عنوان المرسل، كان هناك اسمه فقط " جاليليو " ولجأ ساعي البريد إلى قريب له طالب يدرس اللغة الإيطالية في كلية الألسن، ليترجم له سطور الرسالة، وربما يمكن بعد ذلك أن يحملها إلى صاحبها، وكانت المفاجأة، أن الذي بعث بها هو العالم الكبير جاليليو جاليلي)).

هكذا بدأ عبدالتواب يوسف القصة، فهو يريد أن يقابل جاليليو جاليلي بابن يونس المصري، فقدم القصة بمقدمة خيالية مبتكرة، وهي أن جاليليو وهو من الزمن الماضي البعيد، أرسل رسالة لأحفاد ابن يونس المصري في الوقت الحاضر، وقد أرسلها بلغته التي يتكلمها، ويترجم القريبُ للساعي الرسالة، والرسالة هي الموضوع الذي يريد عبدالتواب يوسف أن يوصله للأطفال، المعلومات والنشاطات العلمية عن العالمين، وبدايتها :

((أعزائي أحفاد ابن يونس المصري .. تفصلني عن جدكم ستة قرون أي نحو ٦٠٠ سنة تقريباً .. فقد وُلِدْتُ أنا في إيطاليا عام ١٥٦٤، وولد هو في مصر وعاش فيها عمره كله إلى عام ١٠٠٩، وأعرف الكثير عنه، وعن حياته، وأعترف أنه سبقني إلى اكتشاف الرقاص – أو بندول الساعة – وأنه عَرَفَ الساعة التي تدق قبلي بسنوات عدة، وليس ذلك غريباً عليه، فإن الخليفة (هارون الرشيد، بعث بساعة تدق إلى قيصر الرومان،[152] وفرَّ هذا منها هارباً، إذ كان يظن أنها عفريت من الجن ....) ويتوالى في ذكر الأحداث والاكتشافات العلمية عن الساعة عند أجداد المصريين، ثم بناء الفاطميين مرصداً لجدّه الفلكيّ، ونشاطاته الفلكية، والرسالة مليئة بالكثير من المعلومات العلمية، والتي يتعرف عليها الطفل من خلال رسالة جاليليو إلى أحفاد ابن يونس، وهي رسالة يذكّرهم في دور جدهم في اكتشاف الساعة ونشاطاته الأخرى

---

[151] يوسف، عبدالتواب، ابن يونس المصري يقابل جاليليو في اختراع الساعة، ط٢، القاهرة ١٩٩٩م.

[152] وهو شارلمان .

ويختم الرسالة بـ : ((وقد بعثت إليكم بهذه الرسالة لعل بعض أحفاده يبعثون إليّ بكل ما توصل إليه من نتائج علمية تدل على عبقريته.

وتقبل تحيات ((جاليليو جاليلي، من إيطاليا))

وقد يكون يرمز بأحفاد ابن يونس إلى الأطفال في مصر، ونستطيع القول أحفاده في العالم العربي ليعم النفع، فالطفل إذا عرف أن جدّه كان عالماً عظيماً فسينتشي وسيتحمس لأن يكون مثله.

يحَمّل ساعي البريد المسؤولية لقريبه الطالب، وراح بدوره يفكر :

((لا أظن جاليليو بحاجة إلى الرد على هذه الرسالة، فقد مضى من الدنيا منذ أربعمائة عام تقريباً .. لكن لماذا لا نكتب لأحفاده كما كتب جدهم إلينا ؟ إنها فكرة جميلة، لكن ماذا نكتب لهم وجدهم يعرف عن ابن يونس المصري اكثر منا، نحن أحفاده ؟ على كل حال هناك الكثير من ما يمكن أن نحدثهم عنه، ومن الواجب أن يكون لكل خطاب جواب ورد)). وهنا الفاصل الذي يظهر للطفل أن الرسالة من وقع الخيال، وأن الرسالة التي أرسلها رمزٌ لما عرفه الغربيون عن ابن يونس المصري.

فكر الطالب وبدأ يجمع المادة وكتب رسالته إلى أحفاد جاليلو جاليلي :

((تلقينا رسالة من جدكم العالم العظيم – نحن أحفاد ابن يونس المصري – الذي سبق جدكم إلى اكتشاف بندول الساعة ......)) وقدم في الرسالة تاريخياً لمعرفة الإنسان للوقت بتواريخ وأعوام متسلسلة حتى أخر التطوّرات للساعة وأيضاً هذه الرسالة مليئة بالمعلومات التاريخية والعلمية، والتي وإن كانت كثيرة فإن الطفل سوف يتقبلها لأن إطارها الخارجي غير ممل، فالعرض مختلف عند سرد المعلومات.

وتنتهي القصة بـ : ((تبادل أحفاد ابن يونس المصري وأحفاد " جاليلو " هاتين الرسالتين – الخياليتين – تذكيراً لنا بدور الرجلين العظيمين في ابتكار الساعة .. نعم لقد تطوّرت في السنوات الأخيرة تطوراً مذهلاً، وتنوّعت أشكالها، وصارت ضرورية لكل إنسان على هذه الأرض. لكننا لا نستطيع أن ننسى أصحاب الخطوات الأولى، وأصحاب الفضل في ابتكارها .. يجدر بنا أن نذكرهم في كل مرة نتطلع منها إلى ساعتنا التي يجب ألا تكون للزينة والأناقة فحسب، بل لنحسب بها الوقت وننظم العمل بنفس الدقة التي تسير بها)).

في هذه القصة يقابل عبدالتواب العالمين العظيمين، في اكتشافاتهما ونشاطاتهما حول الساعة ونشاطاتهما العلمية الأخرى.

وفي البداية ذهب ساعي البريد إلى قريبه طالب في جامعة الألسن ليترجم لـــه الرسالة، وإن كنت أفضل أن لا يتعلم الطفل أنه يستطيع فتح رسالة لأنها مفتوحـــة أو لأنها غير معروف ما المكتوب عليها، فالأفضل لو أنه أرجعها للمسؤولين عن البريد ومن ثم يستطيع الساعي أن يحضر لهم قريبه ليترجمها لهم.

فعبدالتواب يوسف ابتكر في القصة وكل قصص (اللقاء الفريـــد) اجتماعـــات خيالية بالغة الطرافة، والجدة، والعمق في كل مجال من مجالات العلـــوم، والقصـــة السابقة كانت باختصار، رسالة كان المفروض أن يكتبها العالم الإيطالي جاليليو إلـــى العالم العربي المسلم (ابن يونس المصري) الذي كان له مرصد رائـــع فـــوق جبـــل المقطم .. إن جاليليو يعترف له بأنه قد سبقه إلى بندول الساعة قبل ستة قـــرون وأن العرب عرفوا الساعة قبل أوروبا بسنين.

فاللقاء الفريد في ذاته فكرة طيبة، تشعرنا وتعمق فينا الشعور بروعة ماضـــي الأمة، وتتبهنا إلى الحاضر، إن علينا أن نبذل الكثير من الجهد، لنستوعب ما اكتشفوه وابتكروه .. وليس ذلك صعباً، فنحن ورثة صانعي الحضارة.[١٥٣]

فإطارات هذه القصص مختلفة عن باقي القصص، حيث لا بد من عمل فنـــي يضم التاريخ بشكل عصري، وبعرض سهل، وقصة بسيطة، فالطفل بهذه الطريقة لن ينساها أو ينسى بطلها، وهذا هو الهدف من العرض القصصي بهذا الأسلوب.[١٥٤]

---

[153] يوسف، عبدالتواب، الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية، ص٣٦، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

[154] يوسف، عبدالتواب، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١١٧.

قصة البراء بن عازب[155]

كلما صادفتني قصة بطل من المسلمين الأوائل، وقفت عنده أبحث حوله لعلي أعرف سر بطولته، وأكشف عن أسباب عظمته، من أجل أن أحكي عنه سيرة عطرة، وأقدم قدوة كريمة للأجيال الناشئة التي تتلقف الراية الإسلامية العظيمة جيلاً بعد جيل.

والبطل الذي نتحدّث عنه ظهرت علامات بطولته في وقت مبكر، ولازمته البطولة والشجاعة إلى آخر أيامه .. اسمه البراء بن عازب وإذا لم تكن سمعت به فالذنب ليس ذنبه، فقد كان في فجر الإسلام شمساً مضيئة، وكان معروفاً مشهوراً، فهو الذي فتح للمسلمين المناطق التي تحيط ببحر قزوين، ومن بينها أذربيجان في الاتحاد السوفيتي)).

بهذه المقدمة استفتح عبدالتواب قصة البراء بن عازب، وهي طريقته في كل قصص المجموعة، وكأنه بها يعرف الطفل بموقع الشخصية في خريطة التاريخ الإسلامي، تبدأ القصة بعد المقدمة، بمولد البراء، والأحداث التي كانت في يثرب بتلك الحقبة، ويُعرف الطفل على الاسم السابق للمدينة المنورة حالياً : ((يثرب التي أصبحت المدينة، كانت موطن البراء بن عازب، وُلد فيها نفس العام الذي بُعث فيه محمدٌ عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً .. وقد أسلم البراء قبل الهجرة، أي في سني طفولته، وحسن إسلامه، إذ حفظ بعض آيات كتاب الله على يد مصعب بن عمير الذي علمه قواعد دينه الحنيف)).

هذه البداية تُظهر للطفل صورة عامة عن الشخصية، ولادته في العام المبارك وحسن إسلامه، والإشارة هنا إلى حفظه على يد مصعب بن عمير، يعرف الطفل أنه لن يتعلم وحده فلا بد من وجود من يُعلمه، ويَتعلم منه، شخص أو كتاب أو غيره من وسائل التعلم، لكن القرآن لا بد من وجود من يتلقى عنه.

ومن ثم يسرد عبدالتواب أحداث قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم واستقبال الكبار والصغار له بنشيد طلع البدر علينا، ولم ينشد البراء بن عازب مع الصغار – رغم صغر سنه – فهو يُعدّ نفسه في صفوة الكبار سناً، لأنه حافظ بعض آيات القرآن الكريم وهو في العاشرة مما يصحبه في مصاف الكبار.

[155] يوسف، عبدالتواب، البراء بن عازب، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

ويتطرق عبدالتواب يوسف إلى حياة البراء بن عازب من مرحلة إلى أخرى بسلاسة، ولا يستشعر القارئ بالفراغ بين المراحل أو عدم الترابط، مما يتلاءم مع قدرة الطفل في أن يُلمَّ بجوانب حياة الشخصية ببساطة، ودون تعقيد في شرح التاريخ الذي عاشت فيه الشخصية.

فبعد لقاء البراء بالرسول صلى الله عليه وسلم، يجد الطفل نفسه في أحداث معركة بدر التي أراد فيها البراء المشاركة في صفوف المجاهدين لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه لصغر سنه، وقد رُوي عنه أنّه قال : (استصغرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وابن عمر بن الخطاب فردنا يوم بدر).

ويتكرر نفس الموقف في أحد، ثم يُسمح له بالمشاركة في غزوة الخندق وقد كانت أولى غزواته، وقد حفر مع سلمان الفارسي وحمل الفأس في يد والسيف في الأخرى، رغم صغر سنه، وقد شارك في خمسة عشر غزوة، كان فيها بطلاً مغوار ومقاتلاً باسلاً.

ثم تنتقل أحداث القصة إلى عهد الخلفاء الراشدين، وقد كان البراءُ : ((جندياً عظيماً، ومجاهداً نبيلاً في سبيل الله ... وعاش في الكوفة ومنها انضم إلى كل جيش عربي إسلامي، يتجه شرقاً من أجل رفع راية الدين، ولم يكن يهمه أن يكون في موضع القيادة بل كان يقاتل كجندي شريف، ينكر ذاته، ولا يتيه أو يغتر بماضيه العريق الذي ناضل فيه بكل ما يستطيع، من أجل إرساء قواعد الدين)).

ثم ينتقل بالقصة – بسلاسة وبدون أن نشعر بوجود قاطع – إلى فترة أخرى، فقد ((تقلّد القيادة في واحدة من المعارك والمسلمون يزحفون شرقاً، وإذا به يبدي مقدرة فائقة جعلت المغيرة بن شعبة يوليه قيادة جيش المسلمين الزاحف على قزوين)).

ويصوّر عبدالتواب يوسف للطفل، أحداث دخول البراء أرض قزوين، ورفع راية لواء الإسلام فوقها، ومن ثم جيلان وزنجان ومن ثم أذربجان.

ويرجع البراء إلى مكة والمدينة ((فلم يكن يشغل باله بما يدور في المدينة ومكة إلى أن وُلي علي بن أبي طالب الخلافة، فسارع بالانضمام إليه، ويشهد معركة الجمل ومعركة صفين، ثم اعتزل القتال بعد مقتل سيدنا علي، وعاش في الكوفة يروي الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعلم الناس دينهم، إلى أن توفاه الله وقد تجاوز الثمانين من عمره)).

هذه نهاية قصة حياة الشخصية، ثم يختم عبدالتواب القصة بتعليق مختصر لنشاط تلك الشخصية في مجال الجهاد والبطولات، والتقدم في الفتوحات رغم صغر سنه كما في القصة.

فالقصة واضحة فكرتها، سهلة ألفاظها، متسلسلة ومترابطة في التتابع الزمني التاريخي، كما أنّها مستقاة من كتب التاريخ المعروفة، واقعية، تثير لدى الأطفال الخيال الواقعي وهو يتصوّر المناظر في قوله : ((وإذا بالمدن الكبيرة تستسلم وإذا بالقلاع تتهاوى تحت ضرباته، ولم تعقه العقبات الضخمة، ولم تمنعه الجبال الشاهقة من أن يتقدم)).

فكيف يتخيل الطفل هذه الصورة ؟... سيتخيل جيشاً شجاعاً جسوراً يدافع عن راية لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل ما أوتي من قوة.

ومثل هذه القصص للمعارك والغزوات والفتوحات والأعمال البطولية تضيء لنا هذا التاريخ، وتكشف لنا عن حقائق هذه الحضارة التي تستحق أن تبرز وتنقل للأجيال وتبسط أمام الأطفال والناشئة، حتى يتعرفوا إلى أبعاد تاريخهم الذي صنعه الإسلام، وحتى لا يحاصروا من قبل الخبثاء.[١٥٦]

كما أن هذا النوع من القصص، الذي يعتمد على الأحداث والأشخاص التاريخية والمواقع الحربية والغزوات، تزوّد الطفل بثقافة إسلامية وحضارية، كما تصوّر مواقف البذل والعطاء والكفاح، من أجل المبدأ والعقيدة والوطن .والأطفال عادةً ما يتوحدون مع البطل ويعيشون الأحداث على أنها واقع يشاركون فيه،[١٥٧] ذلك إذا ما كانت القصة أكثر جاذبية وإمتاعاً لهم، فنجعلهم أكثر إقبالاً عليها، فالتاريخ مثير بكل مغامراته وأحداثه، لكن السرد السخيف، والعرض الممل والرتيب للموضوعات، وعدم ابتكار إطارات حلوة لهذا التاريخ، ينفر الأطفال منه ويبعدهم عنهم فيبحثون عمّا يملئون به الفراغ لديهم، بقصص أخرى، فهل استطعنا استثمار روعة ماضينا والإفادة منه للأطفال ؟[١٥٨]

---

[156] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢٠٦.

[157] شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص٦٢.

[158] يوسف، عبدالتواب، "القصص التاريخي الاسلامي للأطفال "، فصول في أدب الطفل المسلم، ص١١٣.

الفصل الرابع
القيمة الفنية لقصص عبدالتواب يوسف

أ – تنمية مهارة التذوّق الأدبي لدى الأطفال.

ب– تنمية الخيال العلمي والأدبي للأطفال.

تمهيد:

إن التربية الجمالية للإنسان، وتربية ذوقه، يبدأ الاهتمام بها، وتطويرها منذ الطفولة، حيث أن الطفل يتأثر بالمؤثرات الجمالية من حوله، فـ ((العلاقة الجمالية كما يقول الرشيد : لا تكتسب في مجال تطوّر الإنسانية، أو في مجال تطوّر الإنسان نفسه وراثياً، أو تهبها الطبيعة[1] من تلقاء نفسها، فهي تتكوّن في الإنسان في مسار نشاطه العلمي والفكري في الحياة)).[2]

وهناك من نقادنا العرب، من يقول بالربط بين الذوق والطبع، كالزمخشري، ومنهم من يرى أن الذوق إحساس ذاتي، وهناك من يرى أنّه قوة مكتسبة، ومع هذا وذاك، فالذوق يحتاج لدى الإنسان إلى محصّلات ظروف اجتماعية وفكرية، والتجارب المتكررة تصقله حتى يتيسر لمن يتمتع به، فهم الحق والخير،[3] وقد ذهب ابن خلدون إلى اعتبار الذوق ملكة، والملكة – كما يقول – غير الطبع، وهي تحدث نتيجة خبرة وممارسة. ويقصد بالممارسة : ممارسة التراكيب والخواص الفنية، فيقول : ((إن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلة لذالك المحل))....((والملكات لاتحصل إلابتكرار الأفعال ،لأن الفعل يقع أولا وتعودمنه للذات صفة ثمَ تتكرر فتكون حالا،ومعنى الحال أنها صفةغير راسخة،ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة))[4]

ويقول محمد أحمد حمدون : ((أن الإسلام يؤثر على تذوق المسلم للجمال، من حيث أنّه – أي الإسلام – فطرة وهو أقرب للطبيعة)) ففي الحديث ((كل مولود يولد على الفطرة))[5] هذه الفطرة، وثيقة الصلة بالأحاسيس التي تعكس عند المتذوق حكماً جمالياً، ومن ناحية أخرى، فلا شكّ ((إن المسلم يكتسب من معايشته للإسلام، وتعاليمه ومعطياته الفنية، والحضارية، ما يلعب دوراً كبيراً في تكوين ذوقه كمنتج أو متلقٍ للفنون، بالإضافة إلى أن تعاليم الإسلام قد تنهى عن شيء، أو تأمر بشيء، فيصبح الأمر والنهي جزءاً من مكوّنات الحكم الجمالي عندّه، فتذوق الجمال، وإدراكه من وجهة النظر الإسلامية يقوم على الأمرين معاً :

---

[1] كان من الأفضل لو قال (ليست فطرة) وإن قصد ذلك في كلامه.هذا، لكي لا نتشبه بكلام من يرجعون التصرف إلى الطبيعة .

[2] الرشيد، عدنان، مفهوم الجمال في الفن والأدب، ص١٤٩، الرياض، ٢٠٠٢م.

[3] حمدون،محمد، أحمد ، ، نحو نظرية للأدب الإسلامي، ص٧٣، جدة، ١٩٨٦م

[4] ابن خلدون،عبدالرحمن،كتاب العبروديوان المبتدأوالخبرفي أيام العرب والعجم،المجلدالأول،القسم الخامس،بيروت،١٩٥٦م.

[5] صحيح البخاري، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه،ج١،ص٤٥٦، CD. المكتبة الألفية للسنة النبوية،٢٠٠٠م.

الإحساس الذاتي القائم على الفطرة الذاتية للإنسان، والقوة المكتسبة المتولّدة عن معايشة الإسلام أمة وحضارة)).[6]

فهناك علاقة طردية بين الدين والفن، فالدين يطهّر النفس البشرية، ويزيدها رهافة وحساً، فيستطيع بذلك تفجير الطاقات الإنسانية الفنية لديه، مثال ذلك : ما توصلت إليه الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية، التي انتهجت فيه الدين شريعة فتقدمت تقدماً كبيراً في جميع مناحي الفنون : العمارة وفنونها وهندستها، والفنون الأدبية من نثرية وشعرية، وفنون الكتابة والخط العربي، وكذلك في جميع العلوم.

فالدين يربي النفس، ((والتربية الجمالية تعني بتربية الذوق الفني عند الإنسان، وكذلك بلورة العلاقة الجمالية للإنسان مع الطبيعة، وظواهر الحياة الاجتماعية، ومع الفن أيضاً، أي مع جميع ظواهر الواقع، وذلك لأنها تكشف في هذه الظواهر عن قيمة جمالية معيّنة، وعلى هذا الأساس فإن تكوين الذوق الفني يعد جزءاً ضرورياً ومهماً لعملية التربية الجمالية))[7] وهذه التربية – كما قلنا في السابق – تبدأ منذ الطفولة، فكيف لنا ننميها ونطوّرها عند الأطفال عن طريق الأدب الموجّه إليهم ؟ في هذا الموضوع يقول د. نجيب الكيلاني : ((إن الأدب – كفن جميل – إذا ما سار على النهج السليم، وروعيت فيه القواعد الجمالية من أحداث وشخصيات وتنسيق وقيم وتشويق، تخلب لب الطفل في كل زمان ومكان، وتجعله يشعر بالمتعة والرضى والإئتناس، وتمدّه بالمعرفة والخبرة ....، وتنمية التذوق الجمالي لدى الطفل، له وثيق الصلة بسلوكه المستقبلي، وحكمه على الأمور، واتخاذه للمواقف المؤثرة في الحياة، سوف يتحف بكل ما هو جميل، وسوف يأنف من كل قبيح أو بشع)). ف((الطفل أقرب إلى تذوّق الجمال من الكبار، فقد يرى الجمال قطعة من الحديد الصديء، أو دميه صغيرة، أو زجاجة فارغة ....، فهو يستغرق في تصوّراته وأوهامه، وهو يقرأ أو يسمع وينتشي أيما نشوة ويضع لنفسه عالماً فريداً مشوّقاً، وينهمك فيه، ويكاد ينسى كل ما حوله، وكاتب الأطفال – عندما يدرك ذلك – يستطيع أن يفهم أية فرصة نادرة تلك، وأية مسؤلية كبرى يحملها، وهو ينقش على تلك الصفحة البيضاء ما يريد من قيم وأفكار ومشاعر)).[8]

---

[6] حمدون، محمد أحمد، نحو نظرية للأدب الإسلامي، ص٧٤.

[7] الرشيد، عدنان، مفهوم الجمال في الفن والأدب، ص١٤٩.

[8] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٥١-١٥٢.

أ) تنمية مهارة التذوّق الأدبي لدى الأطفال.

قال الزبير بن بكار : سمعت العمري يقول : روّوا أولادكم الشعر. فإنّه يحلّ عقدة اللسان، ويشجع قلب الجبان، ويطلق يد البخيل، ويحضّ على الخلق الجميل)[9] ونقيس على ذلك الأدب المخصص لهم في العصر الحالي.

يقول طعيمة ((إذا كان من حق الأطفال على المجتمع أن يوفر لهم أسباب الرعاية الجسمية والصحية بمختلف أشكالها، وأن يقيم المؤسسات اللازمة لذلك فإن واجب الكتّاب والمربين تحقيق الإنتماء الفكري للأطفال، والتوجيه الثقافي لهم، وإشباع الحاجات النفسية والروحية عندهم، وذلك بإعداد ما يلزمهم من قصص شائعة، وكتابات مناسبة ومؤلفات ينعمون بها، ولا شك أن السبيل إلى خلق مجتمع من القراء متفتح الذهن، ناضج الفكر، واسع الثقافة، إنّما يبدأ بالطفل)).[10]

فـ((الكتابة للأطفال فن وممارسة، ويجب على الكاتب أن يؤمن بأهمية الكتابة للصغار فيتسلح بالحس الفني، فيعرف الاعتبارات الأدبية لكل نوع من أنواع أدب الأطفال، وكيف تتلاءم هذه الاعتبارات الأدبية مع مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، ومع درجة نموّهم الأدبي، ومقدار ما وصلوا إليه من النضج الفني)).[11]

ويرى الحديدي، أن الوظيفة الأساسية للقصة، هي وظيفة فنيّة، أي أنّها كبقية الفنون الجميلة، رسالتها الجمال وفعاليتها، وتأثيرها كفعالية الجمال وتأثيره،[12] ودورها في الحياة، أن تمنح السرور وأن تثري وتقوّي جوانب الروح من خلال المتعة والبهجة.

وأحب أن أضيف إضافة متواضعة إلى جانب رأي متخصص في أدب الأطفال، وهي أننا نستطيع توظيف هذه المهمة الأساسية، لخدمة الأهداف التربوية المرجوّة من القصة.

ويُعقّب بعد ذلك الحديدي بقوله : ((والتأكيد على مبدأ فنية القصة، لا تعني تجاهل الأهداف التي تبدو ثانوية بالنسبة لهذا الهدف العظيم، وأكبر فائدة يجنيها الطفل من القصة هي تنمية الإعجاب بالجمال وتذوّقه، ذلك الذي يمنح روح الإنسان رغبة في النمو بأحاسيس جديدة)). ((فالقصة تزوّد الطفل ببعض

---

9 ابن رشيق، العُمْدة، جـ١، ص٣٠، ط٤، بيروت، ١٩٧٢م.
10 طعيمة، رشدي أحمد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص٢٥.
11 أبو مغلي، وآخرون، دراسات في أدب الأطفال، ص٩٨، ط٢، الأردن، ١٩٩٣م.
12 انظر الرشيد، عدنان، مفهوم الجمال في الفن والأدب.

الخطوط والألوان لمثالية الحياة والفن التي تتخذ لها دائماً مكاناً في قلب الطفل ووجدانه ... وأيضاً، يكتسب منها تنمية الذوق والإحساس بالجمال، وهناك جمال آخر وهو جمال التعبير الذي يبعث في القصّة حياة جديدة ويرتفع بقيمتها الفنية، ويزيد من تمتع السامعين بها)).[١٣]

فنستطيع أن ننمي الذوق والإحساس بالجمال لدى الطفل منذ صغره، حتى يعتاد على ذلك ويشبّ عليه. وبالتالي تتكون لديه ملكة تذوّق التعبير الفني سواء أكانت شعراً أم نثراً، وقد تتطور ملكة التذوق إلى ملكة تعبير وإبداع.

وهناك مراحل إدراكية يمر بها الطفل عند سماعه لنص أدبي، وهي : أولاً : الأخذ، ثم التركيز فالتأمل، ومن خلال تكرار هذه العملية نستطيع – مع مراعاة الفوارق الفردية – أن نُنَمّي الموهبة والتعبير الفنّي لديهُ، وهي لا تكتمل إلاّ في إطار يشجع التعبير، ويقدم في الوقت ذاته شيئاً من التنوع للرد على كلّ الحاجات، ويسمح بكل ألوان التعبير،[١٤] وهي أيضاً تحتاج إلى حصيلة ثرية من المفردات اللغوية. وسماع الطفل وقراءته للقصص كفيل بإثراء هذه الحصيلة.

فقد يكون أدب الأطفال نقطة انطلاق، أو منصة وثوب لأنشطة إبداعية كثيرة، يعبر عنها الطفل في أشكال مختلفة، فهو بداية ينمي عندهم ثروتهم اللغوية، ويبني عندهم رصيداً من المفردات والتراكيب التي تيسر له فهم ما يقرأ، وتسعفه عند الرغبة في التعبير، وأيضاً له التأثير في شخصيات الأطفال، فهو يدفعهم لأن يطلبوا المتعة التي يحصلوا عليها من القراءة عن طريق أشكال أخرى من الفن، كأن يمثلوا هذه الشخصيات أو يرسموها أو يصوّرها أو يستخدموا الألوان المختلفة في إبرازها، أو يكتبوا قصصاً صغيرة من وحي ما قرأوه، بل يقرضوا شعراً.[١٥]

إذاً من أغراض الأدب الكبرى، تكوين الذوق الأدبي في نفوس الأطفال، حتى يتجلّى ذلك في تعبيرهم، ويكون ذريعة إلى حملهم على مواصلة القراءة في أوقات فراغهم، وتقويم اللسان، وتعويدهم حسن الإلقاء والكتابة، والقدرة على النقد الصحيح، فالتذوّق الأدبي عَلى الاختلاف في تحديد مدلوله، يساعد الطفل على أن يكون إيجابياً نشطاً، يشعر بقيمة الأدب في حياته، ويجعله قادراً على استعمال ألفاظ اللغة بوضوح ودقة في التفكير والتعبير، وإثارة الطفل للتذوّق الأدبي يكون في مراحل الطفولة المتأخرة، وهي تحتاج إلى سماعه الكثير من القصص الجيد، وإتاحة الفرصة أمامه للقراءة الأدبية، وخلق جو من المنافسة في الحفظ والتعبير

---

13 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص٤١٥.

14 جعفر، عبدالرزاق، اسطورة الأطفال الشعراء، ص١٧٥.

15 طعيمه، رشدي أحمد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص٢٦.

حركياً عما حفظ، وأيضاً قراءته للنص قراءة معبِّرة عن الانفعـــالات والمعـــاني، يَعْني فيها بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وبذلك نساعد الطفل على نمو مهارات التذوّق الأدبي لديه[١٦] هذا في حالة كان النص شعراً.

إن التذوّق عملية مكتسبة،[١٧] لذلك كان من المهم الإلتفات إلى تنمية التـــذوّق عند الأطفال،[١٨] لأنهم في مرحلة عمرية قابلة على الإكتساب، ولأن البيئة لم تؤثر تأثيراً كبيراً عليهم، ولأن تذوّقه لم يدخل بعد مجال التأثير والممارسة فـــي حياتـــه اليومية، وترى سمر، روحي الفيصل : أن تنمية التذوّق تقع على عاتق المهتمـــين بأمر الطفل بالدرجة الأولى ومنهم أدباءهم فلا بد أن يكون واعي بطرائق التـــذوّق وبالطرائق التربوية التي تكفل تحقيق هذا الهدف، وتقترح للاهتمام بتنمية التـــذوق الفني أموراً، منها :

أولاً : فسح المجال أمام الطفل لمعايشة الآثار الفنية والعلمية ورؤيتها باســـتمرار؛ لأن الاستجابة للمؤثرات الجمالية تتطلب وجود موضوع قادر على إثـــارة الحـــس الجمالي – وإن كان هذا الحس يختلف نسبياً من شخص لآخر – فمداومـــة رؤيـــة الأشياء تؤدي إلى إعطاء الذهن فرصاً أكبر من التصوّر والتخيّل، تتألف حساسية معيّنة تصبح فيما بعد مقدرة على استحداث اللذة بالرؤية أو استطابة هذا دون ذاك.

ثانياً : الإلتفات بشكل دائم إلى أن الأثر الجميل كلٌّ واحد، لا ينفصل جزء منه عن آخر، فموضوع القصة وأسلوبها وتعبيرها الصادق عن حاجـــة إنســـانية وتوافـــق أجزائها وتجاورها ووئامها جعل من القصة قطعة نثرية جميلة.

ثالثاً : فهم حاجات الطفل والإحساس بها، ومعرفة تغيرات هذه الحاجات بحســـب سنه ونموّه، كما لا بد من مراعاة الفروق الفردية.

رابعاً : التعبير : فتتمة التذوّق لا تكتمل دون قيام الطفل بـــالتعبير عمـــا تذوّقـــه، فممارسة هذه المهارة، ينتج عنها تعديلاً في السلوك الجمـــالي لـــدى الطفـــل، أي الطابع التذوّقي الذي يميز السلوك حينما يكون مهذباً، فالتذوّق من حيث هو عملية تربوية يعني تدريب الطفل على أن يستحسن ويستقبح، يفضّل ويرفض.

خامساً : الابتعاد عن العبارات العامة والجمل الشائعة المشـــتركة التـــي يعوزهـــا التحديد في التعبير، فلا بد من تدريب الطفل على التعبير الدقيق المحدد، فهو عملية تربوية، تعود على عقل الطفل بالفائدة، وتعقب الفيصل بعد ذلك، بأن هذه الأمـــور

---

[16] شحاتة، حسن، أدب الطفل العربي، ص٢٢٥-٢٤٢.

[17] هناك اختلاف في أن التذوق عملية مكتسبة أم فطرية، أنظر، حمدون، محمد أحمد، نحو نظرية للأدب الإسلامي، ص٧٣.

[18] انظر، اليوسف، أحمد إبراهيم، " علاقة التربية بالمجتمع وتحديد ملامحها النوعية " عالم الفكر، ص٣٤، عدد (١)، يوليو، ٢٠٠٠م.

لا تنفي أن كل طفل مزوّد بنصيب من التذوّق أو ملكة أو حِسٌ جمالي، فلدى الطفل شيئاً من هذه الملكة، يهتدي به في تقويم العمل الفني أو الأدبي، وهذه الملكة قد تتعرض لانحرافات كثيرة، أو تنمو نمواً عشوائياً، لذلك كان من الأهمية تنميتها تنمية سليمة.[19]

كما يرى شحاته أن للقراءة دورها في تهذيب مقاييس التذوق لدى الأطفال فهي : ((تساعدهم على الصدق عند الاستجابة لقصة تمتاز بجمال السرد، أو لشخصية تمتاز بأمانة التصوير، أو لما بين الفكرة وأسلوب التعبير عنها من انسجام، مما يعطي الطفل القاريء فرصاً كثيرة للإختيار والمقارنة)).[20]

وأيضاً يرى بأهمية تدريب الطفل على ((القراءة والمشاهدة الناقدة، والترحيب بإبداء الرأي، والدعوة إلى التفسير والتعليل والموازنة بين الآراء والحقائق، وكشف العلاقات والدعوة إلى استخدام الخيال))[21] وذلك يؤكد أهمية قصة الأطفال في قيمتها كمصدر من مصادر تربية الذوق الجمالي عند الأطفال، فهم حساسون جداً للصيغ الصغيرة، وللأصوات المضحكة، فهم يحفظونها بسرعة هذا بالنسبة لأطفال مرحلة الثالث والرابع ابتدائي أي طفل الثمانية أعوام والتسع أمّا إذا طلبنا منه، في هذا العمر أن يسرد علينا قصة فإنّه يتلعثم عاجزاً.[22]

ولبريغش رأي صادق في تربية الذوق الفني والجمال لدى الطفل عن طريق أدبهم فيقول : ((إن أدب الطفل أدب ملتزم بأهداف سامية، لأنّه وسيلة تربوية مهمة، ومن أهدافه الكبيرة تربية الطفل وإعداده ليكون أهلاً لتطبيق المنهج الإسلامي)) لذلك ((فالطفل المسلم بحاجة لتعميق سمة الجمال في نفسه، لأنّها السمة التي تنتظم فيها جميع تصرفات المسلم، ولأنّها قرينة السمو والإحسان وصفة من صفات الإتقان))، ((والتربية الجمالية تدفعه لإدراك الفرق بين الخير والشر والخطأ والصواب، والحق والباطل، والإيمان والكفر، فيجب الخير والصواب والحق والإيمان)) ((فكل التوجيهات الإسلامية تؤكد على تحقيق الجمال .... وإذ التزم المسلم بسمة الجمال، فإنه ينسجم مع المنهج الشامل ويسير مع التزامه بالإسلام كله)) ((لذلك كانت التربية الجمالية جزءاً هاماً من التربية الشاملة)).[23]

---

[19] الفيصل، سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ص٦٢-٦٨.
[20] شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص١٠.
[21] شحاتة، حسن، أدب الطفل العربي، ص١٣.
[22] جعفر، عبدالرزاق، أسطورة الأطفال الشعراء، ص١٠٥.
[23] بريغش، محمد، حسن، أدب الأطفال، ص١٤٨،.

عبدالتواب يوسف وتنميته للتذوّق الأدبي لدى الأطفال :

اهتم عبدالتواب بتنمية التذوّق عند الأطفال، تذوّق الجمال في حياتهم، في مختلف الفنون عامة وفي أدبهم خاصة، فهو يهتم بتكوين الحس الجمالي في الفن لديهم.

وقد أشار عبدالشافي إلى جهود عبدالتواب يوسف في هذه الناحية، والتي منها : ((تقديره للفنون الجميلة في حياة الطفل، ودورها في تنمية التذوق الجمالي لديه، فعمد إلى تعريفه أولاً بالألوان، وثانياً بطرق الرسم المختلفة، وثالثاً بدائرة معارف التلوين[٢٤]))[٢٥] وكان هذا مناسباً لطفل ما قبل مرحلة المدرسة.

وبالنسبة للقصص فهو يجتهد كما يقول المقالح لـ : ((إيجاد النص الأدبي السهل العميق، الذي يصل مباشرة إلى قلب الطفل العربي، ويجعل الأطفال العرب من المحيط إلى الخليج يبحثون عنه، ويترقبونه بشغف، وهو نص لا يفتقر إلى الابتكار في المعاني والافتنان في التعبير والأسلوب)).[٢٦]

أمّا عن رأي عبدالتواب في التذوّق فيقول : ((لا بد وأن يتدرج الطفل في التعرف على الأدب وتذوّقه، بل على ممارسته ونتاجه، وعلى هذا، لا يجب ان يعبر طفلنا مرحلة طفولته، قبل أن يتعرف على الأجناس الأدبية من شعر ونثر، قصة وصورة وقصيدة، رواية وتمثيلية ومسرحية، مقالة ودراسة ونقد، ويتم تقديم هذه المعرفة من خلال قراءة الأطفال لنماذج منها، إنّه امر ضروري، وأساسي وحيوي)) ((وطفلنا العربي لا بد وأن يقرأ أدباً محلياً، وأدباً عربياً، وأدباً عالمياً)).[٢٧] الأدب الذي يحمل في طياته القيم الإنسانية النبيلة.

وقد أشار أحمد نجيب إلى عوامل تساعد على تربية التذوّق الأدبي لدى الأطفال، وحدّدها كما يلي :

١- الكثرة، فلكي يتذوّق الطفل ما في الأدب من جمال يجب أن نمده بكثير من ألوان الأدب الجيد ...، فالوقوف عندما هو دون الكفاية في هذا المجال، لا يصل بالناشئة إلى درجة كافية من التذوّق، وقد فعل ذلك عبدالتواب بتاجاته، حيث أمدّ مكتبة الطفولة العربية بكثرة من الإمدادات الأدبية.

---

[24] مجموعة كتب لتنمية الذوق في الرسم وألوانه مثل : سلسلة الألوان، سلسلة تعلم كيف ترسم، دائرة المعارف الصغرى للتلوين.

[25] عبدالشافي، حسن، " عبدالتواب يوسف وقراءات الأطفال "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٨٥.

[26] المقالح، عبدالعزيز، " عبدالتواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين " عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤٠.

[27] يوسف، عبدالتواب، " خريطة أدب الأطفال عالمياً وموقع الوطن العربي عليها "، ثقافة الطفل واقع وآفاق، ص٥٨.

٢- الحرية : حرية الفرد في اختيار ما يريد من ألوان هذا الأدب الجيد، وقتما يريد وبطريقته الخاصة، وهي الخطوة الأولى في عملية تربية التذوّق، لأن الفرد يختار ما يحب، ولكنه لا يشعر نحو ما يفرض عليه إلا بالضيق والكراهية.
٣- الصبر والأناة، فالتذوّق عادةً يستغرق وقتاً، ولذلك يجب أن نتذرع بالصبر والأناة حتّى تتفتح أبواب الاستمتاع أمام الأطفال بطريقة طبيعية تؤدي بهم إلى التذوّق السليم.
٤- التأثر أو العدوى : أي التأثر بشخص آخر، تتوفر لديه المهارة الفنية والحماسة والحكمة، مما يساعد الطفل على فتح مغاليق نفسه.
٥- الإخلاص : أن يعالج المربي الموضوعات بإخلاص حقيقي، وبالنسبة للطفل، فلا قيمة إلاّ للتذوّق التلقائي الذي ينبع من إحساس الطفل الحقيقي ووجدانه الصادق.
٦- العناية بالمعنى : أي أن تثير ميول الأطفال، وتوجههم إلي كيفية الوصول إلى المعنى بأنفسهم، مع مقدرتنا على شرح صعوبات الكلام، ومواضيع اللبس فيه إذا لزم الأمر.
٧- جهود الأطفال الابتكارية : فالأطفال يستطيعون بخبرتهم القليلة أن يكونوا مبتكرين بدرجة لا تخطر لنا على بال، والتوجيه الرقيق الواعي لجهودهم الابتكارية في كتابة القصص والأغاني والتمثيليات القصيرة، يقدم مساعدة قيمة في عمليات استثارة تذوّق الأطفال للأسلوب الأدبي.
٨- الكلية والشمول : أي أننا يجب أن نتذوّق القصيدة أو القصة، ككل حي متكامل، قبل أن نحللها إلى أجزاء، فإذا فعلنا وجب أن نعيد تركيبها وعرضها موحّدة من جديد لنتذوّق ما فيها من المعاني والحقائق والأخيلة وألوان الجمال)).[28]

و قد إهتم عبدالتواب بتنمية تذوّق الجمال بأشكال فنية مختلفة – لدى الطفل منذ صغره، فاهتم تبعريفه الألوان، وكيف يرسم،[29] واهتم اكثر بالقصص وكان دائماً مخلصاً في إيصال المعنى السامي، عن طريق الوسيلة التي ترقى بمستوى الطفل الجمالي، سواء في الكلمات أو العبارات أو المعاني نفسها أو الصورة التي سيتخيلها الطفل عند قراءته القصّة، كما أنّه تطرّق إلى الشعر، فقدم شعر أحمد

[28] نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص١٤٨، ط٢.
[29] يوسف، عبدالتواب، دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء، ص١٩٥-٢١٧، ط٤، القاهرة، ١٩٩٦م.

شوقي ومحمد الهراوي، مثل قصيدة أبناء الرسل للأطفال، التي كتبها الهراوي، نشرها عبدالتواب ليقدم قصتها لهم. وقصص شعرية أخرى من أشعار أحمد شوقي مثل : حكايات عن الأسد، حكايات عن الثعلب، حكايات عن الحمار – حكايات عن القط، حكايات عن الكلب – حكايات عن سيدنا سليمان والحيوان وهي من فكرة عز الدين إسماعيل، وإعداد عبدالتواب يوسف.[٣٠] فهو يريد أن يعدّ الأطفال منذ الصغر، على قراءة الشعر أيضاً وتذوّقه وفهمه فاختار لهم ما يناسب سنهم بداية، كأشعار تضم قصص الحيوان على ألسنة الحيوانات، وبذلك يكون هناك اتصال بين المادة المقروءة واستجابة الطفل.

كما أن عبدالتواب يوسف قد ألف مسرحيات أيضاً للأطفال، فهناك سلسلة مسرحيات وحكايات إسلامية، وسلسة مسرحيات جحا، وهي مسرحيات فكاهية.[٣١]

إذاً فقد أمدّ عبدالتواب أطفال المسلمين العرب، بكثير من ألوان الأدب الجيد، لأنه كما قال أحمد نجيب سابقاً : لكي يتذوق الطفل ما في الأدب من جمال يجب أن نمدّه بكثير من ألوان الأدب الجيد، وكان معالجاً للموضوعات بعناية وإخلاص. كما اهتم بشكل القصة، فنستطيع القول أنّه اهتم بالقصة الإسلامية ككل متكامل : الفكرة – المعنى – أو المضمون، الشكل : لغة وأسلوب العرض للقصة وشخصياتها، فتتكون لدى الطفل فكرة ذات طابع إسلامي شامل في القصّة. وذلك ما نستطيع أن نسميه الإبداع من منطلق الأصالة والمنبثق من منظور الأمة، ووجهة نظرها في الحياة. وذلك مع الانفتاح على المعطيات في العالم فيما لا يتنافى مع منظور الأمة الأصيل.[٣٢]

إن الأستاذ عبدالتواب يوسف اكتشف مكمن القضية، ونقطة الانطلاق إلى تشييد وبناء الطفل منذ صغره حتى يشب، ويصبح جمهور الغد، الرفيع الذوق، المستنير العقل، وعلى النقيض يقول أفلاطون في كتابه الجمهورية : ((إن فقدان الجمال والإيقاع والتناسق مرتبطا بالفساد وسوء الخلق)).[٣٣]

---

[30] عبدالشافي، حسن، " عبدالتواب يوسف قائمة ببلوجرافية لانتاجه الفكري "، عبدالتواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص١٦٦.

[31] أنظر، أبو الخير، محمد حامد، " عبدالتواب يوسف ومسرح الطفل العربي "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

[32] الهاشمي، محمد عادل، في الأدب الإسلامي، ص٥٨، بيروت، ١٩٨٧م.

[33] يوسف، عبدالتواب، " شعر الأطفال نشيداً وأغنية " شعر الأطفال، ص١٩٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

أنا أقرأ .. فأنا موجود ![34]

هذه القصة من مجموعة : هيا نقرأ، وهي تضم خمسة عشر قصة، يحاول بها عبدالتواب يوسف تقريب القراءة وتحبيبها إلى الأطفال، لأنه لا سبيل لإثراء لغتهم والارتقاء بمستوى التذوق الأدبي، والتعرف إلى كثير من المعارف سوى بالقراءة، القراءة الجانبية وليست قراءة الكتب المدرسة فقط.

ففي هذه المجموعة قصص منها : الكتاب وهو يتحدث عن نفسه وعن الفوائد التي يجنيها قارؤه في جميع المجالات، وهناك قصة الأحرف الأبجدية، التي تبحث عن منزل، وشجرة الكتب، وكنوز الكتب، وقصة طارد الطيور، وكلّها قصص شيّقة تشدُّ انتباه الأطفال، وتحببهم في اللغة العربية، بحروفها، وكتبها ومكتباتها، وتعلّمهم قيمة الكتب، والفائدة التي يجنيها الأطفال من قراءة الكتب.

وجميع قصص هذه السلسلة، يتحدث فيها طفل عن تجربته مع الكتب أو القراءة ،سواء أكان صبياً أم فتاة. يتحدث مباشرةً في الموضوع، مما يشد انتباه الطفل.

وبداية القصة : ((إني أزور معرض الكِتاب، وأعتبر هذا المعرض أجمل ألوان الإحتفال بالكِتاب، والقراءة، وأنتظره بفارغ الصبر، وأدّخِرُ من أجله، بعض نُقودي، ولا أصوّرُ لكم فرحتي بذلك اليوم، الذي أزور فيه المعرض وأعودُ للبيت حاملاً كومة رائعة من الكتب أقلبها، وأتفرّجُ عليها، ثمّ أفرزها واحداً بعد الآخر .. وكثيراً ما أتطلع إليها وهي فوق رفوفها، وأحياناً أسمع كتاباً منها يهتف بي : ((إقرأني)) فأستجيب له، وأُعيدُ قراءته.

في رأيي أن معرضَ الكتب هذا، اختراعٌ عظيم جداً .. عندما أتجول فيه وأتطلّعُ إلى الرفوف التي توضع عليها الكتب وأقرأ أسماء المؤلفين، أعرف الكثير وأكتشف أنّه ما من شيءٍ في الدنيا إلاّ وهناك عنه كتاب .. والكتاب نفسُهُ (اختراع) عظيم.

ويجدر بي أن أذكر الرجُل الخالد الذي سهّل لنا أن نحصل على الكتاب دون أن نضطرّ إلى نقله كلمه كلمه، وأعني بذلك الرّجل (جوتنبرج) مخترع المطبعة .. إن له ديناً كبيراً في اعناق كلّ البشر، وكل الأطفال.

وإنيّ أحبُّ قراءة القصص .. على الرغم من أنَّ بعض الذين يكتبونها يتصوّرون دائماً أن القِصص مخصصة للوعظ والإرشاد، وللنصائح والأخلاق، حتّى أنهم ينسون أن يحكوا لنا قصّة، ويكتفون بهذه الأشياء، أنا أحبُّ أن استمتع

---

[34] يوسف،عبدالتواب،أناأ أقرأ....فأ نا موجود،القاهرة ،١٩٩٩م. وعنوان الكتاب هي مقولة للفيلسوف الفرنسي لينيه ديكارت.

بالقصة والحكاية، والأحداث والشخصيات، وأشعر بالأسف لأنّ وقتي يضيع في قراءة بعض ما يسمونه قصة، وما فيه من القصة شيء، وقد يُعجب احدهم بشيء، ويريد أن يفرضه علي وعلى القراء، ونحن نرفض ذلك، إذ لنا ذوقنا الخاص، وما يعجب أحدهم رُبَّما لا يعجبنا.

والإحساس بالقصة هو الآخر فن، لا يجيُدُه كلّ الناس، وفي رأيي أن القصّة، لا بد أن تروّح وترفّه عن قارئها، وتنقله إلى جوّها الخاص بعيداً عن الجوّ الذي يقرأ فيه وتُنسيهُ كل شيءٍ، إلاّ أحداثها وأشخاصها، وتدخل على قلبه البهجة والسرور.

والإنسان المبتسم الضاحك، الذي لا يعقِدُ جبينه وما بين عينيه يقبل على الحياة، ويعمل وينتج، نعم إن القصّة يمكنها أن تغرس أخلاقاً فاضلة من خلال البطل، والقدوة، وبالأحداثِ والمواقف والوقائع، وليس بالكلمات والحِكَم والنصائح.

والصورّ في القصص تفتح أعيننا على الجمال، وتُدرّبنا على الاستمتاع بالرسوم وتفاصيلها، وعلى الإلتفات إلى الألوان وتناسقها وتناغمها وعلى مساحتها في اللوّحة، بل وعلى المساحات الفارغة التي يتركها الفنان لتريح ابصار المتطلعين إلى الصورة.

وأنا أستفيد ثروة لُغويّة كبيرة من قراءة القصص، وأضف إلى رصيدي كلمات جديدة، أفهمها واستوعبها، وكثيراً ما أقف أمام كلمة وأروح أُديرها في رأسي، وتتولد عن ذلك معانٍ لطيفة وأفكار ظريفة .. جرِّبوا هذه الطريقة، وستفرحون بها .. جرِّبوا مثلاً كلمة : معرض، أو لوحة أو كتاب، أو فراغ .. إلى آخره.

إن اللغة – كما يقولون – وسيلة تفكير ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا عبادة مثل التفكير))[35] .. وأنا أفهم من ذلك، أن التفكير نوع من العبادة، لذلك فإنني دائماً افكر .. وتعرفون عبارة : ((أنا أفكر، إذن أنا موجود)). لذلك كثيراً ما تجدني أطرح على نفسي أسئلة أُفكر فيها .. وعندما أجدُ أمامي مشكلة أفكر في حلّها .. والقصص التي أقرؤُها تساعدني على ذلك .. على أن أفكّر وأجيب على الأسئلة، وأقوم بحلِّ المشكلات، وأضع القرارات.

والقصص تترك عندي إنطباعات معيّنه، تنفّرني من أشياء، وتحببني في أشياء دون أن تمتدحها، لكن أحداث القصّة هي التي تُكوّن وتشكّل لديَّ هذه المشاعر وتلك الأحاسيس والانطباعات، وقد وضعت لنفسي مرّةً سؤالاً يقول : لماذا أقرأ ؟

---

[35] لم أجد لهذا النص تخريج،ويقارب معناه حديث ابن عبدالبر ،في الترغيب والترهيب،ورد في الكلام عن العلم،(أن التفكير فيه يعدل الصيام،ومدارسته تعدل القيام) ،باب كتاب العلم ،ج١،ص٥٢،حديث رقم ١٠٧.

وعندي كتابٌ يحمل هذا العنوان .. قرأته وأعجبني واثار خواطري، ورأيت أن أمسِكَ بالقلم لكي أكتُبَ أو أحاول معرفة اسباب القراءة، وإذ بي أجدها لا تعدُّ ولا تحصى.

وكثيراً ما أُحبّ ان أقرأ القِصص الفكاهية لأضحك إنّني في الحقيقة أقرأ هذه القصص لا من أجلِ المغزى والهدف، ولكن من أجل المواقف الفكاهية الطريفة..

إنّني أضحك مع بهلول وأشعب وجحا، أكثر مما أضحك مع توم وجيري، ومع ميكي وُالت ديزني. هل قلت لكم : إن القصّة تنشّط ذاكرتي، وتجعلني قويَّ الذاكرة ؟ هل قلت : إنّها تكشف عن مهارات لا نعرفها في أنفسنا ؟

إن القِصَّة تنمُو، وأنا أنمو مَعَها، وأُحسُّ أنَّها تروي عطشي، وتسد جوعي وأنّها واحدةٌ من الاحتياجات الأساسية في الحياة ..

هل أنتم معي في ذلك ؟)).[36]

فمن الملاحظ بعد قراءة الكتاب أنّه عبارة عن سرد ذاتي لطفل، واهتمامات له، مكتوبه بشكل بسيط، وكأنما يتحدث إلى الطفل القاريء، عن القراءة وفوائدها، وكيف نحس بما نشعر وكيف نشعر بالأحاسيس والمشاعر والصور والكلمات التي في القصّة، ونتذوّقها.

يثير عبدالتواب اهتمام الطفل ليس للقراءة، وإنما بالذي يقرأه، وكيف يَقف عليه ويَستشعره ؟ فيبدأ الطفل يتنبّه للكلمة المكتوبة والمعاني والموضوع الذي يقرأه، والقصّة التي يسمعها أو يقرأها. أيضاً ينمي لديه الثقة بالنفس عن طريق حرية الرأي يظهر من قوله : ((وقد يعجب أحدهم بشيء، ويرى أن يفرضه علي وعلى القرّاء، ونحن نرفض ذلك، إذ لنا ذوقنا الخاص وما يُعجِب أحدهم ربما لا يعجبنا)) وكيف يختار القصة الجيدّة : فيقول : ((وأشعر بالأسف لأن وقتي يضيع في قراءة بعض ما يسمونه قصّة، وما فيه من القصّة شيء)).

ويلفت نظره إلى القيم التي تحملها القصّة وأنها ليست مباشرة : ((إن القصة يمكنها أن تغرس أخلاقاً فاضلة، من خلال البطل والقدْوة وبالأحداث والمواقف والوقائع، وليس بالكلمات والحكم والنصائح)) أيضاً يلفت نظره إلى كتب أجداده، كتب التراث فيقول : ((إنني أضحك مع بهلول وأشعب وجحا، أكثر مما أضحك مع توم وجيري، ومع ميكي ووالت ديزني)) فأطفال العصر الحالي قد شُغِلوا كثيراً بالتلفاز وبرامج الكرتون، واستحوذت على مخيلاتهم، بل وأمرضتها.

---

[36] يوسف، عبدالتواب، أنا أقرأ .. فأنا موجود !، القاهرة، ١٩٩٩م.

فما أجمل أن يعود أطفالنا إلى كتب تراثهم، ويحبون قراءتها، ويتمتعون بها، فالطفل عندما يسمع أن قصص بهلول وأشعب وجحا تُضحك الأطفال، أكثر من توم وجيري وميكي، فالفضول سيجعله يبحث عنها، ليرى أحقاً ذلك أم لا ؟ على عكس لو قيل أقرأ الكتب هذه فإنها جيدّة، فذلك لن يجدي نفعاً.

إن الإستاذ عبدالتواب، يشعر بقيمة القراءة فالقراءة تساعد الأطفال على تهذيب مقاييس التذوق لديهم،[٣٧] ويرى نواحي الجمال في هذه المهارة كفن، وهو يريد للأطفال أن يستشعروا هذه القيمة، وأن يتذوّقوا ما يقرأونه، وأن يتخيروا ما يقرأون أيضاً : فليس كل ما يكتب يقرأ، وقدم الكثير من القصص، في مجالات عديدة ومواضيع عديدة، قد تؤثر على الأطفال بشكل أكبر من أننا نوجّه إليهم النصائح والارشادات، وذلك لأن الأديب فنان وكما يقول الرشيد : ((لأن الفنان إنسان يعيش الشعور المتطوّر بطريقة تميّزه عن غيره، إزاء الجميل والقبيح، والسامي والداني، والساخر، كما يستطيع أن يعكس هذا العالم الذي يعيشه بأسلوب فنّي متميز)) يؤثر فينا. كما يرى : ((أن الهدف النهائي للفن، هو توسيع الخبرة الجمالية للمتلقي وتعميقها، وكذلك تربية ذوقه وحسه الجمالي)).[٣٨]

---

[37] شحاتة، حسن،قراءات الأطفال، ص١٠.

[38] الرشيد، عدنان، مفهوم الجمال في الفن والأدب، ص١٥٢.

ب- تنمية الخيال العلمي والأدبي للأطفال.

تنمية الخيال الأدبي والعلمي للأطفال

((الخيال رفيق الإنسان.. وعلى ذلك فالإنسان كائن خيالي، فمنذ خلقه الله، وجَدَ فوق هذه البسيطة رافقة الخيال. فالإنسان لا يكف عن التخيل، ولا يكف عن استحضار صور لم يسبق له إدراكها من قبل إدراكاً حسياً، إنّه قادر – دائماً – على تأليف صور ذهنية تحاكي ظواهر كثيرة مختلفة، وهي في الوقت ذاته لا تعبر عن ظاهرة حقيقية، ولا تعبر عن صور تذكرية. وعملية التخيل هذه لها أثر كبير في صياغة الأفكار، وظهور المخترعات، والمكتشفات، والأنظمه، والنتاجات الإبداعية الإنسانية، من أدب وعلم وفن..... والخيال أكبر من الإبتكار، وهو صفة إنسانية مكّنت الإنسان من أن ينجز إبداعاته المختلفة في ميادين الحياة))[39]

((والخيال مهم أيضاً لتحقيق كل الأهداف العليا التي نأملها في أطفالنا، ومن خلاله نستطيع النهوض بمواهبهم، وتحقيق التوازن النفسي وإثراء حياتهم، وبذلك ينجحون في القيام بمهامهم المستقبلية، في بناء أوطانهم والحفاظ على أمّتهم..... ومن تعريفات الخيال: أنّه قدرة ذهنية على تكوين صور مختلفة جديدة، لم يمّر بها الفرد من قبل، لكنّها على وجه ما يمكن أن تكون منتزعة من الخبرات السابقه له. وعندما يصبح هذا الخيال وسيلة العقل في تأليف تنظيمات جديدة من هذه الصوره تتصل بأبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر، والمستقبل؛ بذلك يتشكل الإبداع العقلي والقدرة على اكتشاف الجديد، والتعامل مع التقدم التكنولوجي في الحالات المختلفة... وهكذا تتجلى أهمية الخيال في تكوين الأعمال الأدبية التي تقدم للطفل، كما تبرز أهميته بالنسبة له وهو يتعامل مع هذه الأعمال الأدبية، فيتفاعل معها وتتحقق له كثير من غاياتها))[40]

إن الخيال ضرورة من ضرورات الإبداع، يجب ان نعترف به ونتميه، والطفل خياله واسع الأفق بلا حدود، خاصة في مراحل عمره الأولى، وقد تحدثنا عن الخيال وتنميته كهدف تربوي للقصّة في الفصل الثالث من الرسالة واختلاف هذه الظاهرة حسب اختلاف عمر الطفل، وقد كانت هناك أقوالاً وآراء حول هذه القضية، فكان بيير بيلفيه، صاحب مدرسة الخيال، وكانت له تجربه فريده من نوعها وهي العلاج بالخيال، كما ان روجيه بوكيه– من اتباع مدرسة الخيال أيضاً– يرى أنّه ليس هناك ما يحرك خيال الطفل أكثر من كتاب يقرؤه أو ورقة

---

[39] نجار، نزار،" ينبوع حكايات الأطفال الخيال العربي في التراث" ، الفيصل، ص٧٥، عدد٣١٤، أكتوبر ٢٠٠٢م.

[40] أبو الرضا، سعد،" التناغم الإنساني والمعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي" مجلة الطفولة العربية، ص٧٣، عدد١٠، مارس، ٢٠٠٢م.

بيضاء يكتب أو يرسم عليها. ووَجد فرنسوا فيدال: أن معظم الأطفال لا يريدون أن يحدد الكبار لهم خيالاتهم فيما يكتب لهم، وقد قدم لهم قصصاً مرسومه بأكثر من أسلوب، ومن خلال الرسوم المتعدده، يستطيع كل طفل أن يستخلص بخياله من كل ما يراه، اسلوب التعبير القريب إلى نفسه، ويرى فيدال ان خيال الأطفال يسبق خيال الكبار.[٤١]

فالأطفال خياليون، ويختلقون كل يوم وقائع، ويصوغون أحداثاً ومواقف يبالغون فيها، حتَّى يلتبس عليهم الخيال بالواقع، وهم يدرسّون أخيلتهم في كل شئ في تصرفاتهم وفي كل أفكارهم وألعابهم وفي آمالهم. يقول النجار:((إن المخيّلة هيأت للطفل أن يبصر، وأن يسمع، وأن يتذوق، وأن يتلمس بعقله، مالا يستطيع الإحساس به عن طريق حواسه مباشرة، والطفل يتصوّر هنا ما ليس له وجود، ولولا هذه القدرة، لما استطاع أن يصل إلى معنى أدبي أو علمي أو فنّي. ويبقى الخيال طريقاً لامتصاص الأطفال للثقافة، واسلوباً لتجسيد عناصرها فنياً. فمن تعريفات الأدب في هذ الإتجاه: أنّه لغة الخيال أو التعبير عن الخيال))[٤٢]

و الأطفال بحاجة إلى الخبرات التي تجعلهم يعبرون عن أخيلتهم، وعن خبراتهم في تلقائية مبدعة، والتراث العربي غني بالخيال، غني بالصور والتصوّرات المبتكرة، فقد تألق الخيال في تراثنا العربي، وقد كان الراوي ينطلق مع عجائب الأحداث، وغرائب المغامرات، وأطوار الناس وطبائع الكائنات في إطار مسرح خصب، وخيال ثرّ غني بالأخبار والأسرار. ومن ذلك: اسطورة عوج بن عنق للطبري، فهناك العملاق الجبار، الذي يشرب من السحاب الثقال، ويتناول الحيتان من أعماق البحار، ويشويها بعين الشمس. وفي حكاية زرقاء اليمامة ما يثير الخيال، وينمي الفكر، وينهض بالمخيّلة، وهناك الكثير من الحكايات في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني، والف ليلة وليلة وغيرها الكثير من حكايات الأساطير والمغامرات، التي تتفرد باختراع مخلوقات عجيبة ومناظر فريده لم تُر،فلقد سبق الخيال العربي جون فيرن،وبفضله صارت هناك حقائق وإنجازات بشرية .

فهناك في القصص من كانت لديه فرس إذا ركبها الإنسان تطير ونوصله إلى أي بلاد أراد، كالطائرة، وهناك دائرة الفلك، التي من خلالها ينظر المرء جميع البلاد من المشرق إلى المغرب كالقمر الصناعي، وحكاية العلاج في

---

41 الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ص١٤٠.

42 النجار، نزار،" ينبوع حكايات الأطفال: الخيال العربي في تراثنا" الفيصل، ص٧٦.

الطب بوصفات كعلاج الوصفات الكيماوية الآن، وهناك إرهاص لجهاز إنذار مبكر، وقاذفات للهب وشحنات كهربائية. وغيره من ذكر إرهاصات وتخيلات في ذلك العالم المسحور والذي أصبح فيما بعد حقيقة، ففي هذا العالم المثير، ينتصر فيه الخيال ويحلّق ناهضاً بعيداً عن القيود والأساور[٤٣]، وما يحتاج إليه الطفل العربي هو الخيال الحر، لا الخيال المؤطّر، و الحرية والمتعة لا الخوف ولا القيود القاسية، والحقائق المفروضة، وبما أن أطفال اليوم هم رجال المستقبل، لذلك فإن تشكيل خيالهم، وتربية أذواقهم معناه التأثير على الجيل القادم كلّه، وقصص الخيال العلمي والأدبي المقدّمه لهم، بها سحر يجذبهم إليها ويشوّقهم إلى المعارف والسفر والترحال، فكتب الخيال العلمي لها أثرها الإيجابي على الطفل، فتذوّقه للخيال العلمي، واندفاعه نحوه، سواء أكان حكاية قديمة، مثل : السندباد والبساط السحري، ام حكاية حديثه مثل : غزو الكواكب والفضاء، مفيد للغاية في تنمية ملكات الطفل اللغوية والإبداعية والنفسية، بل ويساعدْ على تحقيق التكامل النفسي، فمن الواجب! إضافة الخيال العلمي كجنس أدبي مهم، كما أن الخيال فيها المبني على واقع ونظريات علمية متوقعه أو قابلة للنفاذ يعطى قدرات فكرية أوسع، ويمكن أن يستغل في بناء طاقات الأجيال الجديده من الأطفال المبدعين والعلماء الصغار[٤٤]. كما يُحفزهم على العمل والبحث وتطلق لأخيلتهم العنان لارتياد المستقبل بوعي، وتضعهم في طريق البحث والتفكير العلمي، فضلاً عما تحدثه من عمق في الايمان بعظمة الخالق- سبحانه وتعالى.

والأديب يستطيع ان يستفيد من العلوم التطبيقيه أيضاً، وعلوم الحياة، ليقدمها في قصص للأطفال لتحقق الأهداف السابقة،[٤٥] فهي تساعد كذلك على ((نمو خيالهم العلمي. ومن المعلوم أن معظم المخترعات التي نراها أو نستخدمها اليوم كانت في يوم من الأيام فكره خيالية، ولولا تلك الفكرة ما كان الاختراع وما تحقق ما وصل إليه العالم من تقدم في شتى المجالات، حيث ان فكره عباس بن فرناس كانت فكره خيالية في يوم من الأيام، ولكنّها فيما بعد صارت حقيقة واقعة، خدمت العالم في تقدم وسائل الطيران وفوائدها، وهذا مما يدعو إلى إمداد الأطفال بالمعلومات، وتهيئة عقولهم للتخيل العلمي؛ ليساعدهم ذلك على الاكتشاف والاختراع))[٤٦]. وترى حنان العناني، ((ان هذا النوع من

---

[43] النجار،نزار"،ينبوع حكايات الأطفال :الخيال العربي فيتراثنا،"الفيصل،ص٧٦.

[44] عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص٥٥- ٦٢.

[45] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢٠٧.

[46] سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٨٩.

القصص- قصص الخيال العلمي- قليل نسبياً، وينبغي أن نكثر منـــه، فالأطفـــال ليسوا بحاجة إلى القصص الخيالية الخرافية بقدر ما هم بحاجـــة إلـــى القصـــص الخيالية العلمية التي تتحدث عن الاختراعات والاكتشافات))[٤٧]

((فالخيال في شطحاته ليذهب بنا بعيداً، ونحن بحاجة إليه كحاجتنـــا إلـــى العلم، عالم الإنسان يتوق إلى الخيال والمتعة، كما يتوق إلى العلم والمعرفه، ومـــا نتاج البشر الفكري وابداعهم إلا أخيله عاشوها، وأحلام اشـــتاقوا إلـــى تحقيقهـــا، فالخيال يسهم في إثراء الابداع الإنساني، وفي رفد ركب الحضارة الإنسانية))[٤٨]

الفرق بين قصة الخيال العلمي، والأسطورة، والقصص العلمي :

ولابد أن ننوه عن أن هناك فرقاً بين القصص العلمي، وقصـــص الخيـــال العلمي للأطفال، وبين قصة الخيال العلمي والأسطورة. فـــالفرق بـــين القصـــص العلمي وقصص الخيال العلمي : أن القصص العلمي: نوع من القصـــص يـــدور حول حدث علمي، أو اكتشاف، أو اختراع، وقع في عصر من العصور، وغالباً ما يعرض البيئه التي نشأ فيه المخترع، وصفاته الشخصيه وقدرتـــه علـــى اجتيـــاز العقبات التي تقف في طريقه، وكيف يتغلب عليها، وصـــولاً إلـــى اختراعـــه أو اكتشافه العلمي، وبعض هذه القصص يعنى بالخيال العلمي عناية واضـــحة ومـــن امثلة هذه القصص: عقلة الاصبع في جسم الإنسان، اسلحة الحيوان، كيف تطيـــر الطائرة، خفايا الحياه في تل النمل، فهي قصص تتناول الثقافة العلمية، وتدور حول ما يحيط بنا، من السماء، والكواكب وعلى الأرض، من حيوان ونبـــات، وتحـــت الأرض وفي الإنسان، والأجهزه والآلات، وهي تزوّد الأطفال بالمعلومات، وتبسط لهم حقائق العلم، وتقربه لهم في اسلوب قصص مشوّق. والهدف الاساسي من هذا النوع واستخدامه كأسلوب للتعلم، هو تنمية الخيال والســـلوك والقـــيم المرغوبـــة، وتزويد الأطفال بالثقافة العلمية واسلوب التفكير العلمي. والطفل القارئ يستطيع ان يفرق بين الحقيقة العلمية، والخيال العلمي، كما إنهم لا يترددون في قبول الحقائق العلمية ومعطياته وتصديقه[٤٩].

أما قصص الخيال العلمي كما يقول الشنطي : ((إنهـــا تتوقـــع، وتتخيـــل، مستندة إلى نظريات علمية سادت وشاعت، وستشرق في آفاق المستقبل، وذلك مثل قصص جول فيرن، وج ويلز، وهما من رواد هذا الفن...... كما اشـــتهر بـــراد

---

47 العناني، حنان، أدب الأطفال، ص١١٣.

48 نجار، نزار،" ينبوع حكايات الأطفال: الخيال العربي في التراث"، الفيصل، ص٨٢.

49 شحاته، حسن، قراءات الأطفال، ص٦١.

بري، بقصة الجراذ الفضي، وتفحات الشمس، وهي من نــوع قصــص الخيــال العلمي. يرى الشنطي : إن من الشخصيات التراثية التي يمكن استثمار جوهرهــا في مجال قصص الخيال العلمي، العباس بن فرناس، وما كتبه حي بن يقظان. أما قصص التراث الشعبي، كقصص الف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزيــد، وعنتــرة والظاهر بيبرس. فيرى، أنّه يمكن استثمارها في أدب الأطفال وليس في قصــص الخيال العلمي. رغم ما يراه بعض الباحثين مثل عبد البديع قمحاوي، وماهر شفيق فريد))[50] وإن كنت أرى أن قصص التراث تدخل بعد التهذيب تحت أدب الأطفال. وأما : ((خيال القصص الاسطورية هو خيال السحر والوهم و الخرافة، في حين أن خيال القصة العلميه هو خيال العلم والعلماء))[51]

إذاً فهناك فرق بين القصص العلمية، وقصص الخيال العلمي، وكما يــرى كثيرون أن هناك فرقا بينها وبين القصــص الاســطورية وقصــص التــراث[52]. وقدتكون القصص العلمية داخله ضمن قصص الخيال العلمي، إذا استخدم فيها هذا النوع من الخيال. ويقول أبو الرضا في هذا الموضوع:((وهذا القصص يستمد من العلم تصوّراته، سواء لتأكيد ما أنجز أو للتطلع نحو الجديد الذي يمكن أن ينجــزه الإنسان، لاكتشاف المجهول في الأرض والسماء، وفــي قــاع البحــر، وأجــواء الفضاء، وهو يتصدى لحياته ومشكلاته التي تعترض تقدمه، وبذلك فهذه القصص صدى لما حدث من طفرة في تكنولوجيا الاتصالات، حيث يوظف الكاتــب فــي رحلته الصاروخ أو الطبق الطائر أو سفينة الفضاء، للإنتقال السريع بــين آمــاد الفضاء وطبقات الأرض، أو يوظف الغوّاصات للوصول إلــى أعمــاق البحــار والمحيطات...... فقصص الخيال العلمي ومسرحياته من أهم ما يجب أن نقدمــه للطفل. كمصدر ثري لكثير من الأفكار والنظريــات العلميــة البســيطة بــرغم عصريتها، حتّى يتفاعل معها ويعيها، وتتسلل إلى فكره ووجدانه بصياغتها الأدبية المناسبة، وتشويقها الممتع، المستجيب لتطلعاتــه، المشــبع لاهتمامــه فــي هــذه المجالات، فننشئ فيه العالم المبتكر، وننمي فيه الإنسان الفنان، وندعم فيه البنّــاء لأمته))[53]

ويحتاج مؤلف هذا النوع من القصص- كما يقول بريغش- إلى أمرين:

---

[50] الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، ص٢٩٢.انظر، يوسف، عبد التواب، "خريطة أدب الأطفال" ثقافة الطفل واقع وآفاق، ص٦٥

[51] هارلول،" عصر العجائب، استكشاف قصص الخيال العلمي" الفيصل، ص٩٤، عدد١٦٨، ديسمبر ١٩٩٠م.

[52] سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، ص٨٩ إلى ٩٢.

[53] أبو الرضا، سعد،" التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي" مجلة الطفولة العربية، ص٧٥.

١- فهم الموضوع الذي سيكتب عنه للأطفال، والإحاطة به من الناحية العلمية الاختصاصية، بشكل يسمح له بالتصرف في عرض المعلومات، واختيار المناسب منها بشكل يتلاءم مع السن والمرحلة والهدف.

٢- القدرة على اختيار الاسلوب السهل الواضح، والمفردات العلمية المناسبة، والطريقة التي تجعل الموضوع مشوّقا مستساغاً مفهوماً للطفل. كما ان لهذا النوع من قصص الأطفال، فائدتان أساسيتان: الأولى: زيادة خبرة الطفل العلمية، وزيادة ثروته من المعرفة لمختلف العلوم، مع بذر بذور الملاحظة والتجربة والبحث والتنقيب والاستنتاج لدى الطفل.

الثانية: تعميق إيمانه، وزيادة وعيه، وربط هذا الايمان بالمظاهر التي ترسخ هذا الاعتقاد وتزوّده وعياً وثباتاً لاسيما إذا أحسن الأديب- بطريقة غير مباشرة- الربط بين هذه العلوم والخلاّق العظيم، وتفسير هذه النواميس الدقيقة، التفسير الإسلامي الصحيح، والإشارة إلى علاقة الإنسان بالكون. وهي مهمة تحتاج إلى قدرة من الوعي والابداع، ولكنها ستعطي اعظم النتائج التربوية في عالم الأطفال، إضافة إلى الفوائد الأخرى كزيادة الثروة اللغوية وغيرها من الفوائد.[٥٤]

و من أهم عناصر نجاح هذا النوع من القصص،-كمايرىهارتول-: أنّها تتيح لنا الإنعتاق من بوتقة همومنا الحقيقية، وتخلق لنا عالماً جديداً سهلاً، فيمكن في رحابة حل المشكلات بواسطة العلم والمنطق، والشرح المعقول، وكما أن هذ العالم الجديد ليس مختلفاً عن عالمنا فحسب، إنّما هو أفضل منه.[55]

إلا أننا لابد وان ننبه – على الرغم من أهمية تنمية هذا الخيال – إلى مدى وشكل الارتباط بين الخيال العلمي في القصة، وبين واقع الطفل الذي يعيشه، فلا يكون الخيال جواداً جامحاً ينطلق به الإنسان إلى أي مكان دون ظوابط معيّنة أو أصول محدده، فمن الخيال ما يجنح بالطفل ويبعده عن واقعه بشكل لا يصدقه ولا يتقبله، وان هناك من الخيال ما يبعده ثم يعيده إليه ليصلح من شأنه[٥٦].

---

[54] بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال، ص٢٠٩. لبريغش محاولة في هذا النوع تحت عنوان: المعمل العجيب، براعم الايمان، عدد١٦٠، يونيو ١٩٨٨م.

[55] هارتول،" عصر العجائب، استكشاف عالم قصص الخيال العلمي" الفيصل، ص٩٤.عدد١٦٨،ديسمبر،١٩٩٠م.

[56] طعيمة، رشدي أحمد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص٢٤٦.

عبد التواب يوسف والخيال العلمي والخيال الأدبي

اهتم عبد التواب يوسف بتنمية الخيال لدى الطفل، وأشار إليه في كثير من دراساته التي قام بها، وقد كان له نصُ عن الخيال استشهد به أكثر من باحث في مجال أدب الأطفال، وقد كان النص على النحو التالي : ((إن خيال الطفل دنيا واسعة بلا حدود، تعيش فيها صور وشخصيات وأحداث ومرئيات، وإذا نحن لم نخلق له هذه الدنيا، ابتكرها وأوجدها.. إنها دنيا يستبقيها الطفل مما يسمعه من قصص أو حكايات، وأحياناً يخلقها، ويعيد فيها تنظيم العالم كما يتراءى له، وكما يحلو له أن يصوّره، وقد استطاع كثيرون أن ينفذوا إلى خيال الطفل، ويخلقوا فيه ما يتمنى بالفعل أن يكون موجوداً، فالطفل مثلاً، يلاعب القط ويحدثه، وكلنا نلاحظ كيف ينعقد الحوار الغريب بين أطفالنا وبين الطيور والحيوانات، وأمنية الطفل أن يرد القط عليه، وينطق الكلب الصغير، ويخرج الفأر من مكمنه ليلاعبه ويتبادل معه الحديث .... وأطفال اليوم هم رجال المستقبل، وتشكيل خيالهم، وتربية أذواقهم معناه التأثير على الجيل القادم كله،.... وهم اليوم- كما يرى البعض- قد ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى كتب الأطفال، وضاقوا ببساط الريح وسندريلا وذات الرداء الأحمر، ورفضها كثيرون منهم لأنّها بالغة السذاجة ممعنة في البساطة، ولأنها تحدد خيالهم، في حين أن هذا الخيال يستطيع أن يغير الكثير من ذوقهم، وبالتالي يغير من عالمنا ذاته، ولهذا ينادي البعض بألاّ نخاطب الطفل من أعلى، خاصة في مجال الخيال، لأنّه يسبقنا ويتفوق علينا في هذا الميدان بالذات))[٥٧]

وقد أشار إلى هذ النص- والذي نلحظ منه الاهتمام بتنمية الخيال السليم الخصب لدى الأطفال-: د. نجيب كيلاني في مقالة، عبد التواب يوسف وصديقي الحقيقي[٥٨]، كما اشار إليه في كتابه أدب الأطفال في ضوء الإسلام[٥٩]، وكذلك على محمد الغريب، في مقالة الكتابة للأطفال ليست ملكاً مشاعاً[٦٠]، وبريغيش في كتابه

---

[57] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٠٤، القاهرة، ١٩٩٢م.

[58] الكيلاني، نجيب،" عبد التواب يوسف وصديقي الحقيقي"، عبد التواب يوسف وأدي الطفل العربي، ص٤٩، ط٢.

[59] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٦٥، ط٤.

[60] الغريب، على محمد،" الكتابة للأطفال ليست ملكاً مشاعاً"، www.lahaonline، تحت عنوان أدب وفكر في دائر النقد. الانترنيت.

أدب الأطفال اهدافه وسماته[٦١]. وقد أشار بريغش إلى كلمه، لم نخلق، بأنها تكون افضل لو كانت لم نصوّر أو نصف، ونتحاشى كلمة نخلق.
ولم تلفت هذه المقولة نظر المهتمين بأدب الأطفال؛ إلاّ لما تحتويه من معاني مفيدة في هذا المجال.

ويشيرعبد التواب يوسف إلى أهميته بالنسبة للطفل فيقول:((وللخيال إيجابياته التي تجعل منه ضرورة لازمة للطفل، خاصة في سن عمره المبكر، ونحن نعد الطفل ليعيش في المستقبل، ونحن ولاشك مختلفون بالنسبة للعصر الذي سيعيشه، والمستقبل يحتاج منا إلى درجة عاليه من التخيل والتصوّر، حتى لا نفرض على الطفل ماضينا وحاضرنا، بل نعده إلى مستقبل أكثر تقدماً علمياً وحضارياً، ولاشك أن للخيال فضله الكبير على الإنسانية، لسنا ندّعي أن الإنسان اخترع الطائرة كثمرة لبساط الريح، أو أن روايات جول فيرن الفرنسي، وويلز الانجليزي، وسلجارى الايطالي، كانت وراء المخترعات الحديثه- كما يرى البعض- ولكنها كانت ولاشك سهماً يشير إليها، كما أنّها لفتت الأنظار للاهتمام بهذه الأمور الحيوية، وهذه المجالات الضرورية لحياة الإنسانية. إن هذه الأساطير قد تكون منبعاً من منابع الخيال العلمي أو التعليمي وهي الاسطورة التي تفسر الكون وما فيه تفسيراً ميتافيزيقياً))[٦٢] وإن كان هناك من يرى بالفصل بين القصص الاسطورية والتراثيه وبين القصص العلميه وقصص الخيال العلمي، كما مرّ في السابق. إلاّ أن عبدالتواب يوسف يستطيع أن يوظف القصص من التراث بعد تهذيبها فهو ((يهتم بتنقيه كتابات الأطفال من الخرافات، وان كان لا يبعد بها كثيراً عن الخيال، والفارق كبير بين الخرافة والخيال. فالكتابات المليئة بالخرافات والمخلوقات المتوحشة أو ذات القدرات الخارقه لا تخدم وعي الطفل ولا تساعده على مواجهة السلبيات مستقبلاً من خلال العقل الإنساني وحده))[٦٣] فهو يتخير القصة التي سيكتبها لتثري خيالاً مجدياً.

وقد كانت لعبد التواب يوسف كثير من القصص العلمية، مثل الأربعة اللذين سرقوا الزمن، من سلسلة (أولادنا) و أيضاً اللقاء الفريد، والتي يخدمها الخيال العلمي- كما أرى- فقصص اللقاء الفريد، والتي قابل فيها علماء العرب بعلماء

---

[61] يريغش، محمد حسن، أدب الأطفال اهدافه وسماته ط٣، ص١٨٦..
[62] يوسف، عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص١٠٨- ١٠٩.
[63] المقالح، عبد العزيز،" عبد التواب يوسف وملاحظات في أدب الناشئين" عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي، ص٤٢، ط٢.

الغرب، كانت هذه المقابلات خيالية تخدم إيصال المعلومات العلميه والتاريخية، من العلماء واختراعاتهم واكتشافاتهم، إلى ذهن الأطفال وتجذبهم إليها.

كما أنّه قد يكون الخيال العلمي موجوداً في قصص من التراث، كقصة حي بن يقظان- كما يقول عبد التواب عنها:((إنني اعد هذه الحكاية بالذات أولى قصص الخيال العلمي- على مستوى العالم، ولا أظن أن قصة سبقتها- فيما اعرف- إلى هذا المجال الواسع العريض، وقد انتشر هذا الجنس الأدبي انتشاراً واسعاً عالمياً))[٦٤]

فهو يرى – على ما يبدو من السابق – أن الخيال العلمي والذي يكون نوع من الخيال تدخل تحته القصص المتنوّعة، سواء أكانت : علمية، أم تراثيه أم اسطورية،[٦٥] في حين أن هناك من يرى أن للخيال العلمي قصصاً خاصة به، وإنّها تختلف عن قصص الاسطورة والتراث، والقصص التعليميه، كما مرّ في السابق.

ويشير عبد التواب إلى وجود ظوابط لهذا الخيال، فيقول : ((هناك فارق بين الخيال من جانب، والكذب وعدم الصدق من جانب.. والأطفال يحبون سماع الحكايات التي يعتقدون أنّها ممكنة الحدوث، وهم أيضاً لا يرفضون الأحداث الخارقة...))[٦٦] ويحذر الكاتب من اغراق الطفل في الخيال، الأمر الذي يبدد طاقته الواقعيه، ويجعله يحيا دائماً في أحلام اليقظة، ويهرب من مواجهة الواقع، كما أننا ندفعه عن طريق الاغراق في التصوّرات إلى تحويل الخيال إلى أكاذيب)).[٦٧]

---

[64] يوسف، عبد التواب،" حي بن يقظان والأدب الإسلامي" الأدب الإسلامي، ص٥، العدد الخامس عشر، محرم، ١٤١٨هـ.

[65] انظر، يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٦٤.

[66] يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٧١.

[67] الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص١٦٦.

الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن في علم الضوء[68]

وهي قصة من مجموعة اللقاء بين علماء العرب وعلماء الغرب، وهي مجموعة يجري فيها عبد التواب يوسف لقاءاً بين علماء العرب، وعلماء الغرب الذين عملوا في مجال واحد. واسماه اللقاء الفريد: الذي يروى قصة حضارة العرب، وكيف سبقوا الغرب، ثم كيف تفوق الغرب على العرب.. وقد فازت هذه المجموعة بأول جائزة للدولة في ثقافة الأطفال.

ويقول عبد التواب في مقدمة هذا الكتاب : ((إن في بدايته كلمة وحكاية.. الكلمة تقول إن وراء الكتاب نقطة ويدور حول نقطة.. الفرق بين كلمتي عربي وغربي نقطة.. وهي التي يدور حولها الكتاب: حضارة العرب وحضارة الغرب. لقد سبقناهم في العصور القديمة، في مصر وبابل وأشور واليمن وفينيقيا.. وسبقناهم في العصر الوسيط في العلم والاختراع.. في الاكتشاف والابتكار.. في الفلسفة والأدب والفن.. ثمّ تخلّفنا عنهم..))[69]

وهو في القصص التي خصصها للأطفال يبدأ في أول قصه بنفس المقدمة ولكن باسلوب يتناسب مع الأطفال، فيقول:((هذا كتاب وراء نقطة، ويدور حول نقطة واحدة.. الفرق بين كلمة عربي وكلمة غربي نقطة واحدة.. مجرّد هذه النقطة البسيطة تجعلنا نفكر في أنّ الأشياء الصغيرة- مثل النقطة- تقوم بأعمال كبيرة.

والنقطة الواحدة التي يدور حولها الكتاب هي ذلك الفارق بيننا- نحن العرب- وبين الغرب وأوربا.. إننا نتحدث كثيراً عن أننا سبقناهم في الحضارة.. سبقنهم في العصر القديم، مصر الفرعونية، وبابل، وأشور في أرض العراق، وفينيقيا في أرض الشام، وسبأ ومأرب في أرض اليمن.. وفي العصر الوسيط سبقناهم- نحن أبناء العرب والمسلمين- وصنعنا حضارة زاهرة.. سبقناهم في العلم والاختراع.. والاكتشاف والإبتكار.. وسبقناهم في الفلسفه والأدب والفن.. ولكننا في العصر الحديث تخلفنا عنهم كثيراً.. ونحن نردد دائماً أخبار هذا السبق الذي صنعناه، وننسي التقدم الذي صنعوه.. أو نلوم أنفسنا لتقدمهم وننسى أننا كنّا أساس حضارتهم))[70] وهي مقدمة فيها نوع من التحفيز والتشجيع، بعد عرض الحالة.

---

[68] يوسف،عبد التواب،الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن في علم الضوء،ط٢،القاهرة ،١٩٩٦م.
[69] يوسف، عبد التواب، الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية، ص٣٣، ط٢، ١٩٩٦م.
[70] يوسف، عبد التواب، الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن في علم الضوء، ص١،

ثم يذكر قصه أوزّ روما، وكيف أنقذت المدينه، ومن ثم كان رجلٌ يقسوا على أحفاد هذا الأوز، فجاءوا إلى صديق صاحبهم ليذكّروه بما فعل أجدادهم لهم فقال لهم: هو وأنا نعرف ما فعله أجدادكم.. لكن السؤال: ماذا فعلتم أنتم؟؟ وأراد بهذه القصة مغزىً أورد فيه قول الشاعر الذي يقول: ليس الفتى من يقول: كان أبي.

وثم يعقب بقوله: ونسأله ومن الفتى؟!

- إن الفتى من يقول: ها أنا ذا..

ونحن العرب كلٌ منا مطالبٌ بأن يكون الفتى الذي يقول: هأنذا![71]

وعبد التواب يوسف بهذه المقدمة يخاطب الأطفال باحترام، فهو يخاطب عقولهم وأفكارهم ويحمسهم لأن يكونوا الأفضل، وأن يتابعوا السبق الذي أتى به أجدادهم، وأن لا يبكوا على الأطلال فقط، وهو بهذه المقدّمة يحمسهم لأن يتعرفوا على الانجازات العلمية التي تقدم بها أجدادهم، وأيضاً هي مقدمة تشعرهم بالمسؤلية تجاه هذه الانجازات، وقد يتحمس البعض أو الكثير لمتابعتها أو النهج على سيرها. ولم لا ؟؟.

ويقدم لهم العلماء، ويقابل ما بينهم، من العرب والغرب، ليؤكد للأطفال سبق العرب المسلمين في المجال الذي يتحدث عنه، ويقدمه بطريقه ظريفه ومشوقة مبنية على الخيال، فهو يعتمد في هذه القصص على الخيال الذي يقدم به هذه العلوم الحقيقية، والخيال في هذه القصص ليس في الانجاز نفسه أو الاختراع وإنما في طريقة المقابلة بين العالميين، ليحكي كلاهما انجازاته العلمية أو يحكيها الآخر للأول. وهي تعتمد على اسلوب الحوار المباشر بين الاثنين، في الأغلب أو حوار عن طريق رساله كما في قصه ابن يونس المصري يقابل جاليليو في اختراع الساعة، وقد يكون حديثاً مسرداً كما في قلم المعز لدين الله، ومذكرات فاسكو دا جاما. وقصة الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن في علم الضوء تبدأ بالتالي:

((ذات صباح، أشرقت شمسُه ساطعة على لندن، جلس نيوتن في هدوء تحت شجرة التفاح الشهيرة، إنّها تلك الشجرة التي سقطت منها تفاحة، فلم تمتد إليها يده لتلتقطها كي يأكلها، كما أنّه لم يهمل هذا الذي حدث ويحدث دون أن يهتم به أحد، بل فكر في الأمر طويلاً.. وسأل نفسه ببساطه:

- لماذا سقطت التفاحة؟

---

[71] يوسف، عبد التواب، الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن، ص١.

وإذا بالإجابة عن هذا السؤال تكشف واحداً من أعظم اكتشافات العصـــر.. إنّه قانون الجاذبية.
كان نيوتن في ذلك الصباح المشرق يمسك في يده منشوراً زجاجياً- وهـــو هـــرم قاعدته مثلثة، لذلك له ثلاثة أوجه- كان يقلبه أمام ضوء الشمس فيظهر له قـــوس قزح بألوان الطيف السبعة.. ويبتسم نيوتن، ويحاول أن يمضي في قراءة صفحات كتاب كان يضعه على رجليه.. وطالت الجلسة، ويبدو أنّ نيـــوتن نفســـه نعـــس، وأغفى..
تسلل الحسن في هدوء، ليجلس بجانب العالم الشاب الذي هتف في صـــوت عميق؟

- من أنت؟
- ألا تراني؟
- أراك بخيالي، لا بعيني..
- وهل ترى العينان؟

ابتسم نيوتن. إن الرجل الذي جاء ليجلس معه عالم، لأنّـــه بهـــذا الســـؤال البسيط يسخر من علم اليونانيين القدماء، الذين كانوا يتصوّرون أن شعاعاً يخـــرج من العين يجعلنا نرى الأشياء.. لذلك يردّ نيوتن:
- إنني مثل كل العالم، أعرف الآن أن الضوء شئ مســـتقل عـــن العـــين، وأعرف أن الأشعة هي التي تسقط على الشئ، وتنعكس لتصل إلى العين، وبـــذلك تراه وتبصره.

- رائع .. إن كل الدنيا تعرف هذا الآن.
- الا تعرفه أنت ؟
- كيف لا أعرفه وأنا الذي قلته لكل الدنيا ؟
- إذن انت هَزَن أو الهزن ؟
- اسمى حسن، أو الحسن وليس هزن

ويهتف نيوتن في صوت مرحباً: أهلاً أستاذي.. وأستاذ العالم كله في علـــم الضوء.. أهلاً بك أيّها العالم العظيم الحسن بن الهيثم.
سأله الحسن: هل قرأت كتابي في الضَّوء؟
أجاب نيوتن وهو يحرّك المنشور الزجاجي بين أصابعه أمام الشمس:
طبعاً.. كيف كان يمكنني أن أقول إن الضوء مكوّن من كل ألوان الطيف لو لم أقرأ كتاباتك.. أنت أول من صححت علم اليونان في هذا.. وأنت أول من تكلـــم

عن انعكاس الضوء، وانكساره وامتداده.. لقد تناولت تجاربك ضوء الشمس، وضوء القمر، وضوء الكواكب.. كما درست الإضاءة الشديدة والإضاءة الضعيفة.. وعنك أخذ جاليليو))[٧٢]

ويتابع الحوار بين العالمين، في نقاش علمي يدخل بينه روح المداعبه والملاطفه، حتى لا يمل الطفل من المعلومات العلمية ولا يشعر بالجمود تجاهها. فالحوار بين الرجلين يكسر هذا الجمود، ثم الدعابات[٧٣]التي تتخلل هذا الحوار مما يحبب الطفل ويجذبه إلى معرفة الباقي من القصة دون ضجر أو ملل. ويرد في القصة اسماء لكتب، وارقام المؤلفات، والسنين لميلاد كليهما ومكان الميلاد. وبهذا يتعرف الطفل على قدر كبير من التاريخ العلمي، وان كانت هذه الأرقام والتواريخ قد لا يلم بها الطفل كلّها ولن يحفظها كلّها فهو على الأقل يتعرف عليها وسيتذكرها إذ ما تكررت المعلومه مرة أخرى. فالطفل أسرع في الحفظ من البالغ.

وفي نهاية القصة كانت نهاية الحوار بينهما أن قال نيوتن للحسن : ((إنني أتردد في نشر أبحاثي ودراساتي وكتبي.. لأن الناس يهاجمون أفكاري وكتاباتي ونظرياتي.. الجو العلمي في القاهرة وبغداد أيامك أفضل منه في لندن الآن..

– يجب ألا نهتم لهم.. فلا يصح إلا الصحيح.. وذلك يحدث كثيراً بعد سنين طوال.. واصل عملك يا نيوتن .

وسقطت في هذه اللحظة تفاحة، فوق رأس نيوتن.. استيقظ على إثرها من نومه ليجد المنشور الزجاجي بين أصابع يده، والكتاب في حجره، ولـيس بجانبه أحد.. كان من الواضح أن قراءته لكتب الحسن بن الهيثم قد جعلته يفكر فيه طويلا.. حتّى قابله في أحلامه.. وتحدّث إليه، وناقش معه أمور علم الضوء، وتبادل معه الرأي في الكثير.. وكان على الرجل أن يصحو لكي يواصل أعماله الكبيرة مستفيداً من رائده العظيم. ابن الهيثم ابن البصره وبغداد والقاهرة))[٧٤]

ويتعمد المؤلف في كل قصة أن يشير إلى ما كان خيالاً أو حلماً في نهاية القصة، حتى لا يختلط على الطفل بين ما كان واقع صحيح، وبين ما كان من نسج الخيال، فيشير إلى أنه كان حلماً واستيقظ منه العالم اللاحق أو تخيل. أو عن طريق شخصية فيجعلها تورد الوقع العلمي، كما في قصه المعز لدين الله الفاطمي، يقابل ووتر مان في القلم الحبر، فهنا كان القلم الحبر هو الراوي لقصته، ولم يكن في هذه القصة حواراً بين العالمين، وأيضاً في اللقاء بين أحمد بن ماجد وفاسكودا

72 يوسف، عبد التواب، الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن، ص٣– ٥.
73 يوسف، عبد التواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٧٦.
74 يوسف، عبد التواب، الحسن بن الهيثم يقابل إسحاق نيوتن، ص١٤.

جاما، كانت عبارة عن مذكرّات يومية مُتخيّلة لفاسكودا جاما. جاء اثرها ذكر أحمد بن ماجد وانجازاته.

والخيال في هذه القصص خيال يخدم ايصال المعلومات العلمية، والتاريخيه الحقيقيه، عن العلماء واختراعاتهم واكتشافاتهم، إلى ذهن الأطفال بطريقة تجـــذبهم إليها.

والفائدة من وجود الخيال في قصص كهذه، أنه عامـــل جــذب وتشـــويق للأطفال، فالعالم بلا خيال ثقيلا مملاً كما يقول عبد التواب يوسف.[٧٥] وعلى الرغم من أن الأحداث العلمية هي حدثت في الحقيقه. إلا أن الطفل عند سماعه للقصـــة سواء علمية أم غيرها، فإنه يسبح معها في عالم الخيال، ويتخيل أحداثها الواقعيـــه بطريقته الخاصة. فهو سيتخيل كيف كانت الطريقه التي أتى بها الحسن بن الهيـــثم لمقابلة إسحاق نيوتن، وسيتخيل بطريقته الملابس التي كـــان يرتـــديها، وألوانهـــا وسيرسم بخياله علامات الدهشه على وجه نيوتن عند مقابلته للحســـن، وســـيتخيل الطريقه التي يتحرك بها كُلاً من الشخصين عند حديثهما وسكوتهما، وسيبدأ بتخيل التجارب التي قام بها الحسن وماذا كان يفعل في معمله، وكيف عكف على علمه، وحتى الألفاظ والكلمات في دلالاتها سترمز إلى معاني متخيلة في ذهـــن الطفـــل، وهي ستختلف في وعيها من طفل لآخر، حسب رصيده من الثقافة الذي سيساعده عن طريق الخيال الوصول للواقع أو ما شابهه أو الابتعاد عنـــه، والمؤلـــف فـــي قصته يضع له الخوط التي يصل عن طريقها لما يريده من إفادة وامتاع للطفل.
في الوقت الذي ينقل إليه الخبرة والمعرفة، ومن ثم تنمية القدرة على التفكير. وقد يكون فيما بعد إلى الاختراع. ومن هنا يمكن أن تعتبر قصص الخيال العلمي لونـــاً من ألوان التلاؤم والتناسق بين التقدم التكنولوجي، وما يجب أن يكون عليهـــا أدب الأطفال.[٧٦]

---

[75] يوسف، عبد التواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٦٦.

[76] أبو الرضا، سعد، " التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي "، مجلة الطفولة العربية، ص٧٥، عدد (١٠)، مارس، ٢٠٠٢م.

الكتاب إنسان[٧٧]

وهذا الكتاب من سلسلة: هيا نقرأ، وهي مجموعة قصص حول موضوع القراءة، والتي بذل فيها الكاتب جهداً لتحبيبها إلى الأطفال، إذ ان موضوع الطفل والقراءة لديه موضوع أثير إلى نفسه.

فغير القصص والكتب التي كتبها للأطفال، لتوجيههم وتحبيبهم القراءة، هناك الدراسات والمقالات والأبحاث، التي أشار إليها والتي ألفها للكبار عن أهمية القراءة للطفل، وكيف السبيل إلى ذلك.

فالقراءة هي المدخل إلى جميع العلوم، ولقد أشرت إلى هذا الكتاب في موضوع الكتاب وقراءته، تحت مبحث الخيال العلمي، لأنه لا عالم بدون كتاب، ولا علم بدون القراءة والكتابة.

يقول عبد التواب يوسف:((إذا ما أصبح الطفل قارئاً نشعر بلإطمئنان نحو تعليمه ودراسته، لأن القراءة مفتاح النجاح إلى كلّ المواد التي يتلقاها في مدرسه أياً كانت، وكثيرون يفشلون في الرياضيات لسبب بسيط، وهو أنهم لا يفهمون مسائلها، ويحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى العلوم والتكنولوجيا، فضلاً عن العلوم الإجتماعية والآداب، والفنون وما إلى ذلك. فالقراءة مدخل للتعليم من أوسع أبوابه، وسوف تثير لديهم كماً كبيراً من الفضول كلما أقبلوا عليها، وكلما زاد حب الاستطلاع لديهم زادت قراءاتهم، وتحسنت، وراحوا يتعرفون على عالمهم بصورة أفضل، وتثري حياتهم بشكل أكبر، واكتسبوا من المهارات، ما يعينهم على صياغة مستقبلهم......، وليصبحوا قراءاً على مدى العمر كله، ويصبح الكتاب مصدراً للمعرفة، ورفيقاً مستمراً فيه متعة وسلوى))[٧٨]

والكتاب موجّه لأطفال التسع إلى الثانية عشر من السنين، وهو الأول في السلسلة، وكأنه المقدمّة للقصص التالية، من سلسلة المجموعه، وكأنه يحاول أن يربط بين الكتاب والطفل فيستخدم اسلوب الأنسنة، فيجعل الكتاب يشعر بأحاسيس الفرح إذا ما لقي قارئاً، وبالحزن، وقد يُعبس ويتولّى، وربّما يبكى إذا ما ظلّ مغلقاً.. وهو كالمربي: الأب، وكالام الحنون، يتكلم ويعلمنا، وإذا ما سألناه فإنه سيجيب...... وكثير من الصفات التي تقرب الطفل للكتاب وتجعله يشعر به

---

[77] يوسف ،عبد التواب، الكتاب إنسان،القاهرة ،١٩٩٩م.

[78] يوسف، عبد التواب، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، ص١٢٩، دمشق، ٢٠٠٢م.

ويجعل له مكانة عنده، ويعزّه. ثمّ يبدأ في الكتب الاخرى من المجموعه بسرد القصص والحكايات أو مذكرات عن الكتب والقراءة.

يبدأ هذا الكتاب ببدايه مشوّقه للأطفال، بالتالي : ((رَسَمَتْ رحاب عينين وأنفاً وفماً، ورسمت في أسفل الورقه ساقين وقدمين، ووضعت إطاراً للوجه. اتصل الإطار بالقدمين، وظهر إنسان. وأضافت عدّة خطوط.. وإذا نحن أمام شئ طريف: كتاب.

الكتاب يفتح صفحاته كأنها ذراعان تحضنان الصديق

الكتاب إنسان. يبتسم عندما يلقى قارئاً.

الكتاب قد يُقطب. وربّما يعبسُ ويتولّى.

ربّما يبكي الكتاب عندما يظلُّ مغلقاً، أوراقه ملتصقة ببعضها.

والكتاب أبٌ يُربينا ويعطينا، ويأخذ بيدنا، ويطعمنا ويكسونا.

الكتاب أمٌ حنون. يَلِدُ أفكاراً، وأبطالاً.

الكتاب يحكي حكاية قبل النوم، مثل الجدّة والأم، والأب.

وهو يوقظنا، ويجعلنا غير قادرين على النوم، لأنه مثير.

الكتاب يُكلّمنا. ويعلّمنا، لأن عنده ما يقوله.

أسأله أثناء القراءة، وإذا بي أجدُ عنده الجواب، كأنّه يسمعني كما أسمعه.

وهو يلاعبني ألعاباً عدّة..))[٧٩]

وهو في كل مقطع يبدأ بجملة عنوان الكتاب،وهي (الكتاب إنسان) ثم يشرح معنى الجملة، يشرح كيف ذلك، ثم مرّة أخرى الكتاب إنسان، ويشرح ذلك بمعنى مختلف عن السابق وأخيراً يختم بـ : ((الكتاب مثل الإنسان: يولد.. ويعيش.. ويموت. قد يحترق.. أو يتمزّق بأيدٍ عابثة كالمخالب، وربّما يعيش آلاف السنين))[٨٠].

فالمؤلف في كل فقرة، يؤكد للطفل القاريء، كيف أن الكتاب يكون كالإنسان وليس أي إنسان، وانما الصالح المفيد، فهو يلقى منه، الخير كله.

والخيالُ في هذا الكتاب، هو في جعل الكتاب كالإنسان- أنسنته- وهذا مما يقرب الكتاب بهذه الصورة للأطفال، فيشعر بأنّه شئ مرح وأنّه يشعر به كما الآخر كذلك. فوجود عينان وأنف ويدان وقدمان وساقان، وإطار تحديد للوجه، هي صورة ظريفة مقرّبة اكثر إلى نفس الطفل، ويستطيع الطفل بمخيلته الخصبة، أن

---

[79] يوسف، عبد التواب، الكتاب إنسان، ص٢- ٨، القاهرة، ١٩٩٩م.

[80] يوسف، عبد التواب، الكتاب إنسان، ص١٥.

يرسم صورة للكتاب وهو يفتح صفحاته وكأنها ذراعان تحضنان الصديق. أو يبتسم له أو مقطباً أو يلاعبه، وأنه:((أحياناً يهرب منا تحت المخدة أو المرتبه ويلعب معنا، الاستخفاء.. ويعود إلينا))[81]
إننا نستطيع إثارة الخيال بشكل رائع، لو أننا استطعنا أن نحسن استخدام خيالنا نحن الكبار، فخيال الطفل دنيا واسعه بلا حدود، تعيش فيها صور وشخصيات وأحداث ومرئيات[82].

فإذا ما ابتكر الطفل بمخيلته صوراً مختلفة ظريفة، بعدة طرق لهذا الكتاب الذي هو مدخل لجميع العلوم، فبالتأكيد سيكون هذا شئ جذاب يجذبه إليه ويشوّقه إلى أن يصادقه ويتعرف عليه.

وكانت طريقة المؤلف، أنّ جعل من نفسه الراوي عن هذا الكتاب وعن مشاعره. ولي رأي في هذا الأمر فلو كان الكتاب هو المتحدث عن نفسه – وهو اسلوب قد اتخذه المؤلف في كثير من القصص – لكان أقرب إلى نفس الطفل – وإن كان المؤلف الاستاذ عبد التواب يوسف باحثاً ملماً بما يحب الصغار ويستطيع التواصل معهم كصديق يثق به الأطفال، فهو يخاطبهم، كمدركين ولكن بالأسلوب المناسب، لتوصيل المعلومة، أو الفكرة ضمن إطار مشوّق، وبصور خياليه تجذب الأطفال إليها، فيستمرّوا في طلب المزيد. مما يكوّن لدينا جيلاً مثقفاً، ذو خيالاً خلاقاً. رفيع الذوق في شتى مجالات الحياة. العلمية والأدبية وغيرها.

---

81 يوسف، عبد التواب، الكتاب إنسان، ص١٤.

82 يوسف، عبد التواب، تنمية ثقافة الطفل، ص١٦٧.

الخاتمة

الحمد لله في الآخرة و الأولى، لقد كان اختياري موضوع أدب الأطفال، لأهميته وخطورته على الأطفال، وخصصت منه (القصص) لما لها من التأثير القوي والفعال على وجدان الطفل بطريقة غير مباشرة .ولو لم يكن لها ذلك التأثير على وجدان المتلقي لما استخدمت في القرآن الكريم والحديث الشريف، بهدف أخذ العبر والعظات ودعوة للتفكير والتذكر .

قال تعالى (**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**) هود ١٢٠

وقال تعالى (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) يوسف ٣

وقصة الطفل على كونها من الفنون الأدبية – والتي لها شروطها الخاصة بها– وعلى الرغم من عامل الجذب فيها، و عنصر المتعة والتشويق، إلا أن لها أثرا تربويا على الأطفال، فهي من الأدوات التي تسهم في تربية الأطفال بطريقة غير مباشرة ، وغير منفرة .

وقد احسن أديب الأطفال المبدع عبد التواب يوسف، استخدام القصة كفن أدبي، وطوعها لتنشئة أطفال الأمة الإسلامية على أساس قوي متين، ليحصنهم ثقافياً ،ضد الغزو الثقافي، والاغتراب النفسي، ليشقوا طريقهم بثبات نحو مستقبل الأمة المشرق. وقد جمع عبد التواب بين احساس الأديب المبدع، وبين احساس المربي المسؤول، فنتج عن هذه المشاعر المتمازجة، أن كان إبداعه الأدبي كما يقول محمد الهاشمي عن الأدب الأسلامي :(ينبثق ابتداءً من منظور الأمة الأصيل ــ وهي الأمة الإسلامية ــ ووجهة نظرها في الحياة، ليكون تعبيراً عن شخصية هذه الأمة الحضارية ودورها المتميز في الحياة، مع الانفتاح على المعطيات الأدبية فيما لا يتنافى مع منظور الأمة الأصيل) .

ومن خلال دراستي لقصص عبد التواب يوسف الدينية للأطفال، وجدت أن لدينا أدبا إسلاميا أصيلاً، متوافقاً مع طفل العصر الحاضر، مشيرا نحو المستقبل. فقد استطاع عبد التواب يوسف، من خلال نتاجاته الأدبية ، التقريب بين الأطفال وبين مصادر دينهم الإسلامية، من قرآن كريم، وأحاديث شريفة، وسيرة النبي صلى الله علية وسلم كقدوة لهم ، وتسليط الضوء على تاريخ الأمة المجيد ، ليعزز الثقة في نفوس الأطفال ، مما يحفزهم على إكمال طريق بطولات أجدادهم، و التقدم في جميع مجالات الحياة .و قد جعل التراث القصصي العربي، نبعاً يستمد منه ليقدمه للأطفال بعد أن ينقي شوائبه، مما يعمق مشاعر الأصالة و الانتماء لديهم. فذلك سيكون له أثرا على الأطفال، تربوياً ونفسياً واجتماعيا ووطنياً ، وخلقياً، فقد زودهم بالكم الوافر المتنوع، مع المحافظة على الجودة رغم الكثرة، فجعل لهم قصصا في جميع نواحي الحياة، مرتبطة بالإسلام الذي يعد نظاما من نظم التربية و الإعداد للحياة. فلم يفصل أديب الأطفال أدبهم عن دينهم، بل جعله وسيله إلى تثبيت هذا الدين في نفوسهم الطاهرة النقية .فهم كما يقول برغش (كالأرض البكر المعطاء التي يمكن أن تستنبت فيها ما تريد) .

الاقتراحات والتوصيات

من خلال البحث في موضوع قصص عبد التواب يوسف الدينيـــة ، وأدب الأطفال عموماً، تكونت لدي فكرة، وان كانت عامة عن وسائل الاهتمـــام بـــأدب الأطفال، والذي يعد وجوده في أمة ما، أحد سماتها الحضارية. فكمـــا علينـــا أن نرعاهم صحياً وجسدياً، كذلك من الواجب علينا العناية بهم فكرياً وثقافيـــاً لتكـــون الرعاية شاملة ومتكاملة، لكي نعدهم إعداداً قوياً سليماً لا يتزعزع ولا يتأثر بمـــا حوله من التأثيرات والتغيرات السلبية. و بناءً عليه أقدم المقترحات التالية كوسيلة لتحسين الوعي بأدب الأطفال:

١. عقد مؤتمرات و ندوات عن الأطفال و أدبهم و فائدته.
٢. نشر التوعية العامة في المجتمع بأهمية تنشئة الطفل فكريا و ثقافيا و أدبيا.
٣. تنظيم دورات تعليمية منظمة ، للارتقاء بمستوى أدب الطفل سواء للباحثين في هذا المجال أو للأدباء الذين يكتبون للأطفال.
٤. الاهتمام بوجود أدب الأطفال عامه وقصصهم خاصة ، في متناول أيـــديهم من خلال : المكتبات العامة، و المؤسسات المهتمة بشؤون الطفل، وأيضـــا المكتبات في المنازل.
٥. أن تتوافر كتب أدب الأطفال بأسعار غير باهظة حتى يتسنى لكـــل طفـــل الحصول عليها بسهولة.
٦. ترجمة أدب الطفل الإسلامي، إلى عدة لغات، ونشره بين أبناء المسلمين من مختلف الشعوب في جميع أقطار العالم، حتى لا تتسع الفجوة بـــن هـــؤلاء الأطفال وبين هويتهم الإسلامية.

٧. أما فيما يخص قصص عبد التواب يوسف الدينية، فإنـــه مـــن الخيـــر أن يتعرف عليها أبناء هذه الأمة الإسلامية ، لتتشكل لديهم الهوية الإســـلامية، وبالتالي ينطبع أثرها في شخصياتهم، لذلك لابد من توافرها في المكتبـــات العربية الإسلامية العامة، والمكتبات المدرسية، والمكتبات الخاصة أيضـــا، فوجودها بين أيدي الأطفال ثروة تحصد ثمارها في المستقبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

قائمة المصادر والمراجع والمجلات والصحف

أ) المصادر:

١ــ القرآن الكريم

٢ – موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الأول ١,٢ إنتاج شركة صخر لبرامج الحاسب، ١٩٩٦م .

٣–المكتبة الألفية للسنة النبوية ،الإصدار ١٠٥ ،مركز التراث لأبحاث الحاسب ،١٩٩٩م .

٤–مكتبة الأدب العربي ،الإصدار ٢،٠، مركز التراث لأبحاث الحاسب .

٣– قصص عبد التواب يوسف

١) يوسف ، عبد التواب ، أنا أقرأ . . فأنا موجود ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٢) يوسف ، عبد التواب ، أول يوم العيد ، ط٣ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

٣) يوسف ، عبد التواب ، ابن يونس المصري يقابل جاليليو في اختراع الساعة ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٤) يوسف ، عبد التواب ، أطفال أبطال ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

٥) يوسف ، عبد التواب ، البراء بن عازب ، ط٢ ، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ١٩٩٦م .
٦) يوسف ، عبد التواب ، البنان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٩م.
٧) يوسف ، عبد التواب ، بئر سبع ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
٨) يوسف ، عبد التواب ، الجامع ، ط٣ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، ١٩٩٦م.
٩) يوسف ، عبد التواب ، الحروف الاجتماعية ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
١٠) يوسف ، عبد التواب ، حمزة بن عبد المطلب ، ط٢ ، دار الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

١١) وتطور الكتابة القصصية للأطفال ، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي ، ص٣٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٣م .
١٢) يوسف ، عبد التواب ، الخشبة ، نقلاً عن يوسف عبد التواب ، فصول في دب الطفل المسلم ، ص٩٨ ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ١٩٩٦م
١٣) يوسف،عبد التواب،الدودة وشجيرة القطن،نقلا عن ،إسماعيل،عز الدين،"عبد التواب يوسف وتطور الكتابة القصصية للأطفال"،عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي،ص٣٠،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣م.

١٤) يوسف ، عبد التواب ، الديك الساخر ، نقلاً عن الهرفي ، محمد علي، أدب الأطفال ، ص١٥٣ ، دار المعالم الأحساء ، ١٩٩٦م .

١٥) يوسف ، عبد التواب ، الزرزور ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩١م.

١٦) يوسف ، عبد التواب ،سلطان العلم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩١م.

١٧) يوسف ، عبد التواب ، شجرة الريحان ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩١م

١٨) يوسف ، عبد التواب ، شجرة الكتب ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

١٩) يوسف ، عبد التواب ، صديقي الحقيقي ، نقلا عن الكيلاني ، نجيب ، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، ط٤ ، ص١٦٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م.

٢٠) يوسف ، عبد التواب ، الصنم الكبير ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

٢١) يوسف ، عبد التواب ، صور مؤذية ، ط٢ ، الدار المصرية اللبانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

٢٢) يوسف ، عبد التواب ، الصحيفة الصفراء ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

٢٣) يوسف ، عبد التواب ، طفولة النبي صلى الله عليه وسلم ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

٢٤) يوسف ، عبد التواب ، طارق بن زياد ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٢٥) يوسف ، عبد التواب ، الطريق إلى عين جالوت ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩١م.

٢٦) يوسف ، عبد التواب ، الطيور الأربعة ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٢٧) يوسف ، عبد التواب ، عمر بن الخطاب ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٢٨) يوسف ، عبد التواب ، العدل أساس الملك ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ،١٩٩٣م.

٢٩) يوسف ، عبد التواب ، عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٣٠) يوسف ، عبد التواب ، قارئ الصور ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

٣١) يوسف ، عبد التواب ، القرد واللبن ، نقلاً عن ، يوسف ، عبد التواب ، فصول في أدب الطفل المسلم، ص٩٦، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ١٩٩٦م.

٣٢) يوسف ، عبد التواب ، قلب الصغيرة يدق الله الله ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٩م.

٣٣) يوسف ، عبد التواب ، الكتاب إنسان ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

٣٤) يوسف،عبد التواب،مال المسلمين،ط٣،دار الكتاب المصري،القاهرة،١٩٩٦م.
٣٥) يوسف ، عبد التواب ، المؤمن الصغير ، ط٣ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
٣٦) يوسف ، عبد التواب ، محمد راعي الطفولة ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
٣٧) يوسف ، عبد التواب ، من هو البطل ؟ ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
٣٨) يوسف ، عبد التواب ، يوسف عليه السلام ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

٢ ــ كتب عبد التواب يوسف:

١) يوسف، عبدالتواب، فصول في أدب الطفل المسلم، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٢م.
٢) يوسف، عبدالتواب، أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.
٣) يوسف، عبدالتواب، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٥م.
٤) يوسف، عبدالتواب، تنمية ثقافة الطفل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.
٥) يوسف، عبدالتواب، وآخرون، ثقافة الطفل واقع وآفاق، طبعة معادة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
٦) يوسف، عبدالتواب، الهراوي رائد مسرح الطفل العربي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٧م.

٧) يوسف، عبدالتواب، شعر الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
٨) يوسف، عبدالتواب، الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٦٨م.
٩) يوسف، عبدالتواب، دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء، ط٤، دار المعارف، القاهرة، تاريخ الطبع : بدون.
١٠) يوسف، عبدالتواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣ ــ مقالات عبد التواب يوسف :

١) يوسف، عبد التواب، " الطفل والمسرح " الفيصل، عدد ٣١، ديسمبر ١٩٧٩م.
٢) يوسف، عبد التواب، " الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب " الأدب الإسلامي، المجلد الخامس، عدد١٧، ١٩٩٨م.
٣) يوسف، عبد التواب، " كتاب الطفل في عامه الدولي " مجلة المكتبات والمعلومات العربية، السنة الأولى، العدد الثاني، أبريل ١٩٨١م.
٤) يوسف، عبد التواب، " شعر الأطفال إلى أبن " القافلة، العدد الثاني عشر، المجلد ٤٣، مايو ١٩٩٥م.
٥) يوسف، عبد التواب، " مع الكتب " صحيفة المكتبة، العدد الأول، المجلد الثامن عشر، يناير ١٩٨٦م.
٦) يوسف، عبد التواب، " الأطفال الموهوبون كيف يكشفهم ونرعاهم لينبغوا " الفيصل، عدد ٢٣٩، أكتوبر ١٩٩٦م.
٧) يوسف، عبد التواب، " نحو رواية عربية " الفيصل، عدد ٢٠٣، السنة ١٧، نوفمبر ١٩٩٣م.
٨) يوسف، عبدالتواب، " الكتاب الإلكتروني يخنق الورق " المعرفة، عدد ٤١، ديسمبر ١٩٩٨م.
٩) يوسف، عبدالتواب، " العلم ما بين الإنصاف والإجحاف " المعرفة، عدد ٤١، ديسمبر ١٩٩٦م.

١٠) يوسف، عبدالتواب، " كيف تصبح القراءة حباً عائلياً " العربي، عدد ٤٤٠، السنة (٣٨)، يوليو ١٩٩٥م.
١١) يوسف، عبدالتواب، " شوقي شاعراً للأطفال " ندوة، الرياض، ١٩٩٣م.
١٢) يوسف، عبدالتواب، " لقاء الأجيال " الفيصل، عدد ٢٠٩، السنة ١٨، مايو ١٩٩٤م.
١٣) يوسف، عبدالتواب، " تطوّر كتب الأطفال " الفيصل، عدد ٥٠، السنة الخامسة، يونيو ١٩٨١م.
١٤) يوسف، عبدالتواب، " حي بن يقظان أدب إسلامي " الأدب الإسلامي، المجلد ٦، عدد ٢١، ١٤١٩هـ.
١٥) يوسف، عبدالتواب، " تجربتي كاتباً للأطفال " الفيصل، عدد ١٧١، السنة ١٥، أبريل ١٩٩١م.
١٦) يوسف، عبدالتواب، " حي بن يقظان أدب إسلامي " الأدب الإسلامي، المجلد ٤، عدد ١٥، ربيع الأول ١٤١٨هـ.
١٧) يوسف، عبدالتواب، " الأسرة وعلاقتها بالطفل " الفيصل، عدد ٤، السنة الأولى، سبتمبر ١٩٧٧م.
١٨) يوسف، عبدالتواب، " ترجمة كتب الأطفال حركتها واتجاهاتها ومشكلاتها في الوطن العربي " مجلة المكتبات والمعلومات العربية، السنة الثالثة، عدد ٣، يوليو ١٩٨٣م.
١٩) يوسف،عبد التواب ،"نحو معجم عربي إسلامي للأطفال"مجلة الأدب الأسلامي ،المجلد ٨،عدد٣١ ،ص١٤٢٢،٣١ه .

ب) المراجع :

١ ــ الكتب العربية والمعربة :

١) أبو الخير، محمد حامد، عبد التواب يوسف ومسرح الطفل العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢) أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط٢، دار الشرق، عمان، ٢٠٠١م.
٣) أبو مغلي، سميح، وآخرون، دراسات في أدب الأطفال، ط٢، دار الفكر، عمان، ١٩٩٣م.
٤) إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ط٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.
٥) ابن خلدون،عبد الرحمن،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر،المجلد الأول،القسم الخامس،دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٥٦م.
٦) ابن رشيق،العمدة،ط٤،دار الجيل،بيروت،١٩٧٢م.
٧) ابن سعد ،الطبقات الكبرى،دار بيروت،١٩٥٧م.
٨) ابن هشام،محمد ابن عبد الملك،سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،دار الفكر،تاريخ الطبع:بدون.
٩) الحديدي، علي، في أدب الأطفال، ط٧، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٠) الدفاع، علي عبد الله، أعلام العرب والمسلمين في الطب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
١١) الشنبري، حامد أحمد، لغة الطفل، مكان الطبع : بدون، ١٩٩٨م.
١٢) الشنطي، محمد صالح، في أدب الأطفال، دار الأندلس، حائل، ١٩٩٦م.
١٣) الصابوني، النبوة والأنبياء، ط٢، مكان الطبع : بدون، ١٩٨٠م.
١٤) العسكري، سليمان، ثقافة الطفل العربي، مجلة العربي، الكويت، ٢٠٠٢م.
١٥) العناني، حنان عبد الحميد، أدب الأطفال، ط٤، دار الفكر، عمان، ١٩٩٩م.
١٦) العناني، حنان عبد الحميد، تربية الطفل في الإسلام، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠٠١م.
١٧) العناني، حنان عبد الحميد، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، دار صفاء، عمان، ١٩٩٩م.
١٨) الغندور، عبد الصبور، وآخرون، نحو أدب إسلامي، محاضرات في جامعة أم القرى، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

١٩) الفيصل، سمر روحي، تقافة الطفل العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٧م.

٢٠) الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

٢١) اللبدي، نزار وصفي، أدب الطفولة واقع وتطلعات دراسة نظرية تطبيقية، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠١م.

٢٢) المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٣) النجار، محمد رجب، التراث القصصي في الأدب العربي، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥م.

٢٤) النيسابوري،أبي الفضل أحمد بن محمد،مجمع الأمثال،ط٢،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،١٩٥٩م.

٢٥) الهاشمي،السيد أحمد،جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب،ط٢٢،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،١٩٦٧م.

٢٦) الهاشمي، محمد عادل، في الأدب الإسلامي تجارب ومواقف، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م.

٢٧) الهرفي، محمد علي، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، دار المعالم الثقافية، الأحساء، ١٩٩٦م.

٢٨) باطويل، هدى محمد أحمد، الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية، دراسة تحليلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣م.

٢٩) بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٠) جعفر، عبدالرزّاق، أسطورة الأطفال الشعراء، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٣١) جمال، محمد عثمان، بناء شخصية الطفل المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.

٣٢) حجازي، محمد زكي، المسؤولية في الإسلام، الدار السعودية، مكان الطبع : بدون، تاريخ الطبع : بدون.

٣٣) حمدون، محمد أحمد، نحو نظرية للأدب الإسلامي، المنهل، جدة، ١٩٨٦م.
٣٤) خليفة، صلاح، رعاية الطفل، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٧م.
٣٥) زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٦) زيدان، محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، ط٤، دار الشروق، جدة، ١٩٩٤م.
٣٧) سعيد، محمود شاكر، أساسيات في أدب الأطفال، دار المعرج الدولية، الرياض، ١٩٩٣م.
٣٨) شتا، السيد علي، النمو الاجتماعي لشخصية الطفل في المجتمع الانتقالي، مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.
٣٩) شحاته، حسن، أدب الطفل العربي دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م.
٤٠) شحاته، حسن، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٩م.
٤١) شعراوي، إبراهيم، عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي مع قائمة ببلوجرافيا لإنتاجه الفكري،ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٤٢) طعيمة، رشدي أحمد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٤٣) عبد السلام، فاروق ومنصور، محمد جميل، قائمة السلوك الاجتماعي للأطفال من ٦-١٥ سنة، مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة، ١٩٧٩م.
٤٤) عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليلية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٤٥) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ط٣، دار السلام، بيروت، ١٩٨١م.
٤٦) علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الكتب المصرية، ١٩٧٩م.

٤٧) قطامي، يوسف، نمو الطفل المعرفي واللغوي، الأهلية للنشر، عمان، ٢٠٠٠م.
٤٨) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ط٣، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ١٩٨٩م.
٤٩) لا ندوم، روم، الإسلام والعرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢م.
٥٠) مهدي، حسام محمود، ثقافة الطفل مقدمة تحليلية لأخطار المؤثرات الثقافية الموجهة للطفل، الصندق الوقفي للثقافة والفكر، الكويت، ١٩٩٧م.
٥١) ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.
٥٢) نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
٥٣) نمر، عصام، وسمارة، عزيز، الطفل والأسرة والمجتمع، ط٢، دار الفكر، عمان، ١٩٩٠.
٥٤) نويل، جان بلامان، التحليل النفسي والأدب، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٧م.

٢ ـ الدوريات – المجلات – الصحف :

١) عبد الدائم، صابر، " يا أدباء الإسلام انتبهوا هذه هي ملامح الواقعية المحزنة "، المجلة العربية، العدد ٩٩، السنة ٩، يناير ١٩٨٦م.
٢) عبد الرحمن، "عزة، " الأسس الإسلامية في تربية الطفل "، المجلة العربية، العدد ٩٩، السنة ٩، يناير ١٩٨٦م.
٣) نقرة، التهامي، " تأثير القصص القرآني "، المجلة العربية، عدد ٧، السنة الثالثة، أغسطس ١٩٧٩م.
٤) الزهوري، بهاء الدين، " مشكلة القيم في قصص الأطفال " المجلة العربية، عدد ٩٤، السنة التاسعة، أغسطس ١٩٨٥م.

٥) الفهد، ياسر، " القصص العلمية الأساطير الحديثة "، الفيصل، عدد ٤٧، السنة الرابعة، أبريل ١٩٨١م.
٦) آدم، محمد سلامة، " المفهوم الإسلامي للطفولة. واتجاهات التربية الحديثة "، الفيصل، عدد ٥٢، السنة الخامسة، أغسطس ١٩٨١م.
٧) سويلم، ، أحمد،" الطفل والقراءة "، الفيصل، عدد ٣٦، السنة الثالثة، أبريل ١٩٨٠م.
٨) سلامة، فتحي، " التراث العربي "، الفيصل، عدد ٣٦، السنة الثالثة، أبريل ١٩٨٠م.
٩) أحمد، لطفي بركات، " التربية العربية وتحديات العصر "، الفيصل، عدد ١١٨، السنة العاشرة، ديسمبر ١٩٨٦م.
١٠) رابح، تركي، " دور التربية في التنمية الوطنية "، الفيصل، عدد ١١٨، السنة العاشرة، ديسمبر ١٩٨٦م.
١١) سليمان، حسن حسن، " التفسير النفسي للإبداع الفني والفلسفي والاجتماعي "، الفيصل، عدد ١١٨، السنة العاشرة، ديسمبر ١٩٨٦م.
١٢) أبو شنب، عادل، " إيسوب رائد أدب الأطفال "، الفيصل، عدد ٥٩، السنة الخامسة، مارس ١٩٨٢م.
١٣) نجار، نزار، " ينبوع حكايات الأطفال الخيال العربي في التراث "، الفيصل، عدد ٣١٤، السنة ٢٧، أكتوبر ٢٠٠٢م.
١٤) المطيري، حبيب بن معلا، " دور القصة في حياة الطفل "، الحرس الوطني، يوليو ١٩٩٣م.
١٥) أبو صالح، عبد القدوس، " نحو منهج إسلامي لأدب الطفل "، بيادر.
١٦) اليوسف، أحمد إبراهيم، " علاقة التربية بالمجتمع وتحديد ملامحها النوعية "، عالم الفكر، المجلد ٢٩، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٠م.
١٧) علوش، جميل، " النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والإفرنج "، عالم الفكر، المجلد ٢٩، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٠م.
١٨) الفهد، ياسر، " عصر العجائب استكشاف في عالم الخيال العلمي "، الفيصل، عدد ١٦٨، السنة ١٤، يناير ١٩٩١م.
١٩) عز الدين، يوسف، " الفكر العلمي العربي وحضارة الغرب "، الفيصل، عدد ١٦٨، السنة ١٤، يناير ١٩٩١م.

٢٠) بهي، عصام، " رواية الخيال العلمي وروى المستقبل "، فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، مارس ١٩٨٢م.
٢١) إبراهيم، نبيلة، " لغة القص في التراث العربي القديم "، فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، مارس ١٩٨٢م.
٢٢) الناصر، حسن جعفر، " قراءات التلاميذ القصصية واتجاهاتها في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية من المرحلة الابتدائية في دولة البحرين "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد ٩، ديسمبر ٢٠٠١م.
٢٣) محفوظ، سهير أحمد، " أدب ومكتبات الأطفال على شبكة الإنترنت "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد ٩، ديسمبر ٢٠٠١م.
٢٤) أبو الرضا، سعد، " التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.
٢٥) وطفة، علي، " لغة الأطفال بين الفطرة والاكتساب "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.
٢٦) إبراهيم، خيري السيد، " فصول عن ثقافة الطفل "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.
٢٧) وطفة، علي أسعد، " التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال "، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.
٢٨) الجر اجره، عسى، " أدب الأطفال خصوصية وضرورة وسبب اختلاقه عن أدب الكبار "، الفيصل، العدد ١٥٢، السنة الثالثة عشر، سبتمبر ١٩٨٩م.
٢٩) مبارك محمد، " ارتباط العربية بالثقافة الإسلامية "، الفيصل، السنة الثالثة، عدد ٣٣، فبراير ١٩٨٠م.
٣٠) الدقاق، عمر، " الشخصية العربية بين جذب الغايب وإغراء الحاضر "، الفيصل، عدد ٥٦، السنة الخامسة، ديسمبر ١٩٨١م.
٣١) أبو الرضا، سعد، " مهرجان الجنادرية والقيمة الحضارية الإنسانية "، الفيصل، عدد ٢٠٨، السنة ١٨، أبريل ١٩٩٤م.
٣٢) أبو صالح، عبد القدوس، " نحو منهج إسلامي لأدب الطفل "، بيادر.
٣٣) مكي، أحمد مختار، " نحو أدب أطفال إسلامي "، الرابطة، عدد ٣٣١، أغسطس ١٩٩٢م.

٣٤) الطلحي، عبد الرحمن، " أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق "، بساتين المعرفة،السنة٢، مارس ١٩٩٦م.
٣٥) المطيري، حبيب بن معلا، " دور القصة في حياة الطفل "، الحرس الوطني،السنة١٤،عدد١٣١، يوليو ١٩٩٣م.

٣ ـ مواقع في شبكة الإنترنت :

١) عبدالدائم، صابر، " ظواهر التأثير القرآني بالبيان في الشعر العربي المعاصر "، اللغة العربية وأدابها :
Alnadwa.net/Lang-arabic/sar.htm.

٢) عبدالتواب، يوسف، مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال
Derelkotoborg/ARABIC/HTML/centers/CHILDREN.HTM

٣) الكيلاني، نجيب، " الأدب الإسلامي والمجتمع "، اللغة العربية وأدائها.
Alnadwa.net/Lang-arabic/sar.htm.

٣) أبو العينين، رُبى، " زرع الإسلام في نفوس الأنبياء "، واحة تربية الأطفال.
Wahaweb.com/child/to pic.

٤) يوسف، عبدالتواب، " ندوة ثقافة الطفل العربي تواصل فعاليتها "، شبكة النبأ المعلوماتية.
WWW.annabaa.org

٥) الغريب، " الكتابة للأطفال ليست ملكاً ليست ملكاً مشاعاً ".
Lohaonline.com/Literature.

ملحق

رد الكاتب على بعض الاستفسارات بخط يده .